

هدية
للمجمع العلمي العراقي

مجلة المجمع العلمي العراقي



شوال ۱۴۰۴ هـ

تموز ۱۹۸۴ م

الفهرست

الصفحة

- الدكتور أحمد عبدالستار الجوّاري
نظرة أخرى في قضايا النحو العربي (ضروب الصفة) ٢
- الدكتور جميل الملائكة
في معنى الفلّة والاطراد وحدود القياس اللغوي ٩
- اللواء الركن محمود شيت خطاب
بلاد الروم قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه ١٦
- الدكتور يوسف عز الدين
المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي ٧٤
- الشيخ محمد حسن آل ياسين (تحقيق)
كتاب الشجر والنبات وكتاب النخل (لأبي عبيد القاسم بن سلام) ٨٩
- الدكتور عدنان محمد سلمان
الاستقراء في النحو ١٤٢
- الدكتور طارق عبد عون
كتاب المذكر والمؤنث (لأبي حاتم السجستاني) ١٨٨
- الدكتور فاضل صالح السامرائي
وار الحال ٢٢٥
- الدكتور محمد صالح التكريتي
ابن البراني وكتاب اصلاح المنطق لابن الكيت ٢٢٨
- الدكتور محمد جابر فياض
مفهوم البلاغة لغة واصطلاحاً ٢٥٧

عرض الكتب

- الخطاط وليد الأعظمي
ساعات دمي القصر في مطارحات بني العصر ٢١٢

انباء وآراء

- الحاج عبدالكريم جرمانوس في ذمة الله ٢٤٩

مجلة المجمع العلمي العراقي

اتشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريد

★ ★ ★

توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

● البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

● البحوث والمقالات التي لا تنشر ، لا ترد الى اصحابها .

(العنوان : بغداد / الوزارة / ص.ب. ٢٠٢٢)

تسليم

في تاريخ ١١ / ١٠ / ١٩٨٤

في تاريخ ١١ / ١٠ / ١٩٨٤

تسليم في تاريخ ١١ / ١٠ / ١٩٨٤

في تاريخ ١١ / ١٠ / ١٩٨٤

في تاريخ ١١ / ١٠ / ١٩٨٤

في تاريخ ١١ / ١٠ / ١٩٨٤

في تاريخ ١١ / ١٠ / ١٩٨٤

رقم الايداع في المكتبة الوطنية بغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٤

في تاريخ ١١ / ١٠ / ١٩٨٤

في تاريخ ١١ / ١٠ / ١٩٨٤

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY

VOLUME 35

Part (3)

PUBLISHED BY
THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1984

نظرة أخرى في قضايا النحو العربي

ضُرُوبُ الصِّفَةِ

الدكتور

أحمد عبد الستار المنجد

(عضو الجمع)

بسم الله الرحمن الرحيم

ما المراد بالصفة ؟

يشتق من المصادر أو من الأفعال (١) أسماء تشتمل على معنى الحدث مقترناً بذات الفاعل تارة وبذات المفعول تارة أخرى . ويراد بالاول كما هو معروف وصف لما وقع منه الفعل . وبالثاني وصف لما وقع عليه الفعل . وهذان هما اللذان يمكن أن يطلق عليهما اسم الصفة ، اذ انهما يصلحان لوصف أسماء الذوات وأسماء المعاني ، بالمعنى الواسع للوصف (اي الدلالة على الاسناد أو التبع أو وصف الهيئة وهو الحال) .

اسم الفاعل

ويأتي الضرب الاول من الصفات على ثلاث بنى أو ثلاثة اشكال .
اولها ما يعرف في علم العربية باسم الفاعل، وله على العموم صورة معروفة

(١) على مذهب اهل البصرة او مذهب اهل الكوفة .

ضروب الصفة

وصيغة معينة هي وزن فاعل في الثلاثي من الأفعال كذاهب وضارب وناصر ،
ووزن المضارع مع ابدال حرف المضارعة ذلك . قال :

كفاعلٍ صغ اسم فاعل اذا
من ذي ثلاثة يكون كذا

وهو قليل في فَعَلت وفَعِل
غير معدى بل قياسه فَعِل

وأفعل فلان نحو أشر
ونحو صديان ونحو الأجر

وفَعَل أولى وفَعِل بفعل
كالضخم والجميل والفعل جَمَل

ثم يأتي بعد ذلك على القاعدة التي سلفت إليها الإشارة في صوغ اسم
الفاعل (وما يتفرع عنه) ما زاد على ثلاثة أحرف .

ويذكر ابن جني أن مجيء صيغة فاعل من وزن فَعَل شاذ عند طائفة من
أهل العربية . وهو يرى أن ذلك من تداخل اللغات وتركيبها . يقول :

« وما عدوه شاذاً ما ذكروه من فَعَل فهو فاعل نحو ملهث فهو ملاهر ،
وشَعَر فهو شاعر وحَمَض فهو حامض وعقُرت المرأة فهي عاقر ولذلك ظواهر
كثيرة واعلم أن أكثر ذلك وعامته إنما هو لغات تداخلت فتركت » (٢) .

أمثلة المبالغة

أما أمثلة المبالغة فمعلوم أنه يراد بها التكثير وهي في عملها تنوب عن اسم

(٢) الخصائص ج ١ ص ٢٧٥ .

احمد عبدالستار الجواري

الفاعل وتقوم مقامه وتقع بديلا عنه . قال ابن مالك في اِعمال اسم الفاعل
وامثلة المبالغة :

فَعَال او مفعَال او فَعْمُول
في كثرة عن فاعل بديل
فتستحق ما له من عمل
وفي فَعْمُول قلَّ ذا وفعل

ومن قبل قال سيوريه :

« وأجروا اسم الفاعل اذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه اذا كان على
بناء فاعل لأنه يريد به ما أراد بفاعل من ايقاع الفعل الا أنه يريد أن يحدث عن
المبالغة » (٢) .

ومدار كلام النحاة في هذه الثلاث الصفات على الاعمال ولاسيما نصبها
المفعول أو ما يسوونه شبه المفعول . وأكثر كلامهم انما يقوم على استنباط
قواعد ثانوية من القواعد الأساسية استنباطاً مجرداً بعيداً عن واقع اللغة بحيث
لاتوافق في كثير من الاحيان ما ورد به السماع وما يقوم عليه المأثور من
الكلام .

الصفة المشبهة وعملها

ومن هذا جاء في اعمال الصفة المشبهة اثنان وسبعون وجهاً محتلاً
ورودها أو يزيد ، منها القبيح ومنها الضعيف ومنها الجائز وما سجع منها يمكن
أن يرد الى ضرورة الشعر لأنه لم يرد في مأثور الكلام .
ولعل من أهم ما تجدر ملاحظته في هذا الباب ذلك التداخل بين الصيغ

(٢) الكتاب ج ١ ص ٥٧ .

ضروب الصفة

في الصفات الثلاث اسم الفاعل وأمثلة المبالغة والصفة المشبهة . ولقد مرت بنا مقالة ابن مالك التي سمي بها كل مشتق اشتغل على معنى الحدث وذات الفاعل اسم فاعل ، وجعل منه أوزان ما نعرفه بالصفة المشبهة ، إلا أنه أشار إلى الفرق بينهما ، أعني اسم الفاعل والصفة المشبهة ، من جهة الفعل الذي يشتق من كل منهما . فذكر أن صيغة فَعِل وفَعِيل وفَعْلَان ونحوها تشتق من فَعَّل وفَعَّل ، يريد بذلك الأفعال الدالة على معنى الوصف اللازم أو يشير إليه .

الفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة به

ومما يفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة به أن هذه يستحسن جرّ فاعلها بها كما يقول ابن مالك في تعريفها :

صفة استحسن جرّ فاعل

معنى بها المشبهة اسم الفاعل

وصوغها من لازم لحاضر

كظاهر القلب جميل الظاهر

اذن فلا عبرة بوزن فاعل في الدلالة على اسم الفاعل ولا بغير فاعل من الأوزان للدلالة على الصفة المشبهة ، وإنما العبرة باستحسان إضافة هذه إلى فاعلها في المعنى أي الموصوف بها .

ولعل ذلك راجع إلى أن معنى الإضافة ، وهي غالباً لمعنى الملك ، أول على اللصوق واللزوم ، فهي والحالة هذه أدنى إلى الدلالة على معنى الثبوت في الاتصاف وأبعد عن معنى الحدوث الذي يكون حين ينصب معمول الاسم المشتق ولاسيما ما يشتق من فعل يتعدى إلى المفعول به .

ولعل هذا يصلح أساساً للتفريق بين اسم الفاعل وما ينوب عنه — أي أمثلة المبالغة — وبين الصفة المشبهة من الجهة التي أسلفنا .

احمد عبدالستار الجواري

الا أن ثمة أمراً ينبغي أن لا يتصرف عنه النظر ، وهو أن اسم الفاعل المعدي يضاف أحياناً الى معموله ان كان اسم الفاعل - بزعمهم - لمعنى المضي أو لحكاية حال ماضية ، لأن شرط نصب المفعول باسم الفاعل - كما شرطوا - أن يكون هذا بمعنى الحال أو الاستقبال لانهم أعمالوه عملاً على الفعل المضارع . لكن توارد النصب والاضافة في مواضع من آي الكتاب العزيز يزري بقاعدة النحاة هذه . فقد قرئ بالنصب والخفض قوله تعالى (ان الله بالغ أمره) (هل هن كاشفات ضرره) (جاعل الليل سكناً) .

صيغ مشتركة

ولا بد أن نلاحظ أن أمثلة المبالغة والصفة المشبهة تشترك في بضع صيغ منها فاعول وفعيل وفعّل . وهذا الاشتراك يدل على أن المراد بهما أصلاً هو الدلالة على ذات الفاعل مقترنة بالحدث على سبيل التكرير والمبالغة وأن الفرق بينهما مرده الى الفرق بين ما اشتقا منه فان كان فعلاً ذا دلالة قوية على معنى الحدث مثل كتب وذهب وقام وقعد ونصر وضرب فان ما يشتق منه وصفاً لذات الفاعل فهو اسم فاعل فان كان للكثرة فهو صيغة مبالغة كضروب ونصير وقوام ونحو ذلك .

وان كان من فعل يدل على الوصف كطهر وكرّ وشجّع وفرح وعطش فان الوصف منه يسمى صفة مشبهة كطاهر وكريم وشجاع وعطشان وفرح وما أشبهها .

فمّول وفعيل ودلالاتهما

على أن من هذه الأسماء المشتقة ما يكون لأكثر من معنى كفعول وفعيل .

ضروب الصفة

فان فعلاً يأتي مصدراً كالذميل والصهيل والخيب والرييس ونحو ذلك .
ويأتي كذلك اسماً كالزيب والدقيق والسفيف (وهو حزام الرجل)
والرير والكثيب وغير ذلك . وهو اذ يكون وصفاً يكون بمعنى فاعل تارة
كقريب وبصير وشديد ، وبمعنى مفعول تارة أخرى كقتيل وجريح .

أما فعول فيكون كذلك اسماً كالجبوب وهي الأرض الغليظة ، والشبوب
وهو ما توقد به النار ، والغرور وهو الشيطان ، والحرور وهو شدة الحر ،
والسفوف وهو ما يثقف من دواء .

وهو اذ يأتي وصفاً يكون بمعنى فاعل كصبور وشكور وبمعنى مفعول
كذلول .

كيف تحول الى هذه المعاني

ولعل معنى الوصف هو الأصل في هذين البنائين ثم تحول على سبيل
المجاز العقلي - وهو اسناد الشيء الى من ليس له - الى معنى المصدر وهو
الحدث مجرداً من ذات الفاعل . وذلك أمر معروف عند علماء المعاني . فقد
يقال المعقول ويراد به العقل مثلاً ، وقد يكون العكس فيطلق المصدر ويراد به
الوصف ، والمصدر أصل يقبل أن يحتمل ما يلزمه أو يسبق اليه من معان
أخرى .

أما مجيء هذه الصيغ أسماء فأمر واضح مألوف في العربية ، لأن كثيراً
من الاسماء الاعلام وغير الاعلام تنقل عن الوصف تارة وعن المصدر وما يشتق
منه تارة أخرى . وأهل العربية يقسمون العلم قسمين : العلم المرتجل وهو
الذي وضع من أول الأمر ليدل على معنى بعينه كعاد وأدد . والعلم
المنقول وهو الذي نقل عن دلالة غير العلمية الى العلمية كخالد ومحسود
ونصر وقضل .

والله تعالى أعلم

في معنى الفلحة والبطار وحدود القياس اللغوي

الدكتور جميل الملايكة

(عضو الجمع)

(١) اقرت لجنة الاصول الموقرة في ٩ / ١٠ / ١٩٨٤ انه اذا كانت المجموعات من وزن معين قليلة ولكن اكثرها ذو دلالة معينة فيمكن ان يقاس عليها لتلك الدلالة عند الحاجة في لغة العلوم .
وهذا القرار العام المقضب ، ولاشك ، لا تمكن الاستفادة منه دون رسم حدوده وقيوده .

(٢) فيلزم اولا تحديد المراد بالتقابل . فهل تكفي ثلاثة من المجموعات لهذا الغرض ؟ ام خمسة ؟ ام عشرة ؟ ام عشرون ؟ ام خمسون ؟ لا يخفى انه كلما زاد هذا العدد نقص احتمال الخطأ في الاستدلال ومن ثم زادت اعتمادية العينة . واحتمال الخطأ نفسه يلتزم الاحصائيون تعيين حد من الثقة في تخمينه . وهكذا يمكن ، من دون اللجوء في التفاصيل الاحصائية ، ان نقول بحد من الثقة مقداره (٩٥٪) ، وهو الحد المقبول عند الاحصائيين ، ان أعلى خطأ محتمل في الاستدلال من عينة مقدارها ١٠ من المجموعات مختارة عشوائيا من بين مجموعة كبيرة من مجموعات من الوزن نفسه سيكون في حدود ٣١٪ ^(١) ، فان كان عدد افراد العينة ٢٠ فيكون احتمال الخطأ في أسوأ

$$\pm 1.96 \times \sqrt{\frac{0.31(1-0.31)}{10}} = \pm 0.31 = 31\% \quad (1)$$

في معنى الغلبة والاطراد

الاحوال في حدود ٢٢ ٪ ، فان كان العدد ٤٠ فهو في حدود ١٥,٥ ٪ ، وان كان الافراد ٨٠ فلن يتجاوز ١١ ٪ الخ . وسيتل مقدار الخطأ الاعلى المحتمل ايضاً كلما قل عدد افراد المجموعة الكلية التي يختار افراد العينة من بينها . وكذلك يقل الخطأ المحتمل بزيادة انحراف اطراد الظاهرة المدروسة في العينة عن ٥٠ ٪ ، وعليه يتقرر قبول حجم العينة من مقدار اطراد الظاهرة المراد قياسها فيها .

ويجدر هنا توكيد العشوائية في اختيار افراد العينة التي نريد دراسة ظاهرة فيها . وكثيراً ما يغفل دارسو اللغة هذه الحقيقة ، أو يجهلونها ، فيقعون في الكثير من الخطأ . فليس من الصواب مثلاً ان نستدل على اطراد جمع (فاعل) على (فاعل) من مجموعات كذلك نبحت عنها ونختارها اختياراً ، حتى لو بلغ عددها العشرين أو الخمسين . وانما الوجه ان نجتمع بطريقة عشوائية عدداً كافياً من جموع (فاعل) ونرى هل يغلب فيها الجمع على (فواعل) ، وهو لن يغلب على وجه التأكيد . ومثل هذا كثير .

(٣) لقد قالوا إن التحور قياس واللغة سماع . فان لم يكن بدءاً من اخضاع اللغة لبعض القياس لحاجات علمية ملزمة فليكن القياس صحيحاً .

(٤) وتوكيد الحاجة هنا امر له أهميته . فلا يصح تكلف القياس في اللغة تكلفاً واطلاق بابها على مصراعيه . ومن العبث ، مثلاً ، ان يُعدّ احد ، كائناً من يكون ، معجماً جديداً يضيف اليه من عنده عشرات المصادر الجديدة بزنة (فعلان) مثلاً ، لمعنى الاضطراب ، كالحركان والغضبان والنشطان أو مئات الأفعال الجديدة بزنة (استعمل) لمعنى الطلب كاستركب واستنفض واستذهب ، من الركوب والفضة والذهب . وقد فعل بعضهم مثل ذلك فلم يقد في شيء . فاللغات لا تنمو بالطفرات . وهي انما تنبع وتتطور تدريجاً ، وتنميتها الحاجة والاستعمال .

الدكتور جميل الملاثة

(٥) وثمة عوامل لغوية أخرى ، غير اطراد المعنى في وزن معين ، مما يحدّ أيضا من جواز اطلاق القياس . فلو كانت عينة من ٥ أفراد هي ما في المعجم من وزن معين ، و اطردت فيها ظاهرة معينة ١٠٠ ٪ ، فاحتمال الخطأ هو صفر ، فهل نقيس عليها ؟ الجواب : رهون بوجود الظاهرة نفسها في وزن آخر او عدها ، وعلى حجم عينة الوزن الآخر مقارنة بحجم هذه العينة . ومثال ذلك اننا لو جمعنا كل ما ورد على غرار (مُزَيِّن) و (مُدَثِّر) و (مُزَّمِّل) لو جدناه مطاوع (فَعَّل) مما هو مبدوء بحرف شمسي . ولكننا لا نقيس عليه لأن وزن (تَفَعَّل) و (مُتَفَعَّل) له نفس الدلالة ، وقياسه لا ينكسر ، وعيّنته اكبر كثيرا في اللغة من عيّنة (مُفَعَّل) .

(٦) ويجدر تجنب القياس عند تداخل الالفاظ ، فلا نقيس مثلا (الاستملاح) لطلب الملح مع وجود هذا اللفظ بمعنى وجود الشيء مليحا ، ولا (الاستشراب) لطلب الشرب مع استعماله لمعنى الاشتداد ، فكل ذلك مدعاة لتلبس .

(٧) وكذلك يلزم تجنب القياس بوزن ما طرد اذا وجد المعنى في وزن آخر حتى او شذّ هذا الآخر ، فلا نقيس (استحاذ) مع وجود (استحوذ) ، ولا (المسجد) والمستعمل (المسجد) .

(٨) ومن المهم ان يكون الوزن المقيس عليه سهلا مقبولا . فلانقيس مثلا الفاظاً بوزن (الفَيْعَلَى والفَيْعِلَى والفُعْلَى والفَيْعِلَى) (كالتخيزلى) و (الجيريشى) و (الحُطْبَى) و (الحِثْيَى) حتى اذا كان لبعض هذه الاوزان دلالات معينة مطردة . فمثل هذه الاوزان لن يستينها الذوق ومن ثم سيكون مصيرها الاهمال كما حلّ بسابقاتها .

(٩) وهكذا يمكن في ضمن هذه الحدود والشروط ان نقيس ، عند

في معنى الغلبة والاطراد

حصول الحاجة العلمية ، على ما ثبت غلبته واطراده ، من الاوزان المعروفة كالفعالة للحرفة ، والفعال للامتناع ، والفعال للاضطراب ، والفعل للسير او الصوت ، والفعال للدهاء او الصوت ، والفعل للون ، وقياس اسماء الآلة والمكان باوزانها المعروفة ، وقياس فعولة او فعالة مصدراً لفعل المضمر العين ، وقياس اوزان بعض الافعال المجردة او المزيدة لمعان غالبية فيها ، وغير ذلك مما هو مشهور معروف في علم الصرف .

وللتمثيل على ما قد يصح القياس عليه ايضاً ضمن هذه الحدود والقيود ، لاحظت عرضاً ان كثرة من المصادر المستعملة بزنة فعل بكسر الفاء وفتح العين هي مصروغة من الثلاثي اللازم وانها تدل على وصف حال من الاحوال او صيرورته الى حال أخرى . وللتحقق من احتمال غلبة هذه الظاهرة بحثت عن اكبر عدد امكنتني ، على وجه من العجالة ، الحصول عليه من هذه المصادر ، فوجدت منها ستة وعشرين مصدراً هي هذه :

١- الإرَب = الدهاء والبصيرة (نقيض البلادة والحمق)

٢- اليبى = الرثاء (نقيض الجدّة)

٣- الثخن = الغلظ

٤- الثقل = ضد الخفة

٥- الحجا = النطنة والعقل (نقيض الحمق والبلادة)

٦- الربا = الفضل

٧- الرضا = نقيض الغضب

٨- الروى = التملؤ من الماء والشبع منه (نقيض العطش)

٩- الزنا = المنجور

١٠- السمن = نقيض الضعف والنعاقة

١١- السوى = الاستقامة (نقيض العوج)

- ١٢- الشَّبَع = التمازج من الطعام (تقيض الجوع)
 ١٣- الصَّبَا = الصُّغَر
 ١٤- الصُّغَر = تقيض الكبر
 ١٥- الضَّخَم = العِظَم
 ١٦- الطَّرْل = امتداد الزمن
 ١٧- العِظَم = خلاف الصُّغَر
 ١٨- العرج = تقيض الاستقامة
 ١٩- العِرْض = اعطاء البذل والعرض (من المتعدي)
 ٢٠- الغِلْظ = تقيض الرقة والدقة
 ٢١- الغِنَى = تقيض الفقر
 ٢٢- الفِدَى = الاستنقاذ بمال أو سواه (من المتعدي)
 ٢٣- القِدَام = تقيض الحداثة
 ٢٤- القِرَى = الضيافة (من المتعدي)
 ٢٥- القِلَى = الكره والبغض (من المتعدي)
 ٢٦- الكبر = تقيض الصغر

والظاهر ان اثنين وعشرين من هذه المصادر الستة والعشرين مصوغ من الثلاثي اللازم ، وانها إما تدل على وصف الحال كالصُّغَر ، والكِبَر ، والعِظَم ، والحِجَا ، والثَّمَل ، والثَّخَن ، والإرْب ، والغِنَى ، والسَّمَن ، والعِرْج ، والغِلْظ ، وأما تدل على صيرورة الشيء الى حال لم يكن عليها كالشَّبَع ، والرَّوَى ، والرُّضَا ، والبِلَى ، وقد يستعمل أكثر هذه الالفاظ لكلا المعنيين ، اي الثبوت والحدوث كالغِنَى ، والسَّمَن ، والعِرْج ، والشَّبَع ، والرُّضَا ، والبِلَى . ويبدو ان أربعة فقط من هذه المصادر هي عِرْض ، وفِدَى ، وقِرَى ، وقِلَى ، جاءت مخالفة لهذه

في معنى الغلبة والاطراد

القاعدة فهي مصنوعة من المتعدي ، وهي لا تدل على وصف حال او صيرورة الى حال .

وعلى هذا تكون نسبة غلبة هذه الظاهرة في العينة هي :

$$\frac{22}{26} = 0,85 \text{ أي } 85\%$$

ومع ان افراد العينة هي تصاري ما تمكنت من وجدانه من هذه المصادر بهذا الوزن ، فانه حتى لو فرضنا ان الموجود منها في المعجم يبلغ الخمسين فيمكن القول بحد من الثقة مقداره 95% ان احتمال الخطأ في تخمين هذه الظاهرة في هذه العينة لن يتجاوز 9,6% (2) ولنقل 10% (3) ولما كان 85% - 10% = 75% فمعنى ذلك ان ما هو مصوغ من الثلاثي اللازم بزنة فيعمل لوصف حال الشيء او صيرورته الى حال لم يكن هو عليها تقدر نسبه تخميناً بـ 85% من مجموع مصادر المعجم على وزن (فيعمل) ولكنها لا يمكن ان تقل عن 75% على اية حال .

فهذه الظاهرة اذن هي غالبية في العينة والمعجم على وجه اكيد، ويمكن القياس على هذا الوزن على غرار بقية ما يقاس عليه اذا لم توجد (الفعالة والفُعولة) ونحرمها ، هذا فضلاً عن كون هذا الوزن مستاغاً ومقبولاً .

واكن في حدود القياس المرسومة لا تقيس (العيلا) لمعنى الارتفاع مع وجود (العلوّ) .

ولا تقيس (الثقل) لمعنى اشتداد المرض لأن الثقل مستعمل لنقيض (الخِفّة) .

$$(2) \pm 1,96 \times \sqrt{\frac{0,85(1-0,85)}{26}} = \pm 0,096 = \pm 9,6\%$$

(3) وحتى لو فرضنا ان عدد الموجود في المعجم غير متناه فيبلغ الخطأ المحتمل 13,7% وهو قليل أيضاً .

الدكتور جميل الملائكة

وفي جميع الاحوال لا نقيس الا الحاجة علمية تستدعي القياس . فلفظ (السمك) مثلا معناه خلاف الرقيق وهو مهم في اللغة العلمية . ونحتاج ايضا الى مصدره . ولما كانت (السمكة) و (السمك) بفتح فسكون معناهما الارتفاع ، فقد تجيز لنا هذه الحاجة العلمية ان نقيس (السمك) نقيضا (للرق) ، بموجب هذه القاعدة وضمن هذه الحدود ، والله اعلم .

★ ★ ★

بلاد الروم

قبل الفتح الاسلامي وفي ايامه

الوارث للركن محمد بن حبيب

(عضو الجمع)

الموقع والحدود

كان المسلمون يسمون اقاليم الدولة البيزنطية في جملتها : بلاد الروم .
ولفظ : الروم أي الروماني في المصوّر الاسلاميّة الاولى ، كانت ترادف عند
المسلمين كلمة : الميحي أو النصراني . سواء كان الموصوف بها من اليونان
أو اللاتين .

وكانوا يسمون البحر الابيض المتوسط : بحر الروم ، اسماً لا قرب
الاقاليم المسيحية من بلاد الاسلام .

ومن ثم صارت بلاد الروم اسماً : لآسيا الصغرى عند العرب ، وهي
البلاد العظيمة التي انتقلت نهائياً في نهاية المئة الخامسة الهجرية (القرن
الحادي عشر الميلادي) الى أيدي المسلمين باستيلاء السلجقة عليها .

وكانت الحدود بين بلاد المسلمين وبلاد الروم في أيام بني أمية وبني
العباس ، بل حتى قبل أن يقضي المغول القضاء المبرم على الدولة العباسية في
بغداد بما ينف على قرن ونصف قرن ، تتألف من سلسلتى جبال طوروس
وجبال طوروس الداخلة (أتى طوروس) . وكان يعد هذه الحدود ويحسبها

اللواء الركن محمود شيت خطاب

خط ملويل من القلاع التي تعرف بالشغور ، يمتد من (ملطية) على الفرات الأعلى ، الى (طرسوس) بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وكان المسلمون يفتحون هذه القلاع تارة ويحتلها الروم تارة أخرى .

وتنقسم هذه القلاع الى مجموعتين ، احدهما تحمي الجزيرة ، وتسمى : ثغور الجزيرة ، وهي الشمالية الشرقية ، والثانية تحمي الشام ، وتسمى : الثغور الشامية ، وهي الجنوبية الغربية .

وكان من ثغور الجزيرة : ملطية ، وزبطرة ، وحصن منصور ، وبهنا ، والحدث^(١) . ثم مرعش ، والهارونية ، والكنيسة وعين زربة (عين زربي) ، وهي الثغور الشامية ، أما الثغور الشامية التي بالقرب من الساحل لخليج الاسكندرونة فهي : المصيصة ، وأذنة ، وطرطوس .

يحدها من الغرب : بحر الروم وخليج القسطنطينية وبحر القرم ، ومن الجنوب بلاد الشام والجزيرة ، ومن الشرق ارمينية ، ومن الشمال بلاد الكرج وبحر القرم .

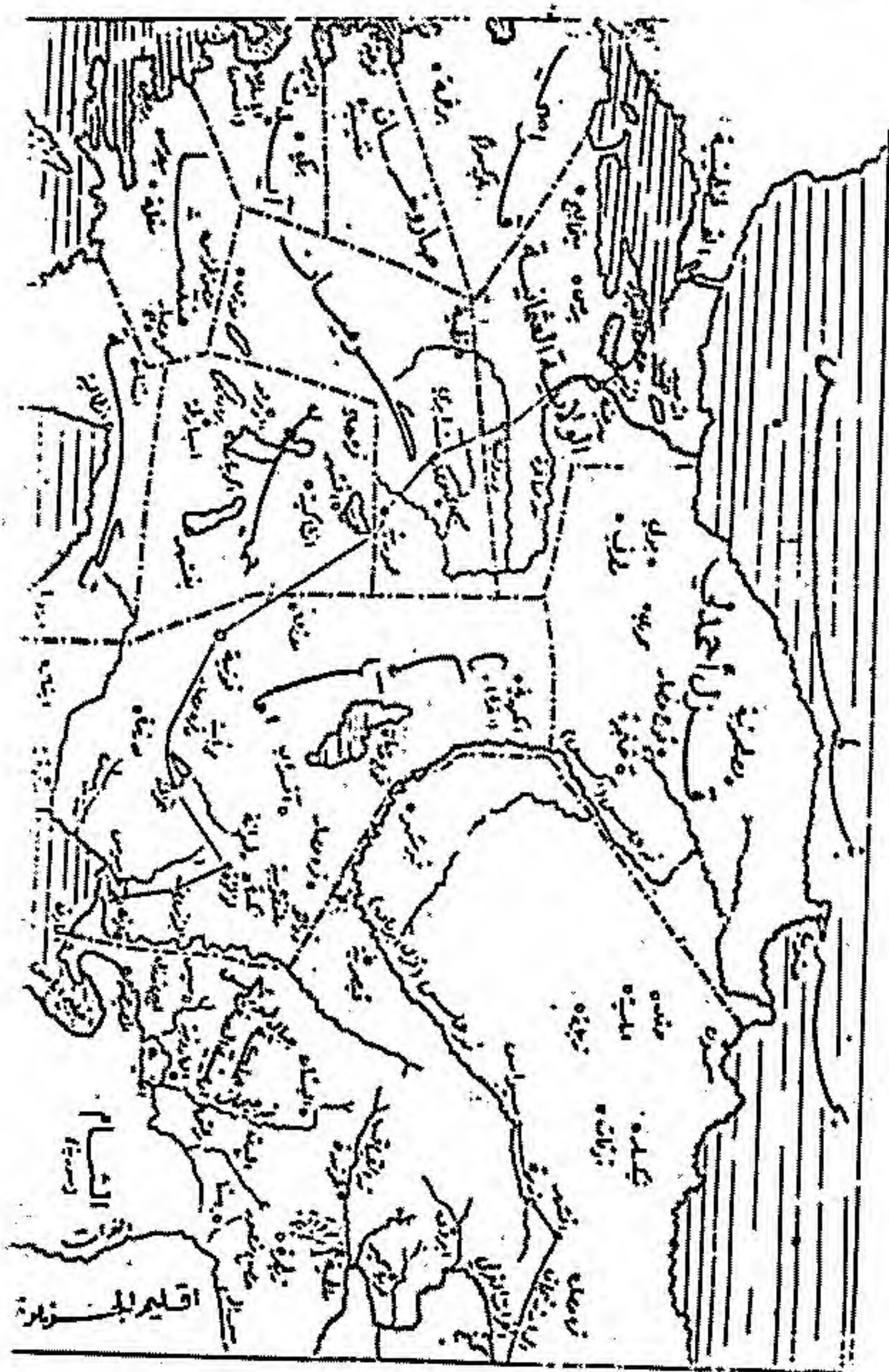
الثغور الشامية

١ - مرعش :

سمها الروم : (مراسيون Marasion) ، ويقال انها قامت في موضع جرمانيقية .

وهي مدينة من الثغور بين الشام وبلاد الروم ، لها سوران وخندق ، وفي

(١) انظر ما ورد عن هذه الثغور في بحث : بلاد الجزيرة قبل الفتح الاسلامي وفي ايامه .



اللواء الركن محمود شيت خطاب

وسطها حصن عليه سور يعرف بالرواني بناء مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، ثم حصنها هرون الرشيد أيضا .

٢ - عين زَرْبِي = عين زَرْبَة :

بلد يشبه مدن الغور ، بها نخيل ، وهي خصبة واسعة الثمار والزروع والمراعي ، ولها سور مكين ، تقع في الجبل ، ذات قلعة مستعالية عنها ، وهي من الشغور من نواحي المصيصة .

٣ - الهارونية :

مدينة صغيرة بالقرب من مرعش بالشغور الشامية في طرف جبل اللكام ، امتدتها هرون الرشيد ، وعليها سوران وأبواب حديد . وجبل اللكام : اسم أطلقه البلديون المسلمون على سلسلة جبال أتى طوروس .

٤ - الكنيسة :

بلد بئر المصيصة ، ويقال لها : الكنيسة السوداء ، وسيت بالسوداء ، لأنها بنيت بحجارة سود ، بناها الروم قديما ، وبها حصن منيع قديم أخرب فيما أخرب منها ، ثم أمر هرون الرشيد ببنائها واعادتها الى ماكانت عليه وتحصينها ، وندب اليها المقاتلة ، وزادهم في العطاء ، بينها وبين الهارونية اثنا عشر ميلا .

٥ - المصيصة :

حصن على ساحل البحر قرب المصيصة ، سى : المثب ، لأنه في جبال كلها مثقبة فيها كوى كبار ، وكان أول من بنى حصن المثب هشام بن عبد الملك .

٦ - المصيصة :

مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم ، تقارب

بلاد الروم

طرسوس ، وهي من ثغور الاسلام ، ذات سور وخسة أبواب ، فتحها عبدالله ابن عبدالملك وبنى حصنها على أساسه القديم ، ووضع فيها سكانا من الجند من أرباب البأس والنخوة ، وبنى فيها سجدا فوق تل الحصن . وبعد وقت قصير من فتحها نشأ في الجانب الآخر من نهر جيحان (نهر بيرامس) ربض أو ضاحية جديدة سبت : كهريا ، بنى فيها عمر بن عبدالعزيز جامعا اتخذ فيه صهريجا ، ثم ان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أنشأ ربضا ثالثا في شرقي نهر جيحان يقال له : الخصوص ، وبنى عليه حائطا وأقام عليه باب خشب ، وخذق خندقا .

٧ - أذنة :

بلد من الثغور قرب المصيصة ، تقع على نهر سيحان (نهر سارس) ، وهي مدينة خصبة عامرة حصينة .

٨ - طرسوس :

مدينة من أهم مدن الثغور الشامية ، تقع بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، بينها وبين أذنة ستة فراسخ ، عليها سوران وخذق واسع ، ولها ستة أبواب ، وهي تشرف على الدرب المشهور عبر طوروس .

وعني الخلفاء العباسيون الأولون ، ولاسيما المهدي وهرون الرشيد بتحصين طرسوس وشحنها بالرجال .

المدن الأخرى

١ - العاليا :

بلدة محدثة ، أنشأها علاء الدين أحد ملوك السلاجقة فنسبت إليه ،

ف قيل لها : العالائية ، ثم خففها الناس وقالوا : العالايا .

وهي بلدة صغيرة على بحر الروم ، وهي من فرض تلك البلاد ، وهي في الجنوب من أنطالية على مسيرة يومين منها ، عليها سور ، وهي كثيرة المياه والباتين ، ومساحتها أصغر من انطالية .

٢ - أنطالية :

بلدة كبيرة من مشاهير بلاد الروم ، وهي حصن من حصون الروم المنيعه تقع على بحر الروم ، ولها بابان الى البحر والى البر ، والمياه جارية بداخل البلد وخارجه ، ولها باتين كثيرة من المحضات وأنواع الفواكه ، تقع غربي قونية وعلى مسافة عشرة أيام منها .

٣ - أنقرة :

اسم للمدينة المسماة : أنكورية ، وهي بلدة لها قلعة على تل عال ، وليس لها باتين ولا ماء سارح ، وشرب أهلها من آبار نبع قرية المدى ، وبين أنقرة وقطمونية خمسة أيام : قطمونية في الشرق والشمال ، وأنقرة في الغرب والجنوب .

وهي مدينة قديمة ، ورد ذكرها في شعر امرئ القيس ، كما ورد ذكرها في شعر أبي تمام الطائي أيضا .

٤ - عمورية :

بلدة كبيرة ، ولها قلعة داخلها حصينة ، وأكثر ساكنيها التركمان ، وبها باتين قليلة ، ولها عين ونهر ، وهي التي فتحها المعتصم الخليفة العباسي في سنة (٢٢٣ هـ) وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية في قصة بلولة معروفه ، وكانت من أعظم فتوح الاسلام .

٥ - آقشار = آق شَهَر :

من أنزه المدن ، وبها بساتين كثيرة وفواكه مفضلة ، تبعد عن قونية ثلاثة أيام شمالا بغرب .

٦ - قونية :

مدينة مشهورة ، لها جبل في جنوبها ، ينبع منه نهر ويدخل الى قونية من غربها ، ولها بساتين من جهة الجبل يقرب من ثلاثة فراسخ ، وبقلعتها تربة افلاطون الحكيم ، ونهرها يبقى بساتينها ثم تصير مياهه بحيرة ومروجا ، والجبال دائرة بها من كل جانب ، وتبعد عنها من جهة الشمال ، والفواكه بها كثيرة ، وهناك المشمش المعروف بقمرالدين .

٧ - قيساريّة = قيساريّة :

بلدة كبيرة ذات أشجار وبساتين وفواكه وعيون تدخل اليها ، وداخلها قلعة حصينة ، وبها دار للسلطنة ، وهي منسوبة الى قيصر ، وفي شرقها مدينة سيواس ، وبين قيسارية وأقصرا أربعة مراحل .

٨ - أقصرا = أقصرا :

بلدة في عرض آقشار وأطول منها ، كثيرة الفواكه ، تحل منها الى قونية على العجل في بسطة من الارض كلها مراعى وأودية ، بينها وبين قونية ثمانية وأربعون فرسخا وكذلك من أقصرا الى مدينة قيسارية ، وبين أقصرا وقونية ثلاث مراحل .

وهي ذات أشجار وفواكه كثيرة ، ولها نهر كبير داخل في وسط البلد ، ويدخل الماء الى بعض بيوتها من نهر آخر ، ولها قلعة كبيرة حصينة في وسط البلد .

٩ - هرقلية :

بلدة في شرقي نهر ينزل من جبل العاليا الى آخر سنوب ، وهرقلة تقع قرب البحر ، وفي شرقيها جبل الكهف ، ويقال : ان فيه الكيف الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الكهف .

١٠ - أماسية :

بلدة كبيرة ، لها سور وقلعة وبساتين ونهر كبير ونواير تسقى بها ، مشهورة بالحن وكثرة المياه والكروم والبساتين ، بينها وبين سنوب ستة أيام ، فيها معدن القضة .

١١ - مكلطية :

بلدة ذات أشجار وفواكه ارضها تحف بها جبال كثيرة الجوز ، وسائر الثمار مباحة لا مالك لها ، وهي قاعدة الثغور ، مسورة في بسط من الارض والجبال تحف بها من بعد ، ولها نهر صغير عليه بساتين كثيرة يسقى ويسر بسور البلد ، وهي شديدة البرد ، تقع في جنوبي سيواس بينهما ثلاث مراحل ، وفي شمالي زبطرة وبينهما مرحلة كبيرة .

وللمطية أيضا قنى تدخل البلد وتجري في دوره وسككه .

١٢ - سيواس :

وهي بلدة كبيرة مشهورة ، وبها قلعة صغيرة ، وهي ذات أعين ، والشجر بها قليل ، ونهرها الكبير يبعد عنها بمقدار فرسخ ، وهي في بسط من الارض ، المسافة بينها وبين قيسارية ستون ميلا ، تقع مدينة أرزن في شرقيها ، وسيواس شديدة البرد .

١٣- تَوَقَّات :

بلدة صغيرة في لحف الجبل ، تقع بين قونية وسيواس ، ذات قلعة حصينة وأبنية مكيئة ، بينها وبين سيواس يومان ، لها بساتين وأشجار وفواكه جيدة ، معتدلة في الحرارة والبرودة ، وهي شمالي سيواس •

١٤- أَرْزَنْ :

مدينة مشهورة قرب خلاط ، وهي آخر بلاد الروم من جهة الشرق ، وفي شرقها وشماليها منبع الفرات •

١٥- القُسْطَنْطِينِيَّة :

مدينة شهيرة جدا ، كانت عاصمة الامبراطورية البيزنطية الشرقية ، بناها قسطنطين سنة (٣٣٠م) ، وهي مسورة بسور حصين ، ارتفاعه ما بين أربعة عشر قدما وعشرين قدما ، ومحيطها أكثر من اثني عشر ميلا •

١٦- مرج الأسقف :

موضع قريب من غرب بدنوس (البذندون) •

١٧- مَطْمُورَة :

بلد في ثغور الروم ، بناحية طرسوس •

١٨- ذُو القلاع :

كانت قلعة مشهورة ، واسمها عند الروم تفسيره : الحصن الذي مع الكواكب •

ويبدو أنها تطابق : (سيدروبوليس Sideropolis) في بلاد القباذق •

١٩- اللؤلؤة :

قلعة قرب طرسوس ، واسمها عند البيزنطيين : لولون ، ، سماها العرب
لؤلؤة ، ليضفوا على اسمها معنى من المعاني .

٢٠- طثوانة :

بلد بثغور المصيصة ، اسمها القديم : تيانا .

٢١- الصفصاف :

كورة من كور المصيصة ، ويرد ذكرها أحيانا : مدينة الصفصاف أو حصن
الصفصاف ، وهي قرب لؤلؤة على طريق القسطنطينية .

٢٢- حصن الصقالبة :

حصن يقع في جنوبي البزندون ، وسمى باسم الصقالبة الذين فروا من
البيزنطيين وعكروا فيه . وكان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قد
جعلهم في هذا الحصن لحراسة الدرب .

٢٣- ملكقونية :

بلد من بلاد الروم ، قريب من قونية ، تفسر د مقطع الرحى ، لان من
جلها يقطع رحى تلك البلاد .

٢٤- أفسوس :

بلد بثغور طرسوس في بلاد الروم .

٢٥- أنطاكية :

مدينة مشهورة تعتبر قصبة العواصم من الثغور الشامية ، وهي من أعيان

البلاد وأمهاتها ، موصوفة بالنزاهة والحن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير .

ولها سور فيه ثلاثمائة وستون برجاً من أبراج المراقبة ، وشكل البلد كنصف دائرة ، قطرها يتصل بجبل ، والور يصعد مع الجبل الى قمته ، وفي رأس الجبل دار الور قلعة تبين لبعدها من البلد صغيرة ، وللور المحيط بها دون الجبل خمسة أبواب .

وبين أنطاكية والبحر نحو فرسخين ، ولها مرسى في بليد يقال له : السريدية ترسى فيه المراكب ، فترفع الأمتعة الى أنطاكية على الدواب .

٢٦ - أطرايزندة = طرايزون :

مدينة من أعيان مدن الروم على ضفة القسطنطينية الشرقي ، وهو المعروف ببحر بنطس (البحر الأسود) . وإلى هذه المدينة انتهى جبل القبق ثم يقطعه البحر ، وهي مشرفة على البحر وماؤه محيط بها كالخندق محفور حولها بأسرها ، وعليه قنطرة إذا ذهبهم عدو قطعوها ، ولها إقليم واسع ، ومقابلها مدينة كراسنده على ساحل هذا البحر الغربي ، وولايتها كلها جبال وعرة ، وهي من أعمال القسطنطينية .

وهي أجل ميناء ، كانت تجلب إليها السلع من القسطنطينية وتحمل منها الى بلاد الاسلام . وكان التجار العرب ووكلاؤهم ينقلون السلع منها عبر الجبال الى ملطية وغيرها من مدن الفرات الأعلى ، وأخص هذه السلع : ثياب الكتان اليوناني ، وثياب الصوف والدياج والأكية الرومية ، وكلها كان يجلب بحراً من الخليج الى البفور .

الجبال والأتهار

١ - الجبال :

بلاد الروم ، أو ما يطلق عليها الجغرافيون المحدثون اسم : آسيا الصغرى (تركيا الحديثة) ، عبارة عن شبه جزيرة عظيمة مكونة لهضبة تحدها الجبال ، وتنحدر على وجه العموم نحو البحر الأسود (٢) .

وتقطع هضبة آسيا الصغرى سلسلة بشتيك في الشمال وجبال طوروس في الجنوب (٣) .

وجبال بلاد الروم المهمة هي : طوروس ، وأتى طوروس ، وهما سلسلتان جبليتان كانتا الحدود بين بلاد المسلمين والروم في أيام بني أمية وبني العباس ، وكان يعين هذه الحدود ويحميها خط طويل من القلاع تعرف بالشغور ، يمتد من ملطية على التفرات الأعلى إلى طرسوس بالقرب من البحر الأبيض المتوسط ، ومن أهم هذه الشغور : المصيصة ، وأذنة ، وطررسوس .

وجبل اللكام اسم أطلقه البلدانون المسلمون على سلسلة جبال أتى طوروس (٤) ، وقالوا في وصفه : «الجبل المشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطررسوس» (٥) ، ثم يمتد إلى ملطية وسيباط وقاليقلا إلى بحر الخزر ، فيسمى هناك جبل القبق (٦) ، وهذا يتصل بجبال القوقاز

(٢) الجغرافية العمومية - اسمدارد بالاشتراك - القاهرة - ١٩١٩ - ص (١٨١) .

(٣) الجغرافية العمومية - (١٦٩) .

(٤) بلدان الخلافة الشرقية (١٦٢) .

(٥) معجم البلدان (٢٣٧ / ٧) .

(٦) معجم البلدان (٢٢٠ / ٧) .

المتدة شمالا وبجبال هندكوش التي تتصل بجبال هماليا (٧) .

ويقطع جبال طوروس دروب كثيرة ، سلك المسلمون اثنين منها بوجه خاص في غزواتهم السنوية لبلاد الروم .

الدرب الأول : درب الحدث ، وهو في الشمال الشرقي ، وكان من مرعش فشالا الى (أبلستين Ablastin) ، وقد عرفت هذه المدينة بـ : (البستان) ، وهي : (أبلثا البيزنطية Ablastho) أي (عربسوس اليونانية Arabissus) ، وكان يحمي هذا الدرب حصن (الحدث Adatha

والدرب الثاني : وكثيرا ما كان يسلك في الأزمنة القديمة ، وهو الدرب الضارب شمالا من طرسوس ، ومنه يأخذ الطريق العام الى القسطنطينية ، وكان هذا الطريق هو الذي يسلكه سعاة البريد وتر منه القوافل والوفود ، كما أنه الطريق التي تتبعه موجات المحاربين من المسلمين والنصارى ، وكان هذا الدرب يعرف في قسمة الجنوبي بدرب اللامة . وقد وصفه ابن خردادبة في كتابه الممالك والممالك ، فقال : « من طرسوس الى العليق اثنا عشر ميلا ، ثم الى الرهوة - أي المكان المنخفض ولعلها : مبكرينة Mopsukrene القديمة - ثم الى الجوزات اثنا عشر ميلا ، ثم الى الجردقوب سبعة أميال ، ثم الى البزندون Podandos سبعة أميال ، ثم الى معكر الملك على حمّة لؤلؤة - لولون Loulon - والنصفان عشرة أميال - قرب فوستينوبوليس Fanstinopolis - وتصير الى معكر الملك وقد قطعت الدرب - النهاية الشمالية من الدرب الذي اخترق الجبل - وأصحرت . ومن معكر الملك الى وادي الطرفاء اثنا عشر ميلا ، ثم الى منى

(٧) الجغرافية العمومية (١٦٩) .

اللواء الركن محمود شيت خطاب

عشرون ميلا ، ثم الى نور هرقله - وهرقله هي أراكيلة الحديثة وهركلية
 Heraclia عند الروم - اثنا عشر ميلا ، ثم الى اللبن ثمانية أميال ،
 ثم الى رأس الغابة خمسة عشر ميلا . ثم الى المسكنين ستة عشر ميلا ، ثم الى
 عين برغوث اثنا عشر ميلا ، ثم الى نهر الاحساء - أي النهر الذي تحت الأرض -
 ثمانية عشر ميلا ، ثم الى ربض قونية - ايكونيوم Iconium
 ثمانية عشر ميلا ، ثم الى العليين خمسة عشر ميلا ، ثم الى ابرومسانة عشرون
 ميلا ، ثم الى وادي الجوز اثنا عشر ميلا ، ثم الى عبورية - آموريون
 Amorion - اثنا عشر ميلا . • وطريق آخر : « من العليين الى عبورية
 يبدأ من العليين الى قرى نصر الاقريطي خمسة عشر ميلا ، ثم الى رأس بحيرة
 الباسليون - بحيرة الاربعين شهيدا - عشرة أميال ، ثم الى السدة عشرة أميال ،
 ثم الى حصن سنادة ثمانية عشر ميلا - وسنادة هي سنادس Synades
 ثم الى مغل خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى غابة عبورية ثلاثون ميلا ، ثم الى
 قرى الحراب خمسة عشر ميلا ، ثم الى صاغرى - وهو Sangarius
 نهر عبورية ميلان ، ثم الى الطلج اثنا عشر ميلا ، ثم الى فلامى الغابة خمسة
 عشر ميلا ، ثم الى حصن اليهود اثنا عشر ميلا ، ثم الى سندابرى - ستابريس
 Santabaris ثمانية عشر ميلا ، ثم الى مرج حصر الملك في درولية -
 دوريليوم Dorylaeum خمسة وثلاثون ميلا ، ثم الى حصن غروبلي
 خمسة عشر ميلا ، ثم الى كنائس الملك - وهي Basilica of Anno Comnena
 ثلاثة أميال ، ثم الى التلول خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى الأكوار خمسة عشر
 ميلا ، ثم الى ملاجنة خمسة عشر ميلا - وملاجنة هي Malagina
 ثم الى اصطبل الملك خمسة أميال ، ثم الى حصن القبراء - وهي كيبوتس
 Kibotos - ثلاثون ميلا ، ثم الى الخليج - وهو بوسفور

بلاد الروم

القسطنطينية Bosphorus — أربعة وعشرون ميلاً ، ونيقية بازاء القبراء
(أي جنوب القبراء) (٨) .

وهذا هو ما يطلق عليه الدرب ، واذا أطلق هذا اللفظ أريد به ما بين
طرسوس وبلاد الروم لأنه مضيق كالدرج ، وإياه عنى امرؤ القيس بقوله :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه

وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما

نحاول ملكاً أو نسوت فتعذرا (٩)

ولجبال طورس وأتى طورس فروع يذكر قسماً منها البلدانون
المسلمون بأسماء مختلفة ، وهي عبارة عن فروع من طورس وأتى طورس .

٢ — الأنهار :

أهم أنهار بلاد الروم نهران هما : سيحان وجيحان ، وقد أطلق المسلمون
على نهر (سارس Sarus) اسم نهر سيحان ، وأطلقوا على نهر (بيرامس)
اسم نهر جيحان ، وكانا حداً مائياً بين بلاد المسلمين وبلاد الروم .

ومنابع هذين النهرين في المرتفعات شمال أرمينية الصغرى ، وكان نهر
جیحان الذي كان يقارب نهر الفرات في الكبر ، وتسميه العامة : جهان ، يسير
من الشمال الى الجنوب بين جبال في حدود الروم ، حتى يمر بالمصيصة من

(٨) المسالك والممالك لابن خردادبة (١٠٠ و ١١٠ و ١١٢) وقد جاء في (١٠٢) —
(١٠٣) وصف طرق تختلف بعض الشيء عن هذا الطريق ، وانظر كتاب
بلدان الخلافة الشرقية (١٦٦ — ١٦٧) .

(٩) معجم البلدان (٤ / ٤٨) .

اللواء الركن محمود شيت خطاب

شمالها ، وجريانه عندها من الشرق الى الغرب ، ويتجاوز المصيصة مغرباً ويصب بالقرب منها في بحر الروم^(١٠) بمدينة تعرف بكفريا بأزاء المصيصة ، وعليه عند هذه المدينة قنطرة عجيبة رومية من حجارة قديمة عريضة ، فيدخل منها الى المصيصة وينفذ منها فيتد أربعة أميال ، ثم يصب في بحر الروم^(١١) .

أما نهر سيحان الذي يمر ببلاد الروم ، فيجري من الشمال الى الجنوب غربي مجرى جيحان ، وهو دون جيحان قدراً فهو أصغر منه ، ويمر على سور أذنة من شرقها ويتجاوز أذنة ، وهي دون مرحلة عن المصيصة ، ويلتقى مع جيحان تحت أذنة والمصيصة ، ويصيران نهراً واحداً ، ويصبان في بحر الروم^(١٢) . ونهر سيحان هو الذي ذكره المتنبى في مدح سيف الدولة فقال :

أخو غزوات ما تغيب سيقه رقابهم الا وسيحان جامد

يريد أنه لا يترك الغزو الا في شدة البرد اذا جمد سيحان^(١٣)

ونهر حماة ، ويسمى نهر : الأرنت ، والنهر المقلوب لجريه من الجنوب الى الشمال ، ويسمى أيضاً : العاصي ، لأن غالب الأنهر تسقى الارض بغير دوايب ولا نواعير بل بأنفسها تسقى الارض ، ونهر حماة لا يسقى الا بنواعير تنزع منه الماء . وهو يجري بكلية من الجنوب الى الشمال ، وأوله نهر صغير من ضيعة قريبة من بعلبك تسمى : (الراس) في الشمال من بعلبك على نحو مرحلة عنها ، ويسير من الراس شمالاً حتى يصل الى مكان يقال له : (قائم

(١٠) تقويم البلدان (٥٠) .

(١١) معجم البلدان (٣ / ١٨٦) .

(١٢) تقويم البلدان (٥٠) .

(١٣) معجم البلدان (٥ / ١٩١) .

بلاد الروم

الهرمل (بين جوسية ^(١٤) والراس ويسر بوادٍ هناك ، وينبع من هناك غالب النهر المذكور من موضع يقال له : (مغارة الراهب) • ويسر شمالاً حتى يتجاوز جوسية ويصب في بحيرة : قدس ^(١٥) ، في غربي حمص ، ويخرج من البحيرة ويتجاوز حمص الى : الرستن ^(١٦) ، الى حماة ، ثم الى شيزر ^(١٧) ثم الى بحيرة : أفامية • ثم يخرج من بحيرة أفامية ويسر على : دركوش ، الى جسر الحديد ، وذلك جميعه في شرقي جبل اللكام •

فاذا وصل الى جسر الحديد ، ينقطع الجبل المذكور هناك ، ويستدير النهر المذكور ، ويرجع ويسر جنوباً ومغرباً ، ويسر على سور أنطاكية حتى يصب في بحر الروم عند السويدية ^(١٨) •

ويصب في نهر الأرنت المذكور عدة أنهر ، منها نهر منبعه من تحت أفامية ، يسر مغرباً الى بحيرة أفامية ، ويختلط بنهر حماة • ومنها نهر في شمالي أفامية على نحو ميلين ويعرف بالنهر الكبير ، يسر مدأ قريباً ويصب أيضاً في بحيرة أفامية ، ويخرجان منها مع نهر الأرنت • ومنها النهر الاسود ، يجري من الشمال ، ويسر تحت دريساك ^(١٩) ، ونهر يغرا ^(٢٠) ، ومنبعه قريب يغرا ،

(١٤) جوسية : قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق انظر معجم البلدان (١٧١ / ٢) •

(١٥) قدس : بلد قرب حمص ، تضاف بحيرة قدس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٠ - ٨١ / ٢) و (٣٥ / ٧) •

(١٦) الرستن : بليدة قديمة بين حمص وحماة ، انظر معجم البلدان (٢٤٩ / ٤) •

(١٧) شيزر : قلعة قرب المعرة ، انظر معجم البلدان (٣٢٤ / ٥) •

(١٨) السويدية : شمالي اللاذقية ، وهي ميناء أنطاكية ، انظر تقويم البلدان (٢٩) •

(١٩) دريساك : بلدة من جند قنسرين ، ذات قلعة مرتفعة ، انظر تقويم البلدان (٢٦٠ - ٢٦١) •

(٢٠) يغرا : قرية على نهر باسمها بالقرب من بحيرة أفامية ، انظر تقويم البلدان (٤٢) •

اللواء الركن محمود شيت خطاب

ويصب في النهر الاسود المذكور ، ويصبان في بحيرة أنطاكية ، أيضا . ونهر غفرين (٢١) ، يأتي من بلاد الروم ، ويسر الراوندان (٢٢) الى الجومة (٢٣) ، ويسر في الجومة ويتجاوزها الى العمق (٢٤) ، ويختلط بالنهر الاسود ، وتصير هذه الانهر الثلاثة ، أعني النهر الاسود ونهر يغرا ونهر غفرين نهراً واحداً ، ويصب في بحيرة أنطاكية ، ويخرج منها ويصب في نهر عاصي حماة فوق أنطاكية بالغرب منها (٢٥) .

أما نهر أنقرة فيسقي مروجها وضياعها ، ويصب في بحر الروم ، وجريانه من الجنوب الى وسط الشمال (٢٦) .

أما نهر هرقله ، فينزل من جبال العلایا (٢٧) الى جهة سنوب (٢٨) ، وهرقله على شرقي هذا النهر قرب البحر (٢٩) .

والبردان نهر بغير طرسوس ، مجيئه من بلاد الروم ، ويصب في بحر الروم على ستة أميال من طرسوس : « ولا أعرف بالشام موضعاً أو نهراً يقال

(٢١) غفرين : اسم بلد على نهر باسمها ، انظر معجم البلدان (٦ / ١٨٩) ، ويبدو انها قريبة من قنرين وحلب .

(٢٢) الراوندان : قلعة حصينة وكورة طيبة معشبة مشجرة ، من نواحي حلب ، انظر معجم البلدان (٤ / ٢١٤) .

(٢٣) الجومة : من نواحي حلب ، انظر معجم البلدان (٣ / ١٧٦) .

(٢٤) العمق : كورة بنواحي حلب ، انظر معجم البلدان (٦ / ٢٢٤) .

(٢٥) المعلومات الخاصة بنهر حماة من : تقويم البلدان (٤٩ - ٥٠) .

(٢٦) تقويم البلدان (٥٠ - ٥١) .

(٢٧) علایا : بلدة محدثة صغيرة في الجنوب من انطاليا على بحر الروم ، انظر تقويم البلدان (٢٨٠ - ٢٨١) .

(٢٨) سنوب : بلدة بالقرب من القسطنطينية .

(٢٩) تقويم البلدان (٥١) .

بلاد الروم

له : البردان غيره » . والبردان أيضاً نهر يسقى بساتين مرعش وضياعها ، مخرجه من أصل جبل مرعش ، ويسمى هذا الجبل : الأقرع^(٣٠) ، ويصب في بحر الروم ، وهو نهر كوردس القديم .

وعلى مرحلة طرسوس ، نهر كان يؤلف حداً مائياً في الازمنة الاولى ، وهو نهر (لموس Lamos) ، سماه العرب نهر : اللامس ، وعليه يكون النداء اذا فودي بين المسلمين والروم^(٣١) .

ونهر الفرات الذي ينبع من شمالي مدينة أرزن الروم وشرقيها ، وأرزن في آخر حد بلاد الروم من جهة الشرق ، ثم يأخذ النهر الى قرب ملطية ، ثم يأخذ الى سيباط ، ثم يأخذ مشرقاً ويتجاوز قلعة الروم ، وهي حصن منيع على جنوبي الفرات وغربيها ، وير الفرات مع جانب الحصن من شماليه وشرقيه ، ثم يدخل الفرات بلاد الشام ، ومنه الى العراق^(٣٢) ، وقد ذكرنا الجزء الذي يمر ببلاد الروم فقط من هذا النهر .

أما نهر دجلة ، فينبع من جبال شهرزور فوق آمد على حدود ارمينية ، وير بجبال السلسلة ، ثم بمدينة آمد ومدينة ميفارقين في ديار بكر اقليم الجزيرة قبل أن يصل الى مدينة الموصل .

وقد ذكرنا الجزء الذي يمر ببلاد الروم والجزيرة فقط من هذا النهر ، لان هذا ما نحتاج اليه في هذا المكان^(٣٣) .

وتكثر العيون في بلاد الروم ، لتساقط الثلوج شتاء ، وذوبانها في الربيع

(٣٠) معجم البلدان (٢ / ١١٥) .

(٣١) بلدان الخلافة الشرقية (١٦٥) .

(٣٢) انظر التفاصيل في : تقويم البلدان (٥١ - ٥٢) .

(٣٣) انظر التفاصيل في : تقويم البلدان (٥٢ - ٥٧) .

اللواء الركن محمود شيت خطاب

والصيف ، فترقد العيون والانهار بهذه المياه •

وعلى كل حال ، فان المياه متوفرة في جميع أصقاع بلاد الروم •

الموارد الاقتصادية

١ - مجمل الزراعة والصناعة :

بلاد الروم عموما غنية في انتاجها الزراعي ومواردها الطبيعية ، يرويها

بضعة أنهر كبيرة وصغيرة ، وعيون كثيرة جداً ، والامطار ومياه الثاوج •

وقد ذكر قسم من البلدانين المسلمين بعض ما يتيسر في تلك البلاد من

موارد اقتصادية ينعم بها سكانها المحليون ، ويصدرون ما يفيض منهم على

حاجاتهم المعيشية •

فالعلايا كثيرة المياه والباتين^(٣٤) ، وأنطالية بداخل البلد وخارجه المياه

جارية ، ولها باتين كثيرة من الحمضيات وأنواع الفواكه^(٣٥) • وأنطاكية

موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة

الخير ، تزرع الحنطة والشعير تحت شجر الزيتون ، قراها متصلة ورياضها

مزهرة ومياهها متعجرة^(٣٦) • ومدينة آق شهر (أقشار) من انزه المدن ، وبها

باتين كثيرة وفواكه مفضلة^(٣٧) وأماسية لها باتين ونهر كبير ونواعير تسقى

بها ، وهي مشهورة بالحسن وكثرة المياه والكروم والباتين^(٣٨) • وأذنة في

(٣٤) تقويم البلدان (٢٨١) •

(٣٥) تقويم البلدان (٢٨١) •

(٣٦) معجم البلدان (١ / ٣٥٤) •

(٣٧) تقويم البلدان (٢٨٢) •

(٣٨) تقويم البلدان (٢٨٤) •

بلاد الروم

مرج وقرى متدانية جداً وعمارات كثيرة ، وهي على نهر سيحان (٣٩) . ومدينة
توقات لها بساتين وأشجار وفواكه جيدة (٤٠) . ومنطقة (سيواس Sebastia
مشهورة بثياب الصوف التي تحلل منها ، وهي ذات هواء بارد يكثر فيها القطن
والقمح (٤١) . وعمورية لها دخل وافر ، ولها رحي "تغل مالا" (٤٢) ، وبها بساتين
قليلة ، ولها عين ونهر (٤٣) . أما قيسارية فبلدة كبيرة ، ذات أشجار وبساتين
وفواكه وعيون تدخل إليها (٤٤) . ومدينة قونية لها جبل في جنوبها ، ينزل
منها نهر ويدخل الى المدينة من غربها ، ولها بساتين من جهة الجبل ، ونهرها
يسقى بساتينها ثم تصير عنه بحيرة ومروج ، والفواكه بها كثيرة ، وهناك
الشمس المعروف بقصر الدين (٤٥) الذي يصدر الى العراق والجزيرة وبلاد
الشام ، وينمو في مزارعها القطن والقمح (٤٦) . ومدينة المصيصة على شاطئ
نهر جيحان ، وبها بساتين كثيرة يسقيها هذا النهر (٤٧) . ومدينة ملطية ذات
أشجار وفواكه وأنهار ، ويحتف بها جبال كثيرة الجوز وسائر الثمار مباحة لا
مالك بها ، ولها نهر صغير عليه بساتين كثيرة (٤٨) . ومياه بلاد الروم كثيرة
غزيرة (٤٩) ، والارض التي بين القسطنطينية وأنطاكية مأهولة مكنونة لاتقطع

(٣٩) معجم البلدان (١ / ١٦٦) .

(٤٠) تقويم البلدان (٣٨٥) .

(٤١) بلدان الخلافة الشرقية (١٧٩ - ١٨٠) نقلا عن المستوفى .

(٤٢) معجم البلدان (٦ / ٢٢٧) .

(٤٣) تقويم البلدان (٣٨١) .

(٤٤) تقويم البلدان (٣٨٢) .

(٤٥) تقويم البلدان (٣٨٢) .

(٤٦) بلدان الخلافة الشرقية (١٨١) .

(٤٧) معجم البلدان (٨ / ٨٠) .

(٤٨) تقويم البلدان (٣٨٥) .

(٤٩) صورة الارض (١٨١) .

اللواء الركن محمود شيت خطاب

سابقتها من نواحي أنطاكية ورستاقها ، وهو رستاق كثير الخير والمير الى خليج القسطنطينية ^(٥٠) ، وما يقال عن اقليم أنطاكية يقال عن سائر أقاليم بلاد الروم .

وما ذكر عن خيرات المدن ، يشمل أقاليم تلك المدن أيضاً وقراها ، فهذه البلاد زراعية بالدرجة الاولى ، وأرضها مزروعة أو مروج ومراعٍ للأغنام والماشية والأبقار والخيول والبغال والحمير .

وحاصلات البلاد الزراعية تتلخص في : القمح ، والشعير ، والعدس ، والحمص ، والباقلاء ، والبصل والثوم ، والقطن ، وأنواع الفواكه ، والحمضيات ، وأنواع المخضرات ، والزيتون ، والجوز ، واللوز ، والنسقي ، والبندق ، والبلوط ، والكروم .

ويصنع فيها النيد ، وتربى بها دودة القز ^(٥١) ، والأغنام ، والمواشي ، والأبقار ، وتصدر الى بلاد الشام والجزيرة والعراق المواشي والأغنام والأبقار والبغال .

أما الصناعة في البلاد ، فموجزها هي : أن المصينة كانت تعمل بها الثراء التي تحصل الى الآفاق ، وربما بلغ ثمن القرو ثلاثين ديناراً ^(٥٢) ، وكانت سيواس مشهورة بثياب الصوف التي تحصل منها ^(٥٣) ، وكانت تجلب السلع الى طرابزون من القسطنطينية ، وأخص هذه السلع : ثياب الكتان اليوناني ، وثياب الصوف والدياج ، والأكسية الرومية ، وكلها يجلب من الخليج أي

(٥٠) صورة الارض (١٨٢) .

(٥١) الجغرافية العمومية (١٨١) .

(٥٢) معجم البلدان (٨ / ٨٠) .

(٥٣) بلدان الخلافة الشرقية (١٦٨) نقلا عن : صورة الارض لابن حوقل .

اليسفور ، وكان في ملقونية يقطع الرحي لتلك البلاد من جبل تلك المدينة (٥٤) .
٢ - الزراعة :

كانت الارض أسلم أنواع الاستثمار المالي ، لأن الأرض شيء ثابت ، فوضع صاحب رأس المال ماله في الأرض ، وكذلك فعلت الدولة ، لأن الأرض كانت ضمن موارد دخلها ، وكان الكيان المالي تبعاً لذلك ، يستند في الدولة البيزنطية على دعامة رئيسية هي ضريبة الأرض التي كانت تجبى في كل مكان بشدة وقسوة وبدون لين أو رحمة .

وكانت ضريبة الأرض تجمع على شكل جزء من محصول الأرض ، لتموين الجيش والموظفين المدنيين ، وكان على الولايات أن تقدم من ضرائبها الجرايات التي لم يكن الامبراطور على استعداد لشراؤها ، فكان يصدر مرسوم يسمى : (التفويض الالهي) تقدر فيه نفقات الامبراطورية ، ومقدار ما ينبغي على الفرد دفعه في العام التالي .

وقد قست الأرض الى درجات ، روعى في تقسيمها قدرة تربتها على على الانتاج : فهناك الصحراء التي لا يبللها القطر فتعجز عن الانبات ، وهناك الأرض التي يمكن استصلاحها ، وهناك أرض تغذيها الأنهر مباشرة أو بالتواوير ، وهناك أرض تغرها المياه فيتعذر النمو على البذور . وتتوقف درجات الانتاج الزراعي على هذا التصنيف الواضح للأرض ، وكانت الدولة تفرض حقوقها على المزارعين بعد أن تصنف وتسجل هذه الاختلافات في نوعية الأرض ، وتضع خطأ بياناً يحدد طاقة كل منهم . فمثلاً كانت الوحدة المكونة من خمسة أفدنة من الكروم ، تساوي عشرين فدناً من الأرض المحروثة ،

(٥٤) معجم البلدان (٨ / ١٥٢) .

اللواء الركن محمود شيت خطاب

وتساوي خمسا وعشرين ومائتي شجرة من الزيتون اذا كانت الارض تلالا .
 وكانت هناك ثلاثة أنواع من الارض المزروعة ، جعلت مساحة الواحدة منها
 عشرين فدانا وأربعين فدانا وستين فدانا ، بالنسبة لانتاجها الزراعي كل سنة .
 وهكذا قسمت الأرض المنتجة الى وحدات ضرائبية ، تقدر على الأغلب
 بناء على شهادة أصحاب الأرض في مدد منظمة بين حين وآخر ، وكانت هذه
 الضريبة تجبى على الأرض المثلوجة .

ومن الواضح أن نظاما كهذا النظام ، لم يكن ليستطاع تطبيقه بنجاح
 الا اذا احتفظ بالتعادل بين وحدات الأرض ووحدات العمل التي كانت مرتبطة
 بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، وكانت المحافظة على هذا التعادل مصدر قلق
 للمالك والحاكم البيزنطي ، وكان من نتائج هذا القلق الدائم تسميم الحكومة
 على ربط الفلاح الحر (معر الأرض Colonus) بالأرض التي يحراثها .

وعلى ذلك ، حين يقرر (التخويض الالهي) حاجة الامبراطورية من المال
 اللازم لادارتها في السنة المقبلة ، توزع هذه الكمية الضخمة من المال المطلوب
 على ألوية الامبراطورية ، ويقوم حاكم اللواء بتقسيمها بين الولايات التي
 ينقسم اليها لوائه ، ثم يعهد لحاكم الولاية بتوزيع هذا الحمل بين بلديات
 الولاية ، ويعهد لأعضاء البلديات تقرير ماتدفعه كل من القرى الواقعة في نطاق
 بلدهم ، وأخيرا يقوم موظفو القرية بتقدير المبلغ الذي يخص كل وحدة ضريبة
 في نواحيهم .

وكان هناك ميل قوي خلال القرن الرابع للميلاد ، لاستبدال ما يعادل
 الضريبة العينية من المال بالضريبة العينية ، وانتهى الأمر بتعميم قبض الضريبة
 مالا لاعينا ، وجعل ذلك اجباريا ، وأصبح (التخويض الالهي) يقرر الضريبة
 المالية المعادلة لها في نفس الوقت .

وكان الحاكم المطلق يضع نصب عينيه دائماً أن يهيئ لرعاياه بأي ثمن ،
الوسيلة لزراعة الأرض وتوفير الأيدي العاملة لها . ولهذا كان رجال الدولة
البيزنطية ينظرون الى ما كان يعد اليه الفلاحون الأجرار من العمل عند غيرهم
بالتعاقد مع من يعطيهم أكبر أجر ممكن ، على أنه خطر اقتصادي ، فربطوا
الفلاح بالأرض التي يشتغل عليها . وهكذا أصبحت الطريقة التي يعمر بها
الناس الأرض تقوم على أساس تشريعي ، ذلك أن معمر الأرض كان شخصاً
متميزاً عن العبد ، وكان يعتبر عاملاً حراً له الحق في أن يحوز أرضاً وأن
يملكها ، الا أنه أصبح مجبراً على القيام بواجبه في زراعة قطعة معينة ثابتة
له من أرض الدولة ، أو الأرض الداخلة في حدود أرض يمتلكها مالك كبير .

ولم يقف الأمر عند اجبار الناس على الاستقرار في قطع معينة من الأرض
والزامهم بزراعتها ، بل ألزمت الجماعة بعد ذلك بضمان هذا الالتزام ، وأصبح
مفروضاً على هيئة كبراء كل بلد الذين كانوا يكونون مجلسها ، أن يلتزموا
بسداد الضرائب المستحقة على البلد وما يعيط به من القرى في حالة ما اذا
هرب أحد الملاك ولم يخلفه في القيام بالتزاماته أحد . وما دامت المدينة
تتحمل هذه المسؤولية الاجتماعية ، فقد أصبح من الضروري أن يوضع ضمان
لذلك لصالح الخزانة ، فكونت مجالس جديدة لتحمل هذا العبء . وترينا
سجلات ذلك العصر ، كيف كان هذا الحمل ثقيلاً ، فبينما كان الفنى يستطيع
أن يرشو ليحصل على الاعفاء ، كان الفقير لا يجد من يعينه حيثما وجه وجهه ،
وليس أمامه الا القنوط والاستلام أو الهرب بجلده . واذا هجر أرضه ، فإن
المال المقدر عليه ، يقع على كاهل الباقيين في أرضهم . وهدد الخراب الطبقات
المتوسطة ، وأخذ القروي والمزارع يبحث عن يحميه من مطالب الدولة ، وكان
المالك الكبير على استعداد للقيام بحمايته ، فتمكن بذلك من أن يحقق غاية
في نفسه ، اذ أصبح ولياً للقرية يدين له أهلها بالولاء ، وأخذت هذه العلاقة

بينهم وبينه أشكالا عديدة كان أشيعها أن يتنازل المزارع لذلك المالك الكبير عن أرضه ، ويصبح مزارعاً عنده .

وقد تميز القرنان الخامس والسادس لليلاد ، بنمو قوة الملاك الكبار ، وأصبح تاريخ الامبراطورية من وجهة الزراعة نزاعاً بين الدولة وهؤلاء الملاك الكبار . وشهد القرن السادس الميلادي جماعات من المواطنين يكوّنون عصابات مسلحة ، وكانت هذه العصابات تهديداً مباشراً للأمن في الولايات ، وكانت خصومات النبلاء الكبار صوراً للرعب المقيم ، وكانوا بعصاباتهم المنظمة يتحدون السلطات المدنية ، ولكن غزوات الصقالية من الشمال ، وغزوات الفرس والعرب من الشرق والغرب ، استطاعت أن تكسر شوكتهم .

وحين استتب النظام ثانية في عهد بيت هرقل ، كانت هناك فرصة للمالك الصغير ، إلا أن الملاك الكبار ، بذلوا محاولات لتسكين سلطانهم على المزارعين الصغار .

وبالامكان التأمل في حياة المزارع القروي البيزنطي ، ولكن علينا أن نميز قبل كل شيء بين القرية الحرة والقرية المملوكة لواحد من كبار الملاك . كان الفلاحون في كلتا القريتين مرتبطين بالأرض التي يزرعونها ، إلا أن الأرض في القرية المملوكة للسيد ، يكون مالكيها هو المسؤول أمام الدولة عن جميع الضرائب بالنيابة عن عبيده ممن ليس لهم الحق في امتلاك الأرض ، فهي دائماً تحت تصرف سيدهم . أما الأرض في القرية الحرة التي يملكها المعشرون ، فتخصص جماعة القرية أو المزارعين أنفسهم ، وكان هؤلاء أحراراً في امتلاك الأرض أو التصرف بها . وإذا دخلنا قرية حرة ، لرأينا أرضها تشتمل على الكروم والبساتين التي كانت تزرع فيها الخضار ، وكذلك الأرض المفلوحة والمراعي . وكانت الكروم والبساتين تحاط بخنادق وسياجات شائكة تشدها

الأوتاد ، وكانت الماشية تتعرض للأذى إذا اقتحمتها . أما الأرض غير المفلوحة فلم تكن مسورة ، وكانت على الاغلب ملكاً للأفراد يستطيع المزارع أن يتصرف بها كما يشاء في حدود ملكية جماعته . وكانت المراعي تكون الأرض غير الصالحة للزراعة ، كالأحراش التي لم تقطع أشجارها ، والأرض الوعرة ، وكانت هذه المراعي تقع في أطراف القرية بعيدة عن مركز الحياة فيها ، وكانت على الأغلب ملكاً للجماعة ، ثم يمتلكها المزارعون قطعة قطعة ، ثم تنظف وتعد للزراعة ، ثم تقسم على المزارعين ، وبهذا تدخل قطع جديدة في ملكية الأفراد . وقد تكون الأحراش ملكاً للأفراد ، فإذا أراد أحد المزارعين أن يزرع قطعة منها ، طلب الى صاحبها أن يأذن له بزراعتها ، ويستطيع بذلك أن يشتريها ويحتفظ لنفسه بملكتها ثلاث سنين تعود بعدها الى صاحبها ، ولكنه إذا زرعها بدون إذن ، فقد الحق في المطالبة بحصولها .

وكان رعاة الماشية يسوقونها في الصباح الى هذه الأحراش العامة لترعى ، تصحبهم كلابهم القوية الشرهة ، حتى إذا اصطليح الأفق بحمرة الشفق عادوا بها الى حظائرهم . وكان كل خروف أو ثور يحمل جرساً حول عنقه لئلا يضل ، وإذا تجرأ لص وقطع الجرس وتسبب عن ذلك ضلال الحيوان وضياعه ، ألزم بدفع تعويض مقابل تلك الخسارة .

وكانت دعامة ثروة جماعة القرية هو ما تملك من قطعان الماشية بأنواعها ، وكان الراعي يأخذ أجره على عمله ، فيعهد اليه المالك الصغير بثوره الخاص وخروفه فيرعاهما مع القطيع : فإذا شرد حيوان وأحدث ضرراً للأرض المزروعة أو الكروم ، لم يضع على الراعي أجره ، ولكن ألزم بتعويض الخسارة . وكانت الحيوانات المفترسة تحوم حول القرية ، كالذئاب التي كانت تترصد الخراف والحصير لتفترسها ، وإذا هاجمت هذه الوحوش القطيع ليلاً ، فالويل كل

اللواء الركن محمود شيت خطاب

الويل للص الذي يتضح أنه سرق كلب الحراسة ، اذ كان يلزم بدفع قيمة الخسارة ، فيدفع تعويضات عن القطيع كله والكلب . وكان يسمح للماشية بعد حصاد الأرض أن ترعى بقايا الزرع ، الا أنه لم يكن يسمح لرجل أن يطلق ماشيته في أرضه الا اذا فرغ كل جيرانه من حصادهم .

أما مكانة المزارع ، فقد يكون صاحب حصة من الأرض ، ويستطيع في هذه الحالة أن يتصرف بها تصرفاً مطلقاً في حدود دائرة جعاعته . وقد يكون مستأجراً للأرض ، وهو في هذه الحالة أحد اثنين : اما مزارع لمزرعة في حالة جيدة ، أو مستأجر لأرض لم تكن تزرع على شرط أن يعيدها لصاحبها بعد أجل معين ، ففي الحالة الأولى يقوم المالك بتقديم المال الرئيس لاقامة ما يلزم من المنشآت في المزرعة ، ولا تؤجر المزرعة في هذه الحالة الا لمدة قصيرة قد تكون سنة ، فيدفع المزارع للسيد أجراً باهظاً يبلغ نصف المحصول السنوي ، وهو ما يقابل في حسابنا أكبر ايجار يمكن دفعه ، وعلى المؤجر في الحالة الثانية أن يقدم رأس المال ، أي أنه في واقع الأمر يقوم بإنشاء مزرعة جديدة ، ويكون استجاره للأرض على هذا اما للأبد أو لعدد كبير من السنين ، ويدفع عادة أجراً يساوي عشر المحصول . وربما كان يلزم بمقتضى شروط أخرى ، أن يؤدي لصاحب الأرض بعض الخدمات ، أو أن يؤدي اليه كميات من المحصول .

وكانت روابط القرابة في الجماعات القروية متينة جداً بطبيعتها ، واذا وجدنا فلاحين مشتركين في ملكية أرض ، فلا بد أن نجد أنها متصاهران في نفس الوقت غالباً . فاذا أراد أحدهما أن يبيع نصيبه كله كان لقريبه حق الشفعة اذا دفع ثناً مساوياً لما يدفعه أي غريب عنهما ، وحتى اذا لم يكن المتجاورون أقرباء وكانوا شركاء ، تتعوا بحق مشابه .

لكن حق المزارع الحر في التصرف لم يكن يخلو من خطر ، فقد كان

المالك الكبير دائم السعي لتوسيع ملكه ، فكان من السهل عليه أن يضطر المالك الصغير الحر الى التخلي عن أرضه لجاره القوي . وحاول التشريع الاصلاحى في القرن العاشر الميلادى أن يحرم على المالك الكبير حيازة أرض علاوة على أملاكه الأخرى في حدود أرض القرية ، سواء كان ذلك عن طريق الهبة ، أم لاعتبار آخر مهم ، وسواء أكان ذلك المالك سيداً مدنياً أم هيئة كنيّة . ولكن هذا المنع لم يكن ليعيش طويلاً في هيئته هذه ، ولهذا عدلت القوانين ، وأخذت بالقاعدة التي تقول بأن انتقال الملكية لا يصح الا بين ناس من نفس الطبقة الاجتماعية ، الفقير ينتقل للفقير ، والغني للغني ، أي كل لمن هو من طبقة في كل حالة . وتداعت القاعدة القانونية لنقل الملكية نقلاً مطلقاً من كل قيد أمام ما كانت السياسة تفرضه على رجال الدولة من حماية الضعيف ، وظل مركز المالك الكبير القوي بالنسبة للمزارع الصغير الضعيف ، في الامبراطورية البيزنطية الشرقية وسلامته يعتبران القاعدة التي يجب أن تنحني أمامها سائر النظريات القانونية ، وبقي المجتمع مقسماً الى طبقات بعضها فوق بعض ، وكان ذلك دعامة بناء المجتمع في القرن الرابع الميلادى ، كما كان دعامة في القرن العاشر الميلادى أيضاً (٥٥) .

٣ - التجارة والصناعة :

كانت التجارة مع الشرق تحتل المكان الأول من الأهمية بالنسبة لاطاليا في عصور الامبراطورية الاولى ، فقد كانت تتورد من الشرق أسباب الترف التي كانت قد أصبحت من ضروريات الغرب . وكانت التجارة مع الشرق

(٥٥) مقتبس من الفصل السادس ، بعنوان : ملكية الأرض والضرائب ، كتاب : الامبراطورية البيزنطية - نورمان بيتز - تعريف الدكتور حسين مؤنس ومحمود يوسف زائد - ط ٢ - القاهرة - ١٩٥٧ . ص (١٢٩ - ١٤٦) .

اللواء الركن محمود شيت خطاب

لا تزال تستنزف معظم نشاط تجار الروم ، بعد أن نقلت العاصمة من رومة الى القسطنطينية . وكانت الدولة بدورها تبدي اهتماما بالتجارة ، اذ أن كنوز الهند والصين التي كانت الدولة تغدقها على أمراء القبائل المتبريرة في الغرب ، كانت كافية لابقاء على سيادتها الامبراطورية حتى في النواحي التي لم تكن جيوشها قادرة على السيطرة عليها .

وكانت هناك ثلاثة طرق يمكن للسلالات الشرقية أن تصل عن سبلها من الشرق الأقصى الى التاجر الرومي : كان أقصرها يعبر واحات بلاد الصغد (سمرقند وبخارى) مخترقا فارس ، ومن ثم الى حدود الامبراطورية البيزنطية . والثاني يخترق المحيط الهندي الى البحر الأحمر ، والثالث وهو طريق أكثر صعوبة ، يستد من وسط آسيا الى بحر الخزر ، ومن ثم الى البحر الأسود بعيداً عن دولة فارس . وقد ازداد الاقبال على الحرير بصورة مضطردة مع زيادة أسباب الترف ، وأصبح ارتداء الثياب الحريرية المصنوعة من الحرير الخالص في هذا العصر مألوفاً في الحياة البيئية ، وأخذت الكنيسة أيضاً ترحب بهدايا من هذه المادة الثمينة للآلحة الكهنوتية والتر والأغلبية ، ولتزيين المذابح — بعد أن كانت أول الأمر ترفض استخدام الحرير للأغراض الدينية ، بينما احتكرت الدولة صنع أشكال معينة من ثياب الحرير كانت تلبس في مراسم البلاط . وكانت الدولة على كل حال تعتمد على القوافل التي تقطع فارس في امدادها بهذه المادة الجديدة . وقد لحق بتجارة الروم ضرر كبير من جراء عرقلة المواصلات ورفع ثمن المادة الحريرية الخام ، وكنيجة لتحصيل البضائع المستوردة ضرائب كمركية باهظة قبل أن تجتاز الحدود الى بلاد الروم ، وبسبب الحروب البيزنطية الفارسية .

ومنذ القرن الخامس الميلادي ، أخذت الدولة تتدخل في التجارة ،

بلاد الروم

فقصرت السماح بشراء الحرير على وكلاء الدولة في الحدود ، لكي لا يكون لها منافس ، ومن ثم يباع الى الأفراد بالسعر الجاري بعدئذ .

وجلبت شراقة دود القز الى بلاد الروم في أواسط القرن السادس الميلادي ، وبدأت أشجار التوت تزرع ، وأخذت الامبراطورية البيزنطية تنتج ما يلزمها من الحرير ، وظلت الدولة تحافظ على احتكارها لصناعة الحرير باهتمام ، وتستخدم الوف العمال في ذلك .

وفي خلال النصف الأخير من القرن السادس الميلادي فتح طريق التجارة الشمالي بعد انقطاعه ، وكانت موانئ القرم تاجر مع الهون وجنوب روسيا ، فتجلبب الجواهر وتحف الصناعة الرومية الفاخرة وتستبدل بها الجلود والعبيد من الشمال ، بينما كان أهل قبائل القوقاز يبيعون الجلد والفرو للحصول على القمح والملح والخمر .

وكان طريق التجارة الجنوبي أهم من ذلك بكثير ، حيث تمر التجارة الهندية والصينية والحبشية بالبحر الأحمر ، وكانت سيلان أهم مركز تجاري في حينه ، يلتقي على أرضها تجار الشرقين الأقصى والأدنى وتجار الهند والحبشة والصين . كما كان للروم تجارة مع الروس ، واستطاع الروس دخول القسطنطينية على شرط أن يكون دخولهم من بوابة واحدة غير مسلحين ، وألا يدخل أكثر من خمسين منهم في المرة الواحدة ، وهناك كانوا يستطيعون قضاء الصيف على ألا يطول مكثهم عن ذلك . وكانت الحكومة البيزنطية تهيب المسكن والطعام والحمامات للتجار الروس طول مدة زيارتهم دون مقابل ، وكانت تختص رسل أمير (كييف) الروسية التجاريين بمنح خاصة ، فلم تكن تحصل من التجار الروس على ضرائب كمركية . وكانت التجارة جميعها تقريباً تجري على أساس المقايضة ، فكان الفراء الروسي والشع والعبيد تقايض

اللواء الركن محمود شيت خطاب

بالخسور اليونانية والفواكه والأقمشة الحريرية . وكانت الدولة البيزنطية تجهز التجار عند رجوعهم بالمؤن اللازمة لهم أثناء رحلتهم ، كما كانت تمنحهم أدوات لسفنهم كالمراسي والخيال الضخمة والصغيرة والأشرعة ، مما كانوا بحاجة إليها لإصلاح سفنهم وإدامتها .

وفي القرن العاشر الميلادي ، أصدرت الدولة البيزنطية مجموعة القوانين لنقابات القسطنطينية التجارية . وأبرز مواد تلك القوانين ، تلك التي تنص على منح الحماية للمستهلك والمتج على السواء ، فكانت الدولة تحرم على التجار جمع البضائع من السوق بقصد رفع الثمن والانتفاع من ذلك ، وكذلك كان من المحرم شراء البضائع جملة والكسب من وراء بيعها تفريقاً ، فكان يجب - في حدود الامكان - أن يشترى كل شيء ويبيع دون تدخل الوسطاء . ووضعت مادة تحفظ للعامل أجره الذي يستحقه ، وتكبح جشع الرأسمالين ، وتمنع احتكار أقلية غنية لصناعة ما . وكان المشتغلون بكل حرفة من الحرف يجتمعون في نقابة خاصة بهم ، وكان الجمع بين عضوية نقابتين في وقت واحد محرماً . وفي الحالات التي تمس مصلحة الدولة ، كحالة التسوين مثلاً ، نجد أن القواعد التي كان أعضاء النقابة الخاصة بذلك الموضوع خاضعين لها ، مفصلة تفصيلاً خاصاً ، فكانت الحكومة تقرر الثمن التي تشتري به المواد الخام وسعر بيع المأكولات ، ويظهر أنه كان في استطاعة الدولة أن تطلب بعض الخدمات من النقابات دون مقابل ، وربما كان هذا لتقليد يوناني قديم ، كانت الدولة تفرض بموجبه على مواطنيها الأغنياء أن يتطوعوا للقيام بخدمات لها . وربما كان تعيين رؤساء النقابات يتوقف في كل حالة على موافقة محافظ المدينة ، بينما كانت الدولة تشترط لكي تسهل عليها مراقبة كل المبيعات أن تكون العمليات علنية ، وكان من المحتم أن تتم هذه العمليات في أماكن معينة محددة لكل حرفة . وكان للنقابة وحدها أن تشتري المواد ثم توزعها على

بلاد الروم

أعضائها ، وكانت تلك الصفقات التي يقوم بها مؤلفو النقابات لا تتم الا في مواضع معينة . وكان انتهاك حرمة هذه النظم يعرض مرتكبها للعقاب بالفصل من النقابة ومصادرة أملاكه ، أو بتغريمه مالا ، أو بجلده وقص شعر رأسه ولحيته ، وإذا كانت الحالة أكثر خطورة ينهى أو تقطع يده . وكان على التجار الأجانب حال وصولهم العاصمة ، أن يخطروا السلطات الحكومية ، ولم يكن باستطاعتهم أن يسكنوا في العاصمة أكثر من ثلاثة أشهر الا بموجب اتفاق خاص . وإذا انتهت هذه المدة دون أن يبيعوا بضائعهم ، قامت الدولة بوضع الترتيبات لبيعها . وكان كل ما يشترونه من البلدة نفسها خاضعاً لرقابة دقيقة ، ولم يكن يسمح لهم أن يحملوا معهم شيئاً من الأمتعة التي كان تصديرها محرماً كالمواد الحربية المتميزة . وكانت الحكومة تكشف عن كل البضائع كشفاً دقيقاً ، فإذا أبيع بعدئذ تصدير بضاعة ما ، طبعت بخاتم الدولة .

غير أن التجارة البيزنطية اضعفت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد ، لأن الدولة اضطرت الى أن تمنح مدينة البندقية امتيازات شديدة الخطر ، في مقابل الحصول على معاودتها ، وذلك بعد أن أخفقت في الاحتفاظ بأسطولها . ولاشك في أن هناك أسباباً عدة لاضمحلال التجارة البيزنطية ، وحسبنا أن نذكر سبباً يظهر أنه قد لعب دوراً مهماً ، وهو : لم يكن أغنياء الروم على استعداد لأن يجازفوا برؤوس أموالهم في تجارة تذهب الى ما وراء البحار ، بل كانوا يفضلون استثمار أموالهم في الأرض ، لأن الاخطار البحرية كانت في الواقع عظيمة : أخطار شبوب النار في السفن ، كما كان هناك ناس كثيرون يتربصون بالسفن على الشواطئ لأغراقها ، وكانت هناك أخطار لصوص البر وقرصان البحر . وكانت السفن تتعرض لما يسمى بالتقصاص ، وذلك أن دولة من الدول تمنح لرعاياها ، الذين أنزل بهم حيف من دولة أخرى ، الحق في أن ينتقموا لأنفسهم بمهاجمة كل سفينة تابعة للدولة التي اعتدى

اللواء الركن محمود شيت خطاب

أهلها على رعاياها . وهناك خطر الوقوع في يد القرصان المسيحيين المتدينين ، الذين يكسبون عن هذا الطريق المال الذي يعينهم على الخروج للحج الى بيت المقدس .

ومن هنا ، كانت السفن تسير جماعات في قوافل لتبادل المساعدة ، وكانت تحصل رجالاً مسلحين للدفاع عنها .

لهذا لم يكن أغنياء الروم مستعدين للمجازفة بأموالهم في مخاطر التجارة البحرية ، فكانوا يستغلون أموالهم في شراء الأرض وتشيرها ، فاضمحلت تجارة الروم ، وتفوقت عليها تجارة البندقية فواقاً بعيداً (٥٦) .

أما خلال القرنين التاسع والعاشر للميلاد ، فكان الصانع منهمكاً في أشغاله ميسوراً ، فدولة الروم لم تعرف عهداً في تاريخها زهت فيه الصناعة والتجارة زهوها في هذين القرنين . ولم تكن القسطنطينية في أي وقت من أوقاتها أكثر تاجاً وأوفر ربحاً ، وأصبحت بوفرة مالها وحذق صناعها أم المال والذهب والفن والمعجائب للعالم أجمع ، وقصدها أمهر الصانع وألمع التجار من سواحل البلطيق حتى الأسود والأدرياتيكي ، ومن أرمينية والقوقاز حتى إسبانيا والبرتغال ، وتمنى بذخها وثروتها أمراء الاقطاع شرقاً وغرباً .

فعلاوة على البقالين واللحامين والخبازين والبائنين والنحاتين والرخامين والنجارين والحدادين والخياطين والرسمين ، كان هناك طبقة من التجار والصناع يعنون بنسج الحرير وصبغه وتزيينه بالرسوم وبالفضة والذهب ، وهؤلاء أدهشوا العالم بدقة صنعمهم ومهارتهم ، فجمعوا أموالاً طائلة ، وجعلوا من القسطنطينية قبة أقطار أهل البذخ والترف في الشرق والغرب معاً . كما

(٥٦) مقتبس من الفصل الثالث عشر : التجارة من كتاب الامبراطورية البيزنطية .

بلاد الروم

أن صناعة الروائح العطرية لم تقل شأنًا عن صناعة الحرير .
 وشجعت الحكومة هذه الصناعات وأخت أسرارها ، وظلت أمورها ،
 ثم حست هذه الصناعات من مزاحمة الاجانب ، فحددت الاستيراد أو منعتة (٥٧) .
 لقد كانت تجارة الروم وصناعتهم في تقدم تدريجي حتى نهاية القرن
 العاشر الميلادي ، حيث بلغت أوج تقدمها ، ثم اضمحلت بعد ذلك خلال
 القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلادي ، فتأخرت وتقدم عليها غيرها من
 الأمم ، كما ذكرنا ذلك .

تاريخ بلاد الروم قبل الفتح الاسلامي

وفي أيامه الاولى

١ - مولد الامبراطورية البيزنطية :

الروم عند العرب قبل الاسلام وبعده هم الرومان وخلفاؤهم البيزنطيون،
 والبيزنطيون عند أنفسهم روم ، أي رومان . وعاصمتهم : (رومة الجديدة)
 أي القسطنطينية ، ولا يزال الروم الأرثوذكس يدعون القسطنطينية مركز
 البطريرك المسكوني حتى يومنا هذا : (رومة الجديدة) .

واللفظ : روم في نقوش الصفا اسم بلاد واسم شعب ، وورد اسم الروم
 في القرآن الكريم في : (الم . غَايِبَتِ الرُّومُ . في أدنى الأرضِ وهُمْ
 من بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغَابُونَ) (٥٨) . في آية واحدة ، مرة واحدة فقط ،

(٥٧) الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب -

الدكتور أسد رستم - ص (١٦ / ٩٦ - ٩٧) - بيروت - ١٩٥٦ .

(٥٨) الآيات الكريمة من سورة الروم (٢٠ : ١ - ٢) .

اللواء الركن محمود شيت خطاب

وحملت السورة التي جاءت فيها تلك الآية الكريمة اسم : سورة الروم ، وهي من السور المكية (٥٩) .

وكانت رومة ، عاصمة الروم الاولى ، ولكنها تقيقرت لأسباب كثيرة نذكر أهمها بإيجاز شديد .

فقد كان من جراء التوسع العكري الروماني ، أن تعاظم كب قادة الجيش وضباطه وحكام الولايات وكبار الموظفين ، فعادوا الى أوطانهم متستعين بجميع ضروب التعم والترف ، مشبعين بغطسة من ذاق لذة السلطة المطلقة ، بعيداً عن وازع الشريعة الرومانية وقيود النظم الجمهورية .

وتهاقت الأغنياء والكبراء على اقتناء المزارع الواسعة المترامية الأطراف ، وحشروا فيها ما ملكوا من أرقاء . ولم يقر المزارع الصغير على مزاحمة جاره المزارع الكبير ، فضم أرضه الصغيرة الى أرض جاره الكبيرة ، وربط نفسه بتلك الأرض الى الأبد . ومع أن هذا النظام الاقطاعي لم يجعل من المزارع الصغير الذي لا أرض له رقيقاً لسيده ، فانه فقد حرته في أن يذهب حيث يشاء . وكانت حياة الرقيق في هذه المزارع الكبيرة شاقة تمة ، وكان يكوى بياسم ليقى الوسم علامة يعرف بها عند الفرار ، فنشر الرقيق من صحبة سيده ، وانقبضت نفسه عن العمل له باخلاص وأمانة . وتضاءلت على الأيام حقول القمح وبساتين الزيتون وكروم العنب ، وبار قسم من المزارع وترك لينبت فيه العشب والدغل . واعتمدت رومة على قمح مصر وجوبها لتغذية أبنائها وأبناء المدن الايطالية الاخرى ، وقلت الأيدي العاملة لهجرة الفلاحين الى المدن ، فبارت الأرض لهذا السبب أيضاً ، وضعف الانتاج الزراعي .

(٥٩) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم (٢٢٩) - محمد نؤاد عبدالباقي - القاهرة - ١٣٧٨ هـ .

بلاد الروم

وكان هناك عداًء مزمن بين الفقراء والأغنياء • فثار الأرقاء أكثر من مرة على سادتهم ، وثر المزارعون الصغار في ايطالية وغيرها وأحرقوا المزارع الكبيرة التي أنشأها كبار الملاكين • بيد أن الأرقاء لم ينظموا صفوفهم • ولم يكن لديهم في وقت من الأوقات برنامج سياسي معين يسعون لتحقيقه ، وجل ما بلغوا اليه أنهم كرهوا أسيادهم وثاروا في وجوههم وتمنوا زوال نعمتهم ، وذلك بعمليات متفرقة في غالب الأحيان •

وأدى توسع رومة في الشمال والجنوب والشرق والغرب ، الى توسع مسائل في أفق أبنائها العاملين في حقل الصناعة والتجارة ، فخرجوا من ايطالية الى الولايات الجديدة يوظفون أموالهم فيها ، وقام من أبناء هذه الولايات نفسها ، ولاسيما الشرقية منها ، من شاطر هؤلاء عليهم واتباعهم ، فشطت الزراعة والصناعة والتجارة في الولايات • ومع الزمن ، فقدت ايطالية سيطرتها الاقتصادية التي كسبتها في حروب التوسع المتتالية ، وقل إنتاجها الصناعي وتدنى ، فأصبح في مستهل القرن الثالث الميلادي قليلاً ، فقل الدخل عموماً وقل دخل الدولة ، لتأخر الصناعة والتجارة وانحسار دخلها ومواردها ووارداتها •

وكانت الخدمة العسكرية في أوائل عهد رومة محصورة في المواطنين الرومانيين ، ولما جاء يوليوس قيصر منح حقوق المواطن الروماني بعض وجوه الولايات وأعيانها وقضت ظروف الحرب والاستيلاء والتوسع بتكبير الجيش ، فجندت رومة أبناء الولايات في وحدات مساعدة ، ثم تاهلت رومة مع كل من لمست فيه استعداداً لتفهمها والامتزاج بأبنائها ومنحته هذا الحق الكبير • وفي سنة (٢١٢ م) أبيع هذا الحق لجميع سكان الامبراطورية ، فأصبح الجيش مؤلفاً من جميع عناصر حوض البحر الأبيض المتوسط ، مما أدى الى انحطاط الجيش الذي أصبح ضخماً في كميته هزلاً في كميته •

اللواء الركن محمود شيت خطاب

كما أن التوسع العسكري الكبير ، أدى الى تغير آخر في الجيش ، فالحدود الشاسعة الطويلة ، والاعمال الحربية المتابعة ، قضت بتطويل مدة الخدمة العسكرية . والانحطاط الاقتصادي اضطر الحكومة الرومانية الى أن تقطع جنود الحدود أرضاً يحرثونها ، وأن تجيز لهم أن يتأهلوا وقيموا في أكوأخهم قرب الحدود ، فقضى الجنود حياتهم بأكملها في خدمة الجيش ، وأصبحوا طائفة عسكرية تعيش لنفسها لا جيشاً من الشعب يقوم بخدمة الدولة .

كما عجل كثيراً في انحطاط الجيش ، أن الجند أصبحوا يختارون من يرضون عنه ليصبح امبراطوراً ، ويعزلون من لا يرضون عنه ويعينوا مكانه غيره ، كما أمسى الامبراطور نفسه قليل المهابة والاحترام ، وهذا أدى الى انهيار الضبط والربط في الجيش ، ولا قيمة لجيش لا يتحلّى بالضبط العالي والربط المتين .

وكان الامبراطور في بدء الامر وجيهاً رومانياً كبيراً خول سلطة عسكرية واسعة في ظروف حرية قاهرة ، وكانت هذه السلطة أو القيادة تنتهي بانتهاء الحرب . ثم جاء الامبراطورية بطولها وعرضها وتعددت مشاكلها ، فوكلت رومة القيادة الى رجل واحد ملوأل عمره . وبقيت سيادة الدولة الرومانية تظل هذا الامبراطور الفرد ومنها يمتد سلطته ، وبقي هو مثل الجمهورية الاوحد ، واستحق لقب : (أوغسطس) أي قديس لأنه كان في نظر الرومانيين رمز آلهة رومة الحي . وانحصرت السلطة التشريعية بيد مجلس الشيوخ ، وكذلك ادارة الدولة وفرض الضرائب وجبايتها ، ولما كانت القوة العسكرية بيد الامبراطور ، كان من الطبيعي جداً أن يتناول على حقوق مجلس الشيوخ في نطق سلطته ، وأن تتدرج الدولة الرومانية الجمهورية في سلم الملكية .

وتبين أن الجيش بعد أن انفصل عن الشعب الروماني وأصبح خليطاً من كل من هب ودب ، بقي يمارس سلطة هائلة في انتقاء الامبراطور بالمشاركة مع مجلس الشيوخ ، ولكن هذه السلطة أصبحت غاشية بعد انحطاط الجيش .

وتساقط الابطارة واحداً بعد آخر قتلا بأيدي جنودهم أو بأيدي جنود أعدائهم ، وتكاثرت الحروب على الروم ، وتصاعدت الافكار الفلسفية التي فرقت الشعب دون جدوى .

وظهرت المسيحية ، فعانت ما عانت من اضطهاد الروم ، ويشير المؤرخون عادة الى عشرة اضطهادات بين سنة أربع وستين لليلاد الى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة الميلادية (٦٠) ، حيث كانت سنة البراءة التي تنفس فيها المسيحيون الصعداء .

فقد تنصر قسطنطين الكبير (٢٨٠ - ٣٣٧ م) سنة (٣١٢م) ، فظهرت رسوم مسيحية على مكوكاته ، وجعل شارة الصليب على رايته ، واهتم بالنصارى واعتنى بهم ، وحرّم التبشير باليهودية والدعاية لها سنة (٣١٥م) ، وأصبح حبر الأمة الأعظم يرعى جميع الاديان وبخاصة المسيحية ، ولكنه لا يكره أحداً على أن يذهب مذهبه ، ولكل من رعاياه أن يتبع الرأي الذي يراه .

وقضت ظروف قسطنطين السياسية والعسكرية ببقائه في الشرق أكثر من الغرب ، فعزم على انشاء عاصمة في الشرق تسهل الدفاع عن الولايات الغربية والشرقية ، ووقع اختياره على بيزنطة ، ولا نعلم بالضبط متى خطط قسطنطين عاصمته الجديدة ، ولكننا نعلم أن تدشينها جرى في الحادي عشر من أيار سنة (٣٣٠ م) ، وسماها : رومة الجديدة ، ولكن الشعب أطلق عليها

(٦٠) الروم (١ - ٢٣) ، حول التفاصيل .

اسم : القسطنطينية (٦١) .

٢ - الحياة الاجتماعية :

كانت الهوايات والنزعات في الامبراطورية البيزنطية الشرقية دينية ، وكانت الامور من سياسية واجتماعية تلبس ثوباً دينياً .

لقد كان البيزنطي يعيش في عالم تملأه وتسيطر عليه القوى الخفية ، فكانت عطلاته أعياداً دينية ، وألعابه في الملعب تتهل بالتراثيل الدينية ، وعقوده التجارية توسم عليها علامة الصليب أو تحتوي على ابتهاال للثالوث المقدس . وإذا أراد أن يستخير الله لم يفعل ذلك الا عن طريق النساك أو عن طريق الرؤى الذي يتمثل فيها القديسون الأموات . وكان يتخذ من التائم المقدسة تعاويذ له ، ويرى في الغبار المحتوي على قطرة عرق انحدرت من جسم قديس من الذين ماتوا على الأعمدة أنجح دواء عنده . وكانت حروبه صليبية مقدسة وامبراطوره خليفة لله في أرضه ، وكل حادثة مروعة في الطبيعة فهي اما نذير أو بشير ليثنيه أو يحفره .

وكانت النتيجة لهذه النظرة أن أصبح العلم متهاً ، فقد وجد أحد أطباء العاصمة أن نسبة الوفيات عالية في الطبقة العاملة الذين يعيشون في مساكن تحت الارض ، وكان ذلك في طاعون القرن الرابع الميلادي ، فأعلن للسلا أن ذلك سببه قلة الهواء النقي ، فاتهم الطبيب بالكفر ولما أصيب الطبيب بالمرض وقضى نحبه ، اتصر رجال الدين المسيحي ، واعتقد الناس أن موته كان عقاباً له على زندقته .

والحق أن البيزنطي تحول بالسليقة الى القديس بعد أن عاين عجز

(٦١) الروم (٥١ - ٦٤) ، حول التفاصيل .

الغليب ، وبعد أن كان الناس ينامون في الهياكل الوثنية ليرأوا من أسقامهم ، أخذ المسيحي حينئذ يتردد الى الكنيسة أو الى مقام أحد الشهداء ، وتولى الملاك ميكائيل مهمة شفاء الناس التي كان يتولاها الاله القديم في المعبد ، وأخذ القديس المسيحي يحل محل الاله الوثني الذي كان يدرأ الأذى عن المدينة .

وهذا الشعور المستمر بوجود القوى الخفية ، هو الاطار الذي كان يعيش فيه الانسان البيزنطي ، ذلك أن ميله الى اللاهوت كان يظهر في كبار الأمور وصغارها ، وكان العالم المحجوب عن الأبصار يدور معه في الآجلة والعاجلة .

ولم يكن ساكن العاصمة يعيش في جو ديني حجب ، ولكنه كان يعيش في جو خطر ، ولاشك في أن أعصابه كانت في بعض القرون تحيا في توتر مستمر ، لأن مدينته كانت تقاسي حصاراً بعد حصار . ومما لاجدال فيه أن الامبراطورية الرومانية في الغرب سقطت لأن أعداءها فاقوا جيوشها عدداً ، ولو تيسر للمدافعين يومئذ البارود والمدفع لباءت هجمات أعدائهم بالاخفاق ، لأن ذلك السلاح كان يكفي ليسد العجز العددي عند الرومان . وكانت أسوار القسطنطينية تمثل للشرق بمعنى من المعاني المدفع والبارود اللذين حرمتها الامبراطورية الغربية ، فآل أمرها الى الزوال . ولكن لا بد للأسوار من رجال ، وإذا كان المدافعون عنها فئة قليلة ، فلا بد من أن تلعب الخدعة والحيلة والخيانة الصراع — اذا دعت الحاجة اليها — دورها بالنيابة عنهم . وهكذا مال الخلق البيزنطي الى ألوان من الدهاء لاتعرف المبادئ ولا حدود الأخلاق ، تلك الخصال التي نستطيع أن نلمسها حتى في الشخصيات والناس عامة . ونستطيع أن نقرر من غير حرج ، أن النفعية الذاتية التي انفرست في النفوس دون شك ، كانت شائعة في الروم الشرقيين رفيهم ووضيعهم .

ذلك أن التوتر الدائم له رد فعل ، هو الافراط في التراخي .

ومن العبث أن نكر ، أن العنف والوحشية والجور ، وهي خصال كانت متأصلة في نفوس البيزنطيين ، كانت تلعب دوراً كبيراً ، فقد كان جمهور العاصمة ينظر باستخفاف الى قيم الحياة البشرية نتيجة لسخطه على الساسة الذين أبغضهم بغضاً مريراً ، ونتيجة للسهولة التي كان التحريق والقتل يقترفان بها أمام أعينهم كلما وقع شغب وهياج . وزادت الحكومة سوءاً ، فضربت للناس أسوأ المثل في هذه الناحية ، بما كانت تطبقه من معاقبة المجرمين بتوقيع عقوبات تقوم على قطع الجوارح ، كقطع الأيدي ، وجذع الأنوف ، وسمل الأعين .

وعلى الرغم من الخطر المحدق بالعاصمة دوماً ، كان البيزنطي يتطلب لنفسه تسلية ومرحاً ، وكانت مراكز الحياة الثلاثة في العاصمة هي : القصر ، وميدان السباق ، والكنيسة . فاذا أغلقت الحمامات وأقفلت أبواب ميدان السباق ، فقدت الحياة عند البيزنطي بهجتها ، وأصبحت تافهة ضحلة لا غناء فيها .

وكان المتسابقون يعيشون في عالم تسوده الخرافات الوثنية ، حتى لقد كانوا يحاولون بالتعاون السحري والتائم أن يقيدوا منافسيهم برقى حتى يفوزوا دونهم ، وكثيراً ما كان السائقون يفتشون قبل بدء السباق حتى لا تكون معهم الخرزة السحرية التي تكفل لهم الفوز دون استحقاق ، مع كثير من الشعوذات الأخرى .

وكان ميدان السباق مكاناً تعرض فيه الانتصارات الامبراطورية ، حيث كان الأباطرة يضعون الحذاء الأرجواني — رمز السيادة — على رؤوس المنافسين المهزومين أو الأعداء المغلوبين . كما كان أيضاً محكمة جنایات ،

يتخذ فيها القضاة مجالسهم بانتظام . حتى ان الامبراطور اذا اقتنع بارتكاب أحد الحكام جريمة من الجرائم ، قضى على المجرم أن يحرق حياً على مرأى من الرعية . وكذلك كان الملعب مسرحاً لتلك المواكب التي اعتاد الناس أن يروا فيها رجلاً من رجال البلاط أو رجال الدين المغضوب عليهم ، يسار به بين صفوف الشعب الساخر ، وربما أركب حماراً وجعل وجهه الى ذيله . كذلك كان الملعب متحفاً فيه روائع فن النحت القديم ، حيث كان رجال الكهنوت في الكنية المسيحية ، وقد رضوا عما يجري في الملعب كان الملعب مرآة للعالم البيزنطي .

وكان للرجل البيزنطي بطلان هـا : الفائز في سباق العربات ، والقديس المتكشف . أما الأول ، فكان تنصب الصور والتماثيل اجلالاً له في كل مكان ، وكان سائق عجلة السباق يمنح امتيازات خاصة ، فكان في نجوة من كل عقاب بدني ، واليه كان رجال الأدب يرفعون أحسن مقطوعاتهم .

أما المتكشف الزاهد ، فكان الحجاج يأتون اليه من كل صوب ، يحدوهم شوق لاهف ليروا القديس على عوده ، وينالوا بركته ، ول يحملوا معهم تماثلاً صغيراً من تماثيل الرجل الطاهر ، التي كانت تصنع لتباع بالجملة لكل من يطلبها من الاتقياء . وهذا التمثال مع القنديل المعلق به ، كان يحيي دكان المتبرك وبته من كل أذى ، ويعطيه ثقة جديدة وشعوراً متجدداً بالاطمئنان وسط أخطار الحياة .

وكان هناك وحدة في الأسرة واخلاص متبادل بين أفرادها . والمرأة ربة البيت ، ولها نفوذها الملموس في مجال عملها على زوجها وأطفالها . وكانت البنت تتزوج في سن مبكرة ، وكان اختيار الزوج مما تعنى به الأسرة ، وقلما كانت البنت ترى زوجها قبل الزواج . على أن المرأة البيزنطية لم تكن

سجينة بيتها على أية حال ، على الرغم من أن الحرائر المحصنات لم يكن يرتدن دور التثيل . وكانت نظرية الروم عن السيادة لا ترى غضاضة في زواج الأمير بأمرأة لايجري في عروقتها دم الملوك ، بل كثيراً ماكان النسل الامبراطوري يتقوى باختيار عروس من الطبقات المتوسطة ، حتى كان الامبراطور أحياناً ينتخب شريكة حياته من بين سرب العذارى الجميلات اللواتي اتقن من الولايات لتلك الغاية (٦٢) .

٣ - السيادة البيزنطية :

جمعت السلطة النافذة داخل حدود الامبراطورية البيزنطية في شخص الامبراطور ، فكان هو مصدرها الأوحد . ولكن ظل حق الامبراطور في العرش يخضع للاختيار مليلة تاريخ الامبراطورية ، فكان مجلس الشيوخ والجيش ينتخبان الحاكم : الجيش يمارس حقوقه الوراثة في تنصيب الملوك ، والشعب يؤيد ذلك ، فكان باستطاعة مجلس الشيوخ أو الجيش أن يتقدم أحدهما فيعين مرشحاً ، ثم يزكيه الطرف الآخر . أي أن انتخاب الامبراطور كان يمر بالأدوار التالية : (١) ينادى مجلس الشيوخ أو الجيش بوضع المرشح «في وضع دستوري يجعله في مكان الامبراطور المنتظر ، على أن يكون من الجائز بعدئذ تثبيت ذلك أو الغاؤه » . (٢) أن يوافق الطرف الآخر على ذلك ، لأنه يملك الحق ذاته في الترشيح . (٣) التصديق على هذا الاختيار حين يهتف الشعب الروماني الذي يجتمع عادة في ميدان الباقي (٦٣) . (٤) تتويجه

(٦٢) انظر التفاصيل في كتاب : الامبراطورية البيزنطية (١٦ - ٢٩) .

(٦٣) كان تتويج الاباطرة منذ القرن السابع يجرى في الكنيسة الكبرى ، ويحضره أعضاء مجلس الشيوخ وممثلون عن الجيش والشعب الذي يهتف للامبراطور داخل الكنيسة وخارجها ، وكان التتويج قبل القرن السابع يجرى في ميدان الباقي خارج المدينة .

بالتاج على يد البطريرك الأعلى قائماً بتمثيل المنتخبين لا الكنيسة ... وقد جرت العادة بذلك وإن لم يكن شرطاً أساسياً .

تلك هي الاجراءات التي ينص عليها التقليد الدستوري في منح السلطان لأحد من الناس ، لكنها لا تكفل له سوى لقب بشرى . بيد أن عرش الامبراطور كان يقوم على أسس أكثر رسوخاً ، فالامبراطور صفي الاله ، وقد وقع عليه الاختيار منذ ولادته لتحقيق ارادة السماء ، وإذا فالمرشح الناجح هو بالضرورة من اختارته مشيئة الله ، بغض النظر عن الطريقة التي اكتسب بها هذا النصر ، فنجاحه هو الموعود الوحيد ، وهذا النجاح يطمس صفحة ماضيه ، وهو الأساس الذي يلزم الناس بطاعته .

وإذا فمن الواضح أن الامبراطور ملك كاهن ، ومنصبه كهانة ملكية ، وما الامبراطور الا أحد رجال الدين ، فهو يستطيع أن يدخل المعبد المقدس ، ويقترب من المذبح حيث لا يسبح لأحد من العلمانيين (غير رجال الدين) بالمرور . وفي استطاعته أن يقبل ستار المذبح ، وأن يتناول بيده الخبز المقدس . وعهدت له العناية الالهية - كما عهدت لبطرس من قبل - في رعاية أتباع السيد المسيح ، ولكن ظهر هذا الجانب من كهانة الامبراطور بوضوح أكثر ، أضيف منذ القرن التاسع الميلادي - على ما يظن - عمل آخر رمزي في حفل التتويج ، الا وهو أن يقوم البطريرك بسبح الامبراطور بالزيت المقدس ، ولم يكن يعبر بذلك عن ارادة الدولة ، بل عن المشيئة الالهية .

غير أن النظرية (الالهية) في أصل الملكية كانت تحمل في طياتها نتيجة أبعد مدى ، فمصدر الرفعة هو الله يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وإذا فالعرش الامبراطوري مباح للجميع ، فلاحهم ونبيلهم ، جاهلهم وعالمهم ، على السواء ، غير أنه اشترط في الامبراطور أن يكون مسيحياً ، وأضيف بعد ذلك أن يكون

الواء الركن محمود شيت خطاب

مسيحياً أرثوذكسياً ، وفيما عدا ذلك يمكن لأي واحد من الناس أن يقع عليه اختيار الله غنياً كان أم فقيراً غنياً أم فقيراً •

يبد أنه لم يكن هناك من سبيل دستوري لاسقاط الامبراطور بعد انتخابه سوى ثورة ناجحة ، وهنا أيضاً لا يحول اختيار العناية الالهية له ، دون أن يعتبر مجرد غاصب في حالة اخفاقه ، وإذا فالثورة تصبح مشروعة ، بل وجزء من الدستور المعمول به •

يبد أن اختيار الأباطرة بطريق الانتخاب وحده ، لم يكن ليضمن للناس سير الأمور سيراً حسناً ، مادام اغتصاب العرش مباحاً في هذه الدولة ، ولا يعتبره الناس خيانة الا في حالة الاخفاق ، ثم اتنا لا ينبغي أن ننسى أن هذا الاغتصاب كان يدعم القوة الامبراطورية في بعض الأحيان • ومن ثم عدلت النظرية الرومانية القديمة - فيما يختص بطريقة اختيار الحاكم الأعلى للدولة - كما يلي : ان تفويض الحكم للامبراطور ، يخوله حق توزيع خلف له أثناء حياته ، ويظل مستبداً وحده بالسلطان طالما بقي في قيد الحياة ، رغم وجود خليفة الى جواره ، فاذا توفي انتقل السلطان الى خليفته من تلقاء نفسه •

وهكذا فقد المنتخبون حق الانتخاب ، ولم يبق أمامهم الا ان يجبروا الحاكم الجديد ، قائلين : « مات الملك ، يحيا الملك ا » •

وقد كان ما يميز الأباطرة الشرقيين العسكريين كفايتهم العسكرية كقادة للجيوش في ميادين القتال •

ولم يكن الامبراطور ملك الملوك (٦٤) ، كما كان يسمى رسمياً بعد سقوط الامبراطورية الساسانية ، التي كان كسرى المنازع الوحيد له في هذا

(٦٤) اي الباسيليوس Basileus

اللقب ، فقد قال المسيح : « انه وارث هذا العالم » ، فعلى نائبه - وهو الامبراطور - أن يرعى ادخال العالم في دائرة ملكه . أليس هو الآخر مخلصاً للعالم ؟ أليست قوته هي المدبرة له ؟ اذاً فهو الحاكم الأعلى ، وله الحق في السيادة على العالم كله .

ولم يكن الأمر ليقف الى هذا الحد ، فانه لما كانت مملكة الأرض مصوغة على مثال مملكة السماء ، اذاً فهي ليست عالمية فحسب ، بل خالدة أيضاً ، وليس باستطاعة بشر أن يقوض دعائنها . أما الأباطرة الفاسدون ، فليسوا الا عقاباً الهياً للناس ، حتى اذا انتهت مدة عقاب البشر ، وتاب أهل البلاد عن خطاياهم ، أشرقت شمس رحمة الله مرة أخرى ، وهكذا تصبح المسيحية متجدداً دائماً لبث جديد ، وكانت هذه العقيدة راسخة قبل المسيحية في رومة ، فاستحال ذلك الى عقيدة دينية .

واذا كان الأمر كذلك ، فما هي القيود العملية والنظرية التي تحد من ادعاء الأباطرة السيطرة على الكون ؟

بالرغم من أن الامبراطور هو المشرع الأعلى ، وبالرغم من أنه لايسأل عما يفعل ، فقد كان عليه لهذا السبب ذاته أن يلزم نفسه بمرعاة القوانين . ولا تنسى أولئك الذين كانوا يحيطون بالامبراطور ، فهم رجال فقهوا التقاليد المحافظة ، تقاليد هيئة الحكم الشديدة التعقيد . وقد أصبح مجلس الشيوخ - اذا استثنينا ممارسته لسلطته القديمة في تنصيب الملوك - مجلس حكام يفضلون السبل المطروقة ، ومن المؤكد أن الأباطرة لم يعدوا كثيراً من الحكماء والناصحين ، وجدوا من الحكمة ما جعلهم يأخذون بنصائحهم .

وقد كان سكان العاصمة أيضاً الى جانب حرس المدينة الرسمي ، حتى القرن السابع الميلادي على الأقل ، يكونون قوة فاعلة ، وكانوا على قوة تمكنهم

اللاء الركن محمود شيت خطاب

من الاخلال بالأمن اذا ما فقدوا سيطرتهم على أنفسهم ، وعلى استعداد لتقديم مرشح آخر يناقش صاحب العرش ، ونشر الفوضى عن طريق الحرق والقتل . والظاهر أنه حين خمدت المقاومة الشعبية المنظمة لارادة الامبراطور زمن بيت هرقل ، أقام الرهبان أنفسهم نواباً للشعب ، وحلوا لواء المقاومة ضد الأباطرة ، واستطاعوا أن يعتمدوا على مؤازرة الأتقياء ، وأثبتوا أنهم خصوم أشد خطورة على الامبراطور من البطريك الذي كان بإمكان الامبراطور أن يعزله . واستطاع الجيش أيضاً أن يوقف بعنف أي اجراءات لا يرى تنفيذها ، اعتماداً منه على قوته .

الا أن هناك قيدا آخر أعقق ما ذكرناه ، ذلك هو التأثير الخفي لتقليد يفترض في الأباطرة : (حب الخير للناس) ، يحتم على الامبراطور اسداء خدمات انسانية جليلة لشعبه ، وكان هذا المثل الأعلى - في الواقع - قوة كابحة لجناح الامبراطور .

وأخيراً ، كان المنتخبون ، قبل أن يوافقوا على منح أحد من الناس السلطة الامبراطورية ، يستخلصون منه وعداً صريحاً بمراعاة ذلك . ومع مضي الزمن ، أخذ الامبراطور عند تنويجه يقسم قسماً رسمياً ، يبدأ بالاعتراف بالعقيدة الأرثوذكسية ، ويتضمن توكيداً منه لمشورات بطارقة العالم البعة ومجامع دينية محلية أخرى ، وحقوق الكنيسة وامتيازاتها ، وبعد بأن يظل خادماً مخلصاً للكنيسة المقدسة ، وابناً باراً بها وحامياً لها ، ويأخذ عهداً على نفسه بأن يظل انسانياً في حكمه لشعبه ، عادلاً بينهم ، وأن يتجنب توقيع عقوبات التكيل بالناس أو الحكم بالاعدام ما استطاع الى ذلك سبيلاً . . . وصيغة القسم من الأهمية بمكان ، بحيث تظهر لنا ماكان يتطلبه البيزنطيون من حاكمهم .

وكانت قواعد السلوك في البلاط صارمة ، وفيها وصف دقيق مفصل للأدوار التي تقوم بها كل طبقة من الهيئة الحاكمة الامبراطورية في سلسلة الاستقبالات والاحتفالات التي كانت تكون : (السنة المسيحية) البيزنطية . وفيها ذكر مفصل للملابس والحركات ومواضعها وأوقاتها ، والكلمات الرسمية التي جعلتها العادة مع مرور الزمن مقدسة .

ولتصور زعيماً بربرياً من أحد السهول أو الصحارى ، وصل الى البلاط البيزنطي ، ونزل في ضيافة القصر ، وشاهد عجائب العاصمة في رعاية موظفي الامبراطور ، كان عليه أن يمثل بين يدي الامبراطور ، تراه يمر في متاهات من الدهاليز الرخامية ، وغرف غنية بالفيفاء والأردية الذهبية ، وبين صفوف حرس القصر الذين يرتدون زياً أبيض واحداً ، يخف به النبلاء والأساقفة والقادة وأعضاء مجلس الشيوخ ، بينما يعزف أرغن الكنيسة ، تصاحبه فرق المغنين بالكنيسة والخصيان ، ثم أخيراً يسجد مبهوراً بهذه الفخامة التي بغير حدود ، في حضرة الامبراطور الصامت الوقور ، سيد رومة الجديدة ، ووريث قسطنطين ، وهو متربع على عرش القياصرة . وقبل أن يسمح له بالنهوض ، يرى الامبراطور وقد تغيرت حلتة والعرش وقد تبدلت زينتة التي رآها حين نظر اليه آخر مرة ... يرى الامبراطور وهو ينظر اليه كما ينظر الاله الى واحد من البشر . ترى ، من ذا الذي يسمع زئير الأسود الذهبية حول العرش ، وتغريد الأمليار ، ثم يستطيع بعد ذلك أن يرفض أوامر الامبراطور ؟ وعلى هذا النحو يطويه الامبراطور تحت جناحه ، ويعارب من أجل المسيح الروماني وامبراطورته ، وتصدق عليه الامتيازات والهبات والهدايا من أجل وعده بالدفاع عن الحدود ، وربما منح مركزاً رسمياً في الحكومة ، فيصبح نبيلاً أو قائداً في الجيش ، وربما حالفه الحظ فتكون ماعدته ذات قية كبيرة للامبراطورية ، فيوعد عندئذ بتزويجه من أميرة بيزنطية ، كما فعل هرقل مع

اللواء الركن محمود شيت خطاب

زعيم الخزار ، فيعتقد المسيحية ، وسيقوم الامبراطور نفسه بدور الأثبيين عند الحوض المقدس ، ومن ثم يتدب أحد الأساقفة من أتباع بطريرك القسطنطينية للإشراف على مصالح الروم في بلاده . وفي حالة قيام شعبه ضده وإسقاطهم له ، يسمح له بالالتجاء الى الامبراطورية ، ومن ثم يعاد بحراب الروم الى مركزه ، وفي هذه الحالة لا يبقى عند رجال الدولة رب في اخلاصه . ومع أنه لم يكن للامبراطورية ممثلون دائمون لدى الحكومات الأجنبية ، إلا أن بعثاتها كانت تتوالى ، فتحفظ تقاريرها في ديوان الرسائل الامبراطورية (٦٥) .

٤ - الكنيسة الأرثوذكسية :

لم تكتب الحياة لطقوس رومة الشرقية فحسب ، بل احتفظت الكنيسة حتى اليوم بطبيعتها التي اكتسبتها أيام الأباطرة المسيحيين : فأراء هذه الكنيسة في اللاهوت ، وشعائرها ، وصيغها التي كانت تلقى أثناء المراسم الدينية ، ولون حياة الرهبة والتقشف ، وقديسوها وأعيادها ، ذلك كله تراث من أيام البيزنطيين ، لا تزال تبقي على سلامته روح المحافظة التي لاتلين .

أصبحت القسطنطينية في عصر قسطنطين مدينة مسيحية ، إلا أنها ظلت فيما يختص بحق التشريع الكني تخضع لأسقف هرقلية ، ونجد أن التاريخ الداخلي للكنيسة بعد أن اعترف بها مجلس الشيوخ ، يكاد يكون سرداً لجهاد أسقف القسطنطينية في سبيل الظفر باستقلاله عن مطران هرقلية من جهة ، وفي سبيل سيطرته على منافسه في الاسكندرية من جهة أخرى . ولقد خرج بطريرك رومة الجديدة منتصراً ، وشاركه الامبراطور هذا النصر ، فقد رأس

(٦٥) انظر التفاصيل في كتاب : الامبراطورية البيزنطية (٧٣ - ٩٤) .

جستيان الكنية كلك كاهن ، وأصبحت عاصمته مركز حياة الكنيسة وتنظيمها .

وكان اذا رغبت احدى الأسقفيات في تقديم نفسها على غيرها من مثيلاتها، نظر الناس فيما اذا كانت قد أسست على يد أحد الرسل ، وكان هذا المقياس المعترف به في تقديم الكنائس بعضها على بعض . أما الشرق ، فقد حاول أن يجد تسويفاً لهذا النظام ، وانهى الى النظرية القائلة : بأن أسبقية المدينة في الميدان الكنسي لا بد أن تقوم على أسبقيتها في الميدان المدني . وسعت بيزنطة بعد ذلك الى الانتصار على رومة . بحجة أخذتها من منطق رومة نفسها ، فاذا كانت رومة تقول بأن القديس بطرس هو مؤسسها ، فقد اكتشفت رومة الجديدة أن باستطاعتها في اعتمادها على تزوير وقتي ، أن تدعي أن القديس ادريس (اندرياس) هو مؤسسها ، والقديس ادريس هو الذي أحضر بطرس الى المسيح لأول مرة . غير أن قساوسة المجمع الديني العالمي الثاني الذي عقد في القسطنطينية سنة (٣٨١ م) ، اعترفوا بالنظرية القديمة اعترافاً صريحاً ، وحكموا لأسبقية العاصمة بالمكان الاول في الكنية الشرقية بعد السدة الرسولية في رومة : « لأن القسطنطينية هي رومة الجديدة » ، وبذلك تحررت مدينة الأباطرة من سيطرة هرقل .

وقد نشأت خصومات داخل الكنية ، نتيجة لتصميم أساقفة الاسكندرية على أن يستخدموا تأثيرهم وسيطرتهم في مقاومة قوة القسطنطينية الكنية الناشئة ، وقد اتصرت الاسكندرية ثلاث مرات على القسطنطينية (٦٦) ، وأخيراً هزمت الاسكندرية في مجمع خلقيدونية سنة (٤٥١ م) ، لأن البابا والامبراطور صمما على تحطيم كبرياء مصر ، لكن بطريرك الاسكندرية لم يذعن ، فخلع

(٦٦) انظر التفاصيل في كتاب : الامبراطورية البيزنطية (٩٦ - ١٠٥ . .

الواء الركن محمود شيت خطاب

وشي ، وكان هدف مجمع خلقيدونية انتصار القسطنطينية والانحياز الكلي للكنيسة الشرقية .

وأجاز المجمع الصيغة الغربية التي تقحها البابا ليو الكبير وأوردها في رسالته العقيدية المائة : Tomos حيث قال : « هناك طبيعتان يجب تمييز أحدهما عن الأخرى في المسيح حتى بعد تجسده وهما الإلهية والإنسانية ، وقد ظل الاختلاف بينهما باقيا بالرغم من وحدة الشخصية » . وكانت وجهة النظر اللاهوتية عند الاسكندريين تتجه دائما الى الصوفية والرمز ، وتؤكد طبيعة المسيح المقدسة ، حتى انها تهمل طبيعته البشرية ، وهكذا ابتلعت الناحية المقدسة الجانب البشري ، وبذلك وصلت الكنيسة المصرية الى اعتقادها بطبيعة مقدسة واحدة . وهكذا وقعت الفئة التي أسست الكنيسة القائلة بطبيعة واحدة صفاء واحداً في مقاومة التعريف الذي انتهى اليه مجمع سنة (٤٥١م) وفي نذ عقيدة البابا ليو الكبير ، وعلى هذا فقد انتهى بالناس الى الحرب لا الى الصلح .

لقد وحد منشور (زينو Zeno's Henoticon بين الكنائس الشرقية سنة (٤٨٢م) ، الا أن ثمن ذلك كان الانشقاق عن رومة سنة (٤٨٤م) ، كما أسس يعقوب البردعي (Jacobus Baradaeos) أسس الكنيسة اليعقوبية المستقلة في حكم جتيان . وسعى بيت هرقل مرة أخرى لايجاد اتحاد مع أصحاب العقيدة المقدسة الواحدة غير أن العقيدة القائلة بالقوة الناشئة عن طبيعة واحدة أو ارادة واحدة في المسيح المتجدد لم يكن باستطاعتها الثبات طويلا ، ولم تكف هذه المعضلة عن ازعاج سياسي الامبراطورية البيزنطية ، الا حين استولى المسلمون على سورية ومصر مؤثلا الهرطقة ، واستطاعت الامبراطورية بعد ذلك أن تكون أرثوذكسية ، وهكذا استطاع جتيان الثاني

أن يعقد الصلح مع رومة .

وعندما أصبحت البطريركيات الرومانية الشرقية اسقفيات في بلاد المسلمين ، بقي بطريرك القسطنطينية بلا منازع ، وأصبح تشريعه يسري على الامبراطورية ، الا أن بطريرك العاصمة عاش في ظل القصر الامبراطوري . وكان اخفاق بابوات الغرب في نزاعهم مع كنيسة القسطنطينية ، قد علمهم كيف يحلون المعضلة الدوناتية^(٦٧) ، ولم يعد امبراطور الدولة البيزنطية يستطيع بعد ذلك أن يترك للسلطات الكنية حكومة الكنية غير المنظمة ، فقد أبان منشور الامبراطور الذي دعا به الى عقد مجمع نيقية ووجهه لخلفائه ، الطريق بحيث لم يعد بمقدور أي بطريرك لرومة الجديدة أن يقاوم الارادة الامبراطورية ، وتوالى التشريعات في محاربة الهرطقة من جهة والوثنيين من الخليديونية ، وانتصار فكرة توحيد الكنية ، ختاماً للنزاع الذي قام من أجليادة داخل الكنية الشرقية .

وشهد القرن السادس الميلادي آخر هجوم شن على الوثنية الباقية في الامبراطورية ، وتوالى التشريعات في محاربة الهرطقة من جهة والوثنيين من جهة أخرى خلال أكثر من مائتي سنة ، واستعمل قسطنطين العنف في القضاء على الدوناتيين الافريقين بحجة أنهم مهددون للأمن أكثر منهم مارقين على العقيدة . وجعل بين السلطة وبين الاشتراك لوظائف الكنية ، ونفوا من القسطنطينية وحرم على الوثنيين حق الوراثة والتوريث ودخول وظائف البلاط والجيش ، وجرد الهرطقة أيضاً من حق دخول الجيش . وبالرغم من أن

(٦٧) الدوناتية : فرقة نصرانية ظهرت في افريقية في العصر البيزنطي ، وهي منسوبة الى اسقف يسمى : دوناتوس ، عارض اسقف قرطاجنة ، والتف حول طائفة من القساوسة ، وتكونت منهم فرقة دينية ، ظلت تناوئ كنيسة قرطاجنة حتى ايام جستنيان .

اللواء الركن محمود شيت خطاب

الهرطقة كانوا يؤدون ما يقع على غيرهم من المواطنين من أعباء ، فقد حرم عليهم التمتع بامتيازاتهم . وحرمت عليهم قوانين جستان الاشتغال بالمهن الحرة ، بل تقرر هدم كنائسهم ، وأغلقت دونهم الاجتماعات العامة ، وأصبحت شهاداتهم القانونية ضد الأرثوذكسين غير مقبولة ، وأضحت وصاياهم لاغية ، وفقدوا ما يخولهم حق الوراثة ولو بوصية اختيارية ، وحق وراثة شخص توفي دون أن يوصي ، فأصبح المثلث عن الكنييسة منبوذ المجتمع . وكانت سياسة جستان فيما يختص بالمانويين (أتباع مذهب ماني) سياسة إبادة ، فخصائص الروح فوق خصائص الجسد ، وإذا يجب القضاء التام على كل ما من شأنه أن يسبب العدوى .

ويسكن تلخيص آراء جستان في الحكومة بالعبارة الموجزة : حكومة واحدة ، وقانون واحد ، وكنيسة واحدة .

وقد صدرت سلسلة أخرى من القوانين ضد الوثنية ، وأدخل في القرن السادس الميلادي ألوف من الوثنيين في المسيحية قرأ دون أن يعتنقوها فعلا . وتنتج عن تلك التشريعات دخول كثير من غير المسيحيين في المسيحية ، بيد أن الغالب من هؤلاء المتنصرين الجدد كانت رهبتهم للاله المسيحي ناتجة عن خوف من الناس ، في حين ظلت قلوبهم في وادٍ آخر ، إذ ظلت على ولائها للعقيدة القديمة .

وهكذا انحطت المقاييس الأخلاقية والدينية داخل الكنييسة ، وشعر الناس أن الحياة المسيحية أخذت تفقد مثلها العليا المتشددة ، فأخذوا يجاهدون في سبيل الاقليات من عالم لا يحتمل في نظرهم ، وامتلات صحارى مصر بطالبي العزلة الذين يغنون الوصول إلى الله ، غير أنهم لم ينفصلوا عن الكنييسة المنظمة اتصالاً فعلياً، لكنهم كفوا أنفسهم بأنفسهم، وكانوا في غنى عن حظيرة

الكنيسة . وهكذا قامت الرهبة منفصلة عن الكنيسة ، وكانت من ناحية احتجاجاً فردياً على نظام قام بأكبر نصيب في تأييد الدولة . ولما كانت الكنيسة تسعى لتركيز سلطاتها في ادارتها الداخلية ، فقد قررت أن تحول دون بقاء أية حركة دينية خارجة عنها ، ولا مفر لأي لون من ألوان الدين من أن يؤيد قضيتها ، وإذا كان لابد من تكيف الحركة الجديدة بما يلائم أغراض الكنيسة ، فأنها - أي الكنيسة - كانت متعددة لترتيب معونة مالية مؤقتة توصلها الى أغراضها ، فإذا لم يخضع الميل الجديد الى التقشف لادارتها ، أصبح من اللازم عليها تحطيمه ، وأصبح على الزاهد أن يتصل بأولئك الذين يشاركون الاعتقاد بمثله العليا ، إذ أن ذلك يفسح المجال أمامه لممارسة فضائل المسيحية .

ومهما يكن من أمر ، فإن ساكنهم التي اتخذوها لتكنهم في الكهوف المنعزلة أو جعلوها معلقة فوق صخور الجبال ، هو الذي ايقظ الشعوب بالاجلال والرهبة والحماة العاطفية في نفوس عامة الشعب ، فهرع الحجاج من الشرق والغرب لالقاء نظرة على القديس العمودي الذي قضى سنين طويلة على عموده ، حتى فقد القدرة على الوقوف ، وأصبح لا يعينه على الوقوف سوى الرباط الذي يسكه بعموده .

وسعت الكنيسة مرة أخرى لتحويل هذا التنسك المحبب الشائع لخدمة أغراضها بشتى الوسائل ، فكان نجاحها في هذا المجال محدوداً .

وقد رأينا أن الحاج الى الأماكن المقدسة كان يعود حاملاً معه تمثالا أو صورة للقديس ، وربما كانت هذه العادة من العوامل التي أعانت على تقوية عبادة الصور التي نشأ عنها نزاع اللاصورية الذي طال أمده .

وقد ضاعت كتابات اللاصوريين ، ونستطيع أن تبين أسس مهاجمتهم لعبادة التماثيل مما كتبه خصومهم . فلم يكن محطمو الصور من أنصار المذهب

العقلي ، بل كانوا مصلحين دينيين ، فكانوا ينظرون الى شعور الناس بالتقديس نحو الصور والتماثيل فظرتهم الى عبادة الأصنام أو نوع من أنواع الوثنية .

ولم يكن عباد الصور أقل اخلاصاً لمبدئهم ، فالواقع أن كثيرين منهم ظفروا للنزاع على أنه جهاد للبقاء ، فشر صناع الصور المجيدون أن الخطر يهدد مورد رزقهم ، لأنهم كانوا يعيشون من رسم الصور المقدسة . وظل بعض أنصار الصور ينافحون عن مبدئهم بحجة كان الشرق يقول بها في وقت مبكر منذ القرن الرابع الميلادي ، وأخذها الغرب فيما بعد ، ألا وهي أن الصور المقدسة انجيل الجاهل ، فالصور ما هي الا مذكر ، وهي للنظر بمثابة الكلمات للاذن ، مهتيا الافهام والتقريب .

وأخيراً ، اتت عباد الصور ، وعاشت الصور المقدسة في الكنائس بخاصة والأماكن العامة أيضاً .

وبقي هناك موضوع الخصومة مع رومة ، فقد اتسعت الهوة بين الشرق والغرب مع السنين ، حتى لقد انقطعت الصلة بين البلاطين الشرقي والغربي في أوائل القرن الخامس ، إلا أن يكون بعض ما كان يشور بينهما من نزاع في اتصال أحدهما بالآخر اتصال عداء ، فكانت مشاكل الغرب والشرق في هذا العصر اللاهوتي مختلفة ، حيث أن نزعات قواد كنيسة الغرب كانت على تدور حول علاقة الانسان بالله ، فكانت مسائلهم تختص بتخليص الانسان أو تحريره من ارادته الانسانية ، ومضوا تحت تأثير أوغسطين ينشئون لعقيدتهم نظاماً خاصاً مقنناً . أما النزاع في الشرق فيدور حول علاقة أفراد الثالوث المقدس بعضهم ببعض ، ودار فيما بعد حول الطبيعة المزدوجة لابن الاله المتجسد . وكانت رومة هي الملجأ الأخير الذي تطلب عونه كل طائفة قليلة مغلوقة على أمرها في الكنيسة الشرقية ، وكان تدخل الغرب على ذلك في ظفر الأكرية

تلخا تنظيميا من شأنه أن يقوم هرملقات الشرق ، فلم تكن كنيسة رومة على وفاق مع كنيسة القسطنطينية خلال نصف مدة القرون الخمسة التي تقع بين وصول قسطنطين للعرش والمجمع الديني العالمي السابع الذي عقد سنة (٧٨٧م) .

وكان اختلاف اللغة بين الكنيستين أهم من ذلك كله ، فبينما كانت رومة الجديدة تقوم في وسط يتكلم اليونانية ، كانت ايطالية في القرن الرابع الميلادي لا تعرف اليونانية ، بل تتكلم اللاتينية ، فكانت رسائل البابوات للجامع الدينية الشرقية تقرأ أولا باللاتينية ثم تترجم الى اليونانية لكي يتسنى لرجال الدين الشرقيين فهمها ، وكثيراً ما كانت تترجم ترجمة خاطئة .

ان الشرق والغرب لم يستطيعا التفاهم ، لأن كلاهما يجهل لغة الآخر .

ولم يكن كبار البطارقة البيزنطيين في الحقيقة على استعداد لأطاعة ما تمليه رومة ، فانتهزوا بشوق فرصة اكسابهم محبة الشعب ، وهاجموا مزاعم البابوية . ولما كان البطريرك والبابا شخصيتين بارزتين في الوقت نفسه ، فقد نتج الانشقاق الديني عن ذلك . وكانت رومة كثيراً ما تلقن القسطنطينية درساً في موضوع الأرثوذكسية ، ولكن بيزنطة حرصت على أرثوذكسيتها الخاصة بها ، واستطاعت أن تدافع عنها في وجه الغرب .

وقد حان الوقت لتبين نواحي القوة والضعف في الكنيسة الأرثوذكسية .

ان تدينها ينفرنا حين نقرأ أدبها اليوم ، اذ انها علفت أكبر قيمة على فضيلة البكاء ، مدفوعة الى ذلك بشعور متجدد بالخوف من الخطيئة ، وفيض الدمع انما هو تأثير نفسي خاص بصاحب الترتيل العاطفي بشكل رئيس . وان الانسان يشعر أن فضيلة رجل الكنيسة البيزنطي ، انما كانت صادرة عن الامل بالجزاء في العالم الآخر . كما ان الكنيسة الشرقية أخذت تشك في القيم

اللواء الركن محمود شيت خطاب

الانسانية وتسمى لكبتها ، فقد اعتبرت الأدب الكلاسيكي القديم خطراً واعتبرت تليذ أفلاطون في عداد الهرطقة ، وكان يعد خائناً . وكانت الكنيسة افرقية ، فرضت اللغة الاغريقية على أتباعها ، وهكذا قضى على لهجات آسيا الصغرى الوطنية . وقد انقذت الكنيسة الامبراطورية البيزنطية ، ومالت في آخر الأمر الى السعي للتوفيق بين رغباتها ورغبات الدولة ، ولم تكن تفرض على الداخل في مذهبها أعباء كثيرة ، فكانت تبدو تسامحا كبيرا فيما يختص بعقيدته وعبادته السابقتين .

ولكن يجب أن نقرر أنها حددت للعالم المسيحي معاني العقيدة ، وإذا كانت كنيسة تابعة للدولة الى حد بعيد ، فقد كانت مشبعة بروح تبشيرية ، ونجد أن جميع الفنون البيزنطية التي كتب لها البقاء ذات طابع كنسي . وإذا كانت هذه الكنيسة قد خضعت للدولة ، فإن من رجالها من عانى التشريد والعذاب والتنكيل من أجل العقيدة . وقد احتفظت الكنيسة في القرون المظلمة بجذوة الهيلينية حية تحت الرماد ، ولا تزال تلك الكنيسة على ولائها لاهدافها التي وضعتها منذ قرون خلت حتى اليوم .

للبحث صلة

المعجمات العربية

وتوحيد المصطلح العلمي (١)

الدكتور يوسف عز الدين

(عضو الجمع)

مقدمة : -

ترددت كثيرا في الكتابة في هذا الموضوع لصعوبة الاحاطة التامة به ،
فطبيعته المتحركة تحول دون الاحصاء التام . فمعذرة اذا كانت خطوط البحث
عامة . لأن الغاية هي اثابة الموضوع وابراز هدفه الاول . ومن الاستمراء
العام نجد أن حركة وضع المصطلحات الجادة في المؤسسات العلمية المستمرة ،
يزحمها بالمناكب القوية العريضة ، العمل التجاري في اصدار المعجمات بشكل
واسع ونشرها دون رقابة عامة حتى غطت على ما تخرجه الجامعات والمؤسسات
العلمية وتفاوتت عليها بالكثرة وجمال الاخراج واتقان الاغلفة والاغراء النسبي
في الزينة الخارجية .

ولم يقف العمل التجاري عند هذا الحد اتما تجرأ ناشر على تزوير جزء
ألفقه بلسان العرب جمع فيه المصطلحات العلمية التي وضعت في المجامع لم
يسم بها ابن منظور ولا عصر ابن منظور ، ورغم فائدة هذا الجمع ،
فينبغي مراقبة مثل هذه الحركة قبل ان تستحل ويصبح الفيروزآبادي
والزمخشري والفراهيدي من مؤلفي القرن العشرين .

المصطلح : -

يوضع المصطلح باتفاق جماعة على معنى محدد لعلم او فن او فكر او

(١) قدم في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في ٢١ جمادى الاول ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٣
شباط ١٩٨٤ م .

الدكتور يوسف عز الدين

تبار فلسفي او ظاهرة في الادب والعام والفن والفلسفة ، او جانب منه ،
أو جزء لتسهيل الفهم وتحديد الدلالة . وقد ورد في (الرسيط) باقرب معنى
واقصره بانه (اتفاق طائفة على شيء مخصوص ، واكمل علم اصطلاحاته) .

الحضارة الأوربية :

غمرتنا الحضارة الحديثة التي جاءت من الغرب بأنواع شتى من المخترعات
والفلسفات التي لا يمكن ان تتوقف ، وزخت العلوم الجديدة والتقنية المتطورة
والآراء المتصارعة على عالمنا العربي بما لم نسمع به من قبل ، ولم يسمع
حتى بناؤها بها من قبل هذا القرن . وغمر اللغة العربية طوفان من المصطلحات
المتناقضة والاطر الفكرية الغربية في الكتب والمجلات ووسائل الاعلام المختلفة
التي ترجمت الى اللغة العربية .

دور المجامع :

وقد حاولت مجامعنا - جاهدة - تقريب وجهات النظر المتباعدة عندما
عقدت اجتماعين لها في بغداد والقاهرة ، وكانت تريد الاجتماعات دورية
لانجاز مهمتها العلمية ، غير أن الامور الخارجة على ارادة العلم حالت دون
الاستمرار فيها ، والاستفادة المرجوة من لقاء اصحاب الشأن والارتفاع بجهود
المجامع .

ومع ذلك فقد كنا في المجمع العلمي العراقي ، ندرس المصطلحات التي
تم وضعها في مجعبي اللغة العربية في القاهرة ودمشق وننتفع بما وضع من
المصطلحات الجديدة التي كانت تعرض على اللجان (٢) .

(٢) يمكن ملاحظة ذلك في المصطلحات التي وضعها المجمعون في بغداد في الفزياء وعلم الاحياء
والهندسة المدنية والري والبزل وعلم الثنابات وعلم النفس والامراض العقلية ، ومن اعفاء
هذه اللجان كما وردت في (مصطلحات علمية) المطبوعة في مطبعة المجمع العلمي العراقي
سنة ١٩٨٢ الاسانذة السادة .

المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي

المنظمة العربية :

وقد حاولت المنظمة العربية للثقافة والعلوم عدة محاولات جادة في هذا السبيل ، كما عقد المجلس الاعلى ارفعاية الآداب والعلوم والفنون اجتماعات في تونس ودمشق والقاهرة اكن حالت دون استكمال هذه الاجتماعات الظروف والعوائق المعروفة ووقفت امام فكرة توحيد المصطلح وحدثت خطراته التي يرجوها المخلصون (٣) .

ان كثرة الجامعات — بما فيها من خير — وزيادة عدد المتعلمين الذين يعرفون اللغات الاجنبية وانتشار المجامع زاد في تفرق الكلمة وتناقض المصطلح فمن الضروري القيام بعملية تنسيق جادة وتنظيم مستمر بين المؤسسات العلمية في الوطن العربي .

اعضاء المجمع العاملون احمد عبد الشار الجوارى وعبد العزيز البسام ومحمود الجليلي وعبد الطيف البدرى ونجيب خرومة واخوان محمود شيت خطاب وحسن الكتاني ويوسف عز الدين وعبد تقي الحكيم وجميل الملائكة واحمد ناجي النيسي وجوامير مجيد سليم وفخري الدباغ وعلي عطية وجلال محمد صالح واحمد سوسة رحمه الله ، اضافة الى خبراء يختارهم المجمع من ذوي الاختصاص في العلوم التي يضع مصطلحاتها ووضع المقدمة الدكتور صالح احمد علي .

(٣) هناك مشاريع اخرى للمعجم تلك التي نشرت في تونس في الرياضيات والكيمياء والفيزياء وتذكر مؤتمر الجزائر الذي عقد في ١٩٦٤ م بأشراف اليونسكو والمؤتمر الذي عقد في طرابلس الغرب سنة ١٩٧٧ لتوحيد المصطلحات ومؤتمر تدريب التعليم العالي في الوطن العربي الذي عقد في بغداد سنة ١٩٧٨ . وبعد المؤتمر التزمت الجامعات والمؤسسات التربوية بالبدء في التعريب في الصفوف الاولى ، وبدأ التعريب في كليتي الطب وطب الاسنان سنة ١٩٨٠ — ١٩٨١ الجامعية ، اضافة الى تدريس مادة علمية باللغة الاجنبية في كل سنة دراسية . واسس لهذا الغرض مركز للتعريب لتنظيم عملية التعريب وتنسيق المصطلحات ، وشارك في المؤتمر اعضاء من المجمع العلمي العراقي العاملين هم جميل الملائكة ومحمود الجليلي ومحمود شيت خطاب وعبد الرازق محي الدين ويوسف عز الدين وفخري الدباغ واسهموا في بحوث المؤتمر ودراساته وتوصياته .

الدكتور يوسف عز الدين

التعريب في القديم :

عندما بدأ التعريب في العصر العباسي في بغداد ، كانت المصطلحات موحدة لأن مصدرها واحد هو بيت الحكمة وقد اعتمدت البلاد الإسلامية عليها وبالرغم من أن البداية لم تكن تلائم الذوق العربي الاصيل بدخول كلمات اجنبية في الترجمة مثل (ارثماطريقي) للحساب (وجومطريا) للهندسة و (وبريطيقا) للشعر وغيرها مما هو معروف ، وقد تبدلت هذه الالفاظ وصقلت لما اشرف الادباء واصحاب الذوق العربي الاصيل على الترجمة فقد احتوى المترجم الاديب المعنى وفهمه وصبه في الذوق العربي ومن الامثلة ما صنعه ثابت بن قرة في كتابي (اقليدس) و (المجسطي) .

التعريب الحديث :

واستطيع سادتي عنرا ان ذكرت بداية وضع المصطلح الحديث التي ما تزال اشارة واضحة في لغة العلوم والفنون والآداب في عصر عندما ارسل محمد علي باشا بعثته الى الغرب . فقد كانت هذه البعثات رائدة في عملها برياسة رفاعة رافع الطهطاوي .. فقد فرض على جميع الاعضاء بعد عودتهم الاهتمام بالتعريب والترجمة .

فقد درست مجلة (يعسوب الطب) (٤) الصادرة ما بين عامي ١٢٨٥ هـ و ١٢٨٦ هـ و (روضة المدارس) التي املك نسخة مصورة منها (٥) و قبلت كتبها ترجمت الى اللغة العربية في مختلف العلوم والفنون ، فوجدت جهدا كبيرا ودقة واضحة في الترجمة ووضع المصطلح تشابه حركة الترجمة الاولى التي قامت في بغداد . ومن هذه الكتب (٦) .

(٤) لا تملك دار الكتب اعدادا كاملة للمجلة .

(٥) كتب الترميز الشاعر الكبير محمد عبد النبي حن دراسة متازة عن (روضة المدارس) ونشرت بالهيئة العامة لكتاب في القاهرة .

(٦) تركت اعمالين والتعليقات بأسلوبها وفكرتها .

المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي

- ١ - حقائق الاخبار في اوصاف البحار .
تأليف علي باشا مبارك .
- ٢ - الصحة التامة والمنحة العامة .
تأليف طبيب مصره ولقمان عصره معلم الامراض الباطنية بالمدرسة
الطبية محمد بدر افندي .
- ٣ - اثار الافكار ومنتور الازهار .
تأليف عبدالله بك فكري .
- ٤ - المباحث البيئات فيما يتعلق بالنبات .
تأليف الحاذق الماهر ذي الفضل الباهر - أحمد افندي ندا - مدرس
المراد الثلاثة بالمدرسة الطبية .
- ٥ - الازهار البديعة في علم الطبيعة .
تأليف مسيو بيرون معلم الكيمياء بمدرسة الطب . جمعه من كتب
الفن الفرنسية وترجمه يرحنا عنجوري المدعو بحتين مع مساعدة
المؤلف المذكور لمعرفته بالعربية وصححه الشيخ يونس الراءظ المصحح .
- ٦ - احسن الاغراض في التشخيص ومعالجة الامراض .
تأليف محمد التونسي محرر كتب الطب ، قابله مع جامعه محمد شافعي
الحكيم الماهر .
- ٧ - حسن الصنعة في علم الطبيعة .
للمرسة علي افندي عزة احد خراجات العلوم الرياضية بمدرسة
المهندسخانة الخديوية .
- ٨ - التشريح العام .
تأليف كلار ترجمة عيسوي افندي النحراري استملاه الشيخ عوض

الدكتور يوسف عز الدين

القناني وهو المصحح الاول ، المقدمة استملاها الشيخ علي العدوي
وهو المصحح الثاني ، قابله مع بيرون الكيماوي الطيب العارف
لكثير من اللغات .

ومن قراءة التعليقات التي كتبت على الصفحات الاولى يجد الباحث مقدار
للعهد وشكل العناية الشعور بالمسؤولية التي بذلت في سبيل خدمة اللغة العربية
ولم يكتف المترجمون بالترجمة والتدقيق والمراجعة والتأكد من وضع المصطلح
المناسب انما كانوا يضعون الملاحق لتسهيل فهم المصطلح وضبط الكلمات
وقد شرح الفكرة احد هذه الكتب بقوله :

(فيه كثير من الاسماء الاعجمية سواء كانت فرنساوية او يونانية كاسماء
مهرة المشرحين ، وبعض حيوانات قد ذكرت لاتين ، واسماء بعض امراض
ومفاصل ولعجمتها كان التحريف فيها حال التلفظ بها اقرب حاصل ، ولا
يمكن النطق بها على حقيقتها بالضبط التام ، الذي به يستقيم الكلام ، ولا سبيل الى
ذلك الا بضبطها بالعبارة ، لأن الضبط بالشكل غير مأمون الخسارة ، امرني
حضرة ناظر مدرسة الطب الانساني الآن الشهير بيرون ان اضبطها بالعبارة
ليسهل التلفظ بها ويهون وأن أرتبها على نطق حروف المعجم لتكون مراجعتها
أسهل واقوم واحكم ...) (٧)

دقة الترجمة والتطبيق :

وأعود فأقول ان دقة الترجمة ووضع المصطلح - رغم الضعف والركة -
أحيانا مما يائمت نظر الدارس فقد كان كل طالب من طلاب البعثات الذين
عادوا الى القاهرة حريصا على نقل علم الغرب وفكره وطراز حياته الى البيئة
التي كان يعيش فيها وتطبيق ما كان يراه صالحا من العاوم الحديثة الى الطلاب

(٧) انشراح العام ، تأليف كلار ، طبع في بولاق ١٢٦١ .

المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي

والاستفادة منها في حياة مصر العامة وما قام به الطهطاوي وما طبع نموذج حي لذلك...

كما أجريت دراسات علمية جديدة على مياه حلوان الملحية الكبريتية من (حضرة موسى جاستنيل خوجة الكيمياء والطبيعية ، وترجم الدراسة ذو المعارف الجمّة فتوتلو أحمد افندي ندا - لاجل معرفته الفرق بين الأوصاف الكيماوية لماء حلوان المحتوي على الإصّل الكبريتي والأوصاف الكيماوية للماء المجرد عنه ...) (٨)

وقد ذكر ما حصل للماء من التفاعل الكيماوي .. وعيت (يعسوب الطب) بمظاهر الامراض ووصفتها بدقة ..

توحيد المصطلح :

سبق لي ان اقيمت اكثر من محاضرة في مؤتمر (تعريب التعليم العالي في الوطن العربي) الذي عقد في بغداد ما بين الرابع الى السابع من شهر آذار سنة ١٩٧٨ (٩) . دعوت الى ضرورة توحيد المصطلح العلمي في الوطن العربي . وهو احساس كل من عالج امور المصطلحات ومن يقرأها في الكتب والمعاجم التي تصدر في الاقطار العربية . ومؤتمر كم خير شاهد على عمق الاحساس وصدق الشعور بالمسؤولية القومية والوطنية العلمية في ضرورة التوحيد سواء اكان في اطار المحاضرات والكتب ام بين دفتي المعجمات المتنوعة . فقد دعت الضرورة الى جمع المصطلحات وضمها بعد التنسيق في معجم موحد يعتمد عليه الباحث والدارس والمترجم كل حسب اختصاصه . وقد احس اعضاء المجامع في القاهرة ودمشق وبغداد والاردن بضرورة

(٨) يعسوب الطب ، العددان ٢٥ و ٢٦ صفر ١٢٨٥ هـ .

(٩) اسهم عدد من اعضاء المجمع العاملين وقد نشرت بحوثهم في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٩ م .

توحيد المصطلح وقد دارت الفكرة في بيت الحكمة في تونس - الجلسات الأولى - لوضع حد لهذه الفوضى في اختيار المصطلح وضرورة توحيد .
ولنا كيد هذا الاتجاه صدرت عدة معجمات في العراق موحدة منها المعجم الطبي الموحد - ومن الصدف الحسنة ان توزع آخر طبعاته علينا في هذه الجلسة والمعجم العسكري وغيرها من المعاجم في الطب والفيزياء والكيمياء وعلم طبقات الارض (الجيولوجي) وللوصول الى توحيد المصطلح في العلوم المختلفة مثل علم النفس وعلم الاحياء والهندسة المدنية والري والبزل والغابات والامراض وكنا نراجع ما اقترته المجامع العربية وما اصدره مكتب تنسيق التعريب في الرباط ولم تكن نغفل دراسة الكتب المترجمة باختلاف المترجمين وتعدد الباحثين وكانت محاولات مجمع اللغة العربية المبكرة في القاهرة جادة في الدعوة الى توحيد المصطلح وما قام به مصطفى الشهابي من جمع لاشهر الالفاظ اللاتينية لانواع النبات وترتيبها على حروف المعجم وذكر ما يقابلها باللغة العربية مجال دراسة اللجان المختصة (١٠) .

ولا يمكن نسيان جهود اتحاد المجامع العربية في اصدار المعجمات الموحدة في الطب والنفط والقانون والمعجم الموحد للمصطلحات العلمية في الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم الحيوان وعلم طبقات الارض ، كما سعت المنظمة العربية للتربية والعلم في هذا الصدد لشعورها العميق بهذا التمزق اللفظي .

وخارج المجامع قامت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي باصدار ثلاثة قواميس في الكيمياء ومشروع المؤسسة يشتمل على خمسة معاجم باللغة العربية والفرنسية والانكليزية لشرح المصطلحات وقد وعدت المؤسسة بالانترام بقواعد وضع المصطلحات التي اقترتها المجامع العربية .

(١٠) يلاحظ اعداد مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق في اعدادها المتنوعة ومنها العدد الاول سنة ١٩٦١ ومعجم المصطلحات الجراحية الانكليزية والفرنسية والعربية للامير مصطفى الشهابي ومعجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية ، طبع مكتبة لبنان .

المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي

مشكلة المصطلح :

ان اختلاف المصطلح العلمي في الوطن العربي مشكلة آنية لا بد من حلها فقد كثرت الشكاوى من هذا الاختلاف والتفرق في وضعها واستعمالها وما تزال تدخل للحياة العامة ولغة الصحافة والكتاب ونحس بهذا الاختلاف في أبسط أشكالها في اللغة اليومية والاستعمال الرسمي .

فنحن في العراق نقول وزارة النفط وفي المملكة العربية وزارة البترول والمعادن وهناك من يسمي النفط بالزيت ووجدنا اختلافا في كثير من المصطلحات الحيوية منها على سبيل المثال :

علم الطبيعة — الفيزياء — وتسمونها الفيزيقيا .

الملحق في الامتحان — الدور الثاني ويسمى الاكمال .

المدارس الاميرية والاعمال الاميرية تسمى الرسمية .

المدارس الحرة — الخاصة — الاهلية .

ناظر — مدير

المرتب — الماهية — الراتب — الرزق

شال على التواعد — شال على الاستبداع .

العوائد — الرسوم

وظيفة خائية — شاغرة

كادر — ملاك

وكيل نيابة — حاكم تحقيق — مستنطق

محكمة النقض — محكمة الاستئناف

المحافظ — المتصرف — المايير

مدير الامن — مدير الشرطة — الحكمदार

سترال — بدائة — مقسم

الدكتور يوسف عز الدين

وأر تبعت مثل هذه الكلمات لاحتاج الأمر الى صفحات كثيرة اضافة الى شيوع كلمات اجنبية مثل الطابور وسره وكوبري ونذرة باش وتلغراف وجرنال .. والحبل على الجرار وجرائدنا العربية والاذاعة المسموعة والمرئية شاهد يومي على ما أقول . فلا بد من تدارك الأمر والتكاتف مع الجرائد اليومية ووسائل الاعلام بالاعتماد عن مثل هذه الالفاظ وتوحيدها في معجم واحد او معجمات حسب حاجة الحياة المعاصرة . وحياتنا الحاضرة المتطورة تخدم عملنا بما فيها من سرعة المواصلات ووسائل النشر الحديثة وادوات الطباعة المتطورة وقد اصبحت الوثائق والرسائل والصكوك ترسل صورها من بلد الى آخر بالهاتف المصور .

وقد توحدت الامم المختلفة رغم اختلاف جذورها فحري بالعرب القضاء على الفارقة الفكرية والشرق اللغوي في وضع المصطلح العلمي . اذ أخشى أن يأتي اليوم الذي لا تفهم شعوب العرب المصطلحات التي توضع في اقطارها المختلفة واقاليها المتباعدة .

هذه المشكلة قد حلها السلف الصالح بوضع كتب للمصطلحات مثل مفاتيح العلوم للخوارزمي والمغرب للجواليقي والمتوكلي لاسيوطي والتعريفات للجرجاني والمخصص لابن سيده وغيرها من مصطلحات اللغة والادب والفلسفة . فالدارس العربي والمسلم قد وجد المصطلحات ورآها ضرورة لميرة حياته الحضارية والعلمية في العصر العباسي وحاولها احفاده في زمن محمد علي باشا (١١) وكان من نتيجة وحدة المصطلح فهم العلوم وحضنها وانتشارها واستعمالها في الكتب العلمية المختلفة حتى اصبحت مألوفة ميسورة لكثرة تداولها .

(١١) المؤسسات العلمية في زمن محمد علي باشا وضمت معجما كبيرا في عدة مجلدات سي قاموس القرايس الطبية . ولا يمكن اغفال ما في مخطوطات التراث العربي لابن الهيثم وابن سينا والكندي وابن بصال وابن وحشية من مصطلحات في مختلف العلوم والفنون .

المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي

ولابد لي أن اسجل شكري استاذين في المغرب العربي ومعاتهما من المصطلحات التي توضع في مشرق الوطن العربي ، فقد قال الاستاذ الدكتور محمد السريسي زميلي في المجلس العلمي لبيت الحكمة في تونس .

(واجهنا مشكل المصطلحات في العربية حين حدث بنا الظروف منذ ما يزيد على الثلاثين سنة الى الاشراف على تحرير القسم العلمي في مجلة المباحث والى تدريس اصول الرياضيات والعلوم الفيزيائية) . فقد كانت المشكلة قديمة حاول الاستاذ وضع مصطلحات جديدة اعتمداً على التراث العربي وما وضع المشاركة من المصطلحات لكنه وجد تشتتا وتفرقا في وضع المصطلح فقال :

(قام الباحثون في المشرق منذ امد بعيد باعمال كثيرة كانت «نميدة» ، وأكب العديد من الاختصاصيين جادين على انشاء ما يقابل في العربية ، المصطلحات العلمية الجاري بها العمل ، ولكن هذه المساعي ، كانت مشتتة وكانت نتائجها متباينة مختلفة فصار المعجم العربي الحديث ملتقا تلتقيا مصطبغا بعديد من الالوان وهو مانح متحرك يعرض من المتحدثات افراجا من الانقاز المشتركة التي قد توازي المداول المقصود موازاة تامة او هي لا توازيه ، والتي تتميز بحسب البيئات وتختلف باختلاف الاشخاص ، فعرب كل اختصاصي بعض مصطلحات اختصاصه ، متأثرا باللون الذي طغى على اللفظ المستعمل في لغة الاصل التي استند اليها وجعلها اساسا في بحثه فتراكت المفردات وتعددت لاداء المفهوم الواحد او لوصف الظاهرة (الراحة ...) (١٢)

وقال الدكتور احمد الانخضر من الجزائر :

(١٢) مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، بغداد ١٩٨٠ ص ٥٥ .

الدكتور يوسف عز الدين

(ولو كان المعجميون العرب المصريون قد اهتموا بتأليف معاجم متخصصة على منوال اسلافهم (كابن سيده في مخصصه) لادركوا اضطراب المصطلحات التي لا يقبل بحال من الاحوال ، وما كان علينا أن نقرم بهذا العمل الجبار لاعادة تنظيمها اليوم ...) (١٣) .

الخاتمة :

ان توحيد المصطلح في لغتنا المعاصرة ضرورة من ضرورات حياة العرب الفكرية المعاصرة لاثبات الذات في الوطن لان التطور العلمي في هذه المرحلة الدقيقة من مراحل تطور الحضارة السريع لا بد له من اعداد متقن ومنسق بعد أن أصبحت البشرية عالما واحدا مشتركا في كل قضاياها العامة .

واللغة العربية هي الاداة القوية التي تربط الاقطار العربية وتسجل تطورها العلمي وتقدمها الحضاري فمن الضروري ان توحيد مصطلحاتها بعد أن أصبحت جزء من الفكر القومي والوطني لان ترك الامر على الغارب سوف يخلق لغات متنوعة لن تمكن الاستفادة منها في الاقطار العربية الاخرى . وايت القضية اعترافا بانفس واعتقادا بالاقليمية انما هي قضية مصير مرحد وقضية مستقبل الحضارة والعلوم في وطننا فمن الضروري ان تأخذ الامر بالجد واحتواء الحضارة العربية ومواجهتها بفهم علميها ومصطلحاتها .

ان فهم العلوم لا يتم بصورة مفيدة وفاعلة في تطور الفكر العلمي عند العرب الا اذا فهم الباحث العلوم الجديدة في لغته المعاصرة فقد تقامت اليابان وطورت علوم الغرب عندما درست العلوم الغربية بلفتها رغم الصعوبات الكبيرة في هذه اللغة وقد تطورت العلوم الحديثة في روسيا عندما بدأ العلماء يدرسونها باللغة الروسية ، ولم تصل الصين ذات اللغة العجيبة المعقدة الى

(١٣) المصدر السابق ، ص ٥٨٩ .

اكتشاف او اختراع القنبلة الذرية ومزاحمة الغرب في صواريخه الا بعد دراسة العلوم المتطورة باللغة الصينية (١٤) .

كنا ندرس الكيمياء ولا نعرف ما يحتويه المصطلح من كميات المواد وكنا نحفظ غيا المصطلحات العلمية كي نتجح في الامتحان لاننا لا نعرف بصورة مضبوطة محتريات هذه المصطلحات العلمية . والطلاب في الغرب يعرف ما معنى كبريتوز وكبريتات وكبريتد وكبريتيك وما مقدار الاكسجين والكبريت في هذا المصطلح .

ان وضع المصطلحات باللغة العربية وتنسيق المعجمات وتوحيدها سوف يخلق جيلا عربيا يفكر بلغته ويعرف اسلوب البحث العلمي ودقائق المصطلح ومن فهم الاسلوب العلمي فقد تطور فكره في البحث ووصل الى النتائج الجيدة وأصبح مبدعاً . لأن اللغة خير وسيلة للتأصيل العلمي والفكري . وبعث الثقة العميقة بالتراث اللغوي الذي عانى من الاتهامات المريرة .

ان الايمان بقدرة اللغة سبيل الى بعث الثقة بالذات ووسيلة للتأصيل العلمي والفكري في الامة واحتواء الحضارة الجديدة لان العلم متى أصبح مشاعا يصبح سهلا ومتاولا من اصحاب الحرف والاعمال العامة وعلى هؤلاء المعول في ادارة كثير من اعمال المخترعات الحديثة .

ولا بد في هذا المجال من مراجعة المعاجم التي وضعت لمختلف العلوم والفنون والاستفادة من اصحاب الخبرة في كل فن وعمل في وضع المصطلح العلمي . ويمكن اتخاذ الخطوات التالية :

١- عقد المؤتمرات الدورية المتقاربة التي بدأت في المجامع - ولم تستمر -

(١٤) لكي تلم باللغة الصينية لابد لك ان تعرف عدة آلاف حرف وقد احست بصعوبة لغتها عند زيارتي للصين الشعبية ولا شك ان اليان تعاني مثل هذه الصعوبات ولكن لم تتخل عن اللغة رغم الصعوبة البالغة ولم تكن البلغارية لها حروف حتى وضعها لها كيرل وتيردي .

الدكتور يوسف عز الدين

لتوحيد المصطلح الذي يضعه المجمعون قبل ان يطبع في المعجم الموحد للعلم الراحه .

٢- ان يكون التنسيق مستمرا بين جميع المؤسسات العلمية والمجاميع بتبادل ما وضع من المصطلحات ودراساتها وابداء الرأي في كل مصطلح .

٣- اسهام عدد من اللغويين في المؤسسات العلمية عند وضع المصطلح فقد لاحظت بعض المصطلحات يضعها العالم الناضل بعلمه واكنه بعيد عن اللوق اللغوي والاسارب العربي فتدخل الالفاظ الاجنبية التي انها العالم ويفرضها لشدة حرصه وقرب معناها الى نفسه .

٤- من المهم وجود هيئة علمية للتنسيق قادرة على العمل المنظم والحركة السريعة وتملك القدرة المالية والمعنوية في التنسيق والطبع والنشر .

٥- تحديد معنى المصطلح بوضع تعاريف مطراة واختيار الدقة في لغة العلم المعاصرة ، وايضاح الدلالة العلمية والتفاعلات التي جاء منها المصطلح لان الايضاح ضرورة افهم المصطلح في أول وضعه والاتفاق عليه .

٦- جمع المصادر العلمية من مصادرها العلمية المعاصرة وحذف الاختلاف البين وتقريب وجهات النظر ما بين هذه المصطلحات والتأكيد على دراسة ما وضع في المشرق العربي والمغرب العربي لاختلاف القواعد الفكرية العلمية بتزوع الجذور الاجنبية التي اخذت منها هذه المصطلحات .

٧- ولا بأس من الاستفادة من المصطلحات العلمية التي وضعت في زمن محمد علي باشا رغم ما فيها من سذاجة وبدائية وقد وجدت الكتب التي انتشرت في المدارس مطبوعة او مخطوطة في دار الكتب وقد ذكرت جزء منها .

شكر وتقدير :

واخيرا اقدم جزيل شكري وتقديري للمبادرة الكريمة التي قام بها

المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي

مجمع اللغة العربية للدعوة لهذا المؤتمر فإن عمله التاريخي خطورة كبيرة في سبيل الوحدة الفكرية للقضاء على التمزق الفكري في وضع المصطلح . لان توحيد المصطلح اقوى قاعدة للنهوض بالعلم المعاصر وتقريب فهمه ونشره بين اكبر عدد من المتعلمين واصحاب الحرف . . وبالتالي فهو عمل خالده في النكر المشت في بلادنا العربية .

وارجو أن تكون هذه الخطورة العلمية باعثا لحفز همم المؤسسات العلمية في كل الاقطار العربية للسير في هذا السيل .

واختتم قولي هذا بالتهاني القلبية لمجمع اللغة العربية ولرئيسه استاذنا شيخ الفلاسفة المعاصرين الدكتور ابراهيم بيومي مذكور واساتذتي وزملائي اعضاءه واتمنى لهم اعذب التهاني والعمر المديد والانتاج المستمر .. بالعيد الذهبي راجيا ان يكون المجمع منارا يشع بعلمه ونبراسا يهتدى بفضلله وفكرا يستفاد منه وفضلا يطور الحضارة المعاصرة ويقدمها حية لجميع الامة العربية . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



كتاب الشجر والنبات

وكتاب النخل

لأبي عبيد القاسم بن سلام

المتوفى سنة ٢٢٤ هـ

محقق

الشيخ محمد حسن آل ياسين

عضو المجمع

أبو عبيد القاسم بن سلام - وزاد بعضهم : بن مكين بن زيد - عليم شامخ من أعلام العربية ، واستاذ كبير من أساتذة عليم القراءات والحديث والغريب ، ورائد بارز من رواد البحث اللغوي والتأليف المعجمي في تاريخنا المشرق القديم .

• وُلِدَ بهراة سنة ١٥٠ أو ١٥٤ هـ ، وأبها نُسِبَ لقبيل الحروري ، وكان زيد أبو جده حملاً ، وأبوه سلام عبداً رومياً مملوكاً لرجل من أهل هراة ، ثم دخل في عداد مرالي الأزد .

• ارتحل في طلب العلم في البلدان ، فزار بغداد والكوفة والبصرة ودمشق والقاهرة ، وحضر حلقات الدرس فيها ، فأخذ وسمع ، وروى وحديث . وكانت له الرواية عن عدد كبير من أعلام اللغة والنحو والغريب من كوفيين

كتاب الشجر والنبات والنخل

وبصريين وغيرهم ، ومنهم : أبو زيد الأنصاري ، وأبو عبيدة ، والأصمعي ،
وأبو محمد اليزيدي ، وابن الأعرابي ، وأبو زياد الكلابي ، والأُموي ، وأبو
عمرو الشيباني ، والقرءاء ، والكسائي ، والأحمر ، وأبو الحسن اللحياني .

• أقام ببغداد مدّةً للفادة والتدريس والاملاء ، وكان يتزل بدرب
الريحان ، وفيها ألف كتابه الشهير « غريب الحديث » . كما أقام بطرسوس
ثمانى عشرة سنة يتولى شؤون القضاء فيها .

• له طلاب كثيرون قال القفطي لهم : « وعادت بركة أبي عبيد
— رحمه الله — على أصحابه ، فكلهم نبغ في العلم واشتهر ذكره وأخذ عنه
وتصدر للنادة » .

• حج بيت الله الحرام في سنة ٢١٤ أو ٢١٩ هـ ، وأقام بمكة المكرمة
بعد الحج مجاوراً الى أن توفي فيها في المحرم من سنة ٢٢٤ هـ — ٨٣٨ م ،
في أشهر الروايات .

• وبقي اسمه بعد وفاته موضع اكبار العلماء والمعنيين على مرّ القرون ،
فذكره بكل إجلال واحترام ، واثنوا عليه بما يستحقه من تبجيل وتقدير .
وكان منهم أبو عثمان الجاحظ ، وقد قال فيه :

« ومن المعلمين ثم الفقهاء والمحدثين ؛ ومن النحويين والعلماء بالكتاب
والسنة والناسخ والمنسوخ وبغريب الحديث وإعراب القرآن ؛ ومن قد جمع
صنوفاً من العلم : أبو عبيد القاسم بن سلام . وكان مؤدّباً لم يكتب الناس
أصح من كتبه ولا أكثر فائدة » .

وذكره ابن درّستويه فقال : « من علماء بغداد المحدثين النحويين على
مذهب الكوفيين ، ورواة اللغة والغريب عن البصريين والكوفيين ، والعلماء
بالقرءات ، ومن جمع صنوفاً من العلم ، وصنّف الكتب في كل فن من
العلوم والأدب فأكثر » .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

ألف أبو عبيد في العلوم التي برع فيها فأجاد وأبدع ، وقد ذكر له المؤرخون عدداً كبيراً من المؤلفات ، منها ما طُبِع ومنها ما هو مخطوط موجود ومنها ما ضاع خبره ، ونورد فيما يأتي جريدة بأسماء تلك الكتب ، وربما كان بعضها فصولاً مستلة من كتبه المطبوعة :

١ - كتاب آداب الاسلام .

٢ - كتاب الأجناس من كلام العرب : طبع في بومباي الهند سنة

١٩٣٨ م .

٣ - كتاب الأحداث .

٤ - كتاب أدب القاضي .

٥ - كتاب الأضداد في اللغة : عزاه بروكلمان لأبي عبيد وذكر أن

نسخة مخطوطة منه في مكتبة عاشر أفندي في استانبول . والظاهر أنه أضداد أبي حاتم .

٦ - كتاب الأمثال (وسماه ابن التديم : الأمثال السائرة) : نشره

نشرة علمية جيدة مركز البحث العلمي وأحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى في مكة المكرمة سنة ١٤٠٠ هـ ، وكان قد طُبِع قبل ذلك أكثر من مرة .

٧ - كتاب الأموال : قال فيه القفطي : « من أحسن ما صُنِف في

الفقه وأجوده » ، طبع للمرة الاولى في القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ ، ثم أعيد طبعه - فيها أيضاً - سنة ١٣٨٨ هـ .

٨ - كتاب الإيمان ومعالمه : طُبِع بدمشق .

٩ - كتاب الإيمان والندور .

١٠ - كتاب الحجر والتفليس .

١١ - كتاب الحيض .

- ١٢ - كتاب الخطب والمواعظ (وسماه ابن خير : مراعظ الأنبياء) : منه نسخة مخطوطة في لايبزغ .
- ١٣ - كتاب الشعراء .
- ١٤ - كتاب شواهد القرآن .
- ١٥ - كتاب الطهارة .
- ١٦ - كتاب عدد آي القرآن .
- ١٧ - كتاب غريب الحديث : طبع في حيدر آباد الهند في أربعة أجزاء في سني ١٣٨٤ - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م .
- ١٨ - كتاب غريب القرآن : قال بروكلمان : « يبدو أن القائمة المنسوبة الى أبي عبيد ، والمشملة على ما ورد في القرآن من لغات القبائل مأخوذة من كتابه المفقود في غريب القرآن . وقد طبعت هذه القائمة على هامش كتاب التيسير في علم التفسير لعبد العزيز بن محمد الديري المتوفى ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م ، المطبوع في القاهرة ١٣١٠ هـ . »
- ١٩ - كتاب الغريب المصنف : وربما يقال له الغريب المؤلف ، وقد يكتفى بـ « المصنف » أو « المؤلف » في تسميته ، وروى الأزهرى في تهذيبه بسنده عن أبي عبيد قوله : « كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة أنلقف ما فيه من أفراء الرجال » ، وفي رواية أخرى : « ثلاثين سنة » . وسيأتي مزيد كلام فيه بعد ذلك .
- ٢٠ - كتاب فضائل الفرس : ذكره القلقشندي في صبح الأعشى : ٩٢ / ٤ .
- ٢١ - كتاب فضائل القرآن : ذكر بروكلمان أنه نُشر في مجلة اسلاميكا .
- ٢٢ - كتاب فَعَلَ وَأَفْعَلَ : ذكر بروكلمان أن نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية في القاهرة .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

٢٣ - كتاب القراءات : قال فيه القفطي : « كتاب جيّد ، ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله » .

٢٤ - كتاب ما خالف فيه العامة لغة العرب : نقله بروكلمان عن لسان العرب .

٢٥ - كتاب المذكر والمؤنث .

٢٦ - كتاب معاني الشعر : روى بروكلمان أنه مذكور في طبقات الشافعية للسبكي .

٢٧ - كتاب معاني القرآن .

٢٨ - كتاب المقصور والممدود .

٢٩ - كتاب الناسخ والمنسوخ .

٣٠ - كتاب النسب .

وقال ابن النديم بعد ذكر أسماء مؤلفات أبي عبيد : « وله غير ذلك من الكتب النحوية » ، وقال القفطي : « وله كتب كثيرة لم تُرو في أصناف الفقه كاه » .

أما كتاب مقاتل الفرسان الذي عزاه بروكلمان له نقلاً عن المزهري للسيوطي في بعض طبعاته فهو لأبي عبيدة كما ذكر في فهرس مؤلفاته وكما ورد في طبعة البابي الحلبي من المزهري : ١ / ٤٣٤ .

★ ★ ★

أما « الغريب المصنّف » فيُعَدُّ - في الحق - من أجلّ مؤلفات أبي عبيد وتراثه اللغوي النفيس ؛ بل في طبعة المعجمات اللغوية الرائدة بعد « عَيْن » الخليل . وحسبنا في ذلك كلمة شعر بن حمدويه المعروفة :
« ما للعرب كتاب أحسن من مصنّف أبي عبيد » .

وقد نال الكتاب منذ عصر المؤلف بل منذ الفراغ من تأليفه ؛ اهتماماً

كتاب الشجر والنبات والنخل

كبيراً قلّ ما حظي بمثله كتاب آخر ، ثم أصبح — بعد ذلك — مصدراً رئيساً لكل من ألف في اللغة وعني بها ، ويروي الأزهرى — وهو أحد المعجمين القدامى البارزين — أنه اختلف إلى الإيادي في سماعة بنتين وزيادة .

ولعل من أكبر ما يحكي لنا هذا الاهتمام — وما زال المؤلف حياً — ما رواه الزبيدي في طبقات النحريين : أنه قيل لأبي عبيد إن فلاناً يقول : أخطأ أبو عبيد في مائتي حرف من المصنّف ، فقال : « في المصنّف مائة ألف حرف ، فإن أخطئ في كل ألف حرفين ما هذا بكثير مما استدرك علينا ، ولعل صاحبنا هذا لو بدا لنا فناظرناه في هاتين المائتين بزعمه لوجدنا لها مخرجاً » .

وفي نص آخر : أنه قيل له إن فلاناً ذكر أنك صحفت في المصنّف نيفاً وعشرين حرفاً ، فقال : ما هذا بكثير ، في الكتاب عشرة آلاف حرف مسروعة .

وليس أصرح من هذين النصين ولا أبلغ دلالة على اهتمام معاصري أبي عبيد بكتابه وتصديهم اقراءته وتدقيق مطالبه واحصاء الحروف التي أخطأ فيها أو صحف ، وذلك برهان ناصع على الشهرة الكبيرة التي نالها الكتاب والفضجة التي أثارها يومذاك .

ثم جاء بعد وفاة أبي عبيد من حاول التقليل من أهمية الغريب المصنّف وقيمه وما تضمنه من إنجاز علمي كبير في عصره ، فنفى أن يكون أبو عبيد هو المبتكر لهذا المنهج في تقسيم الألفاظ على أبواب المعاني ، وإنما كان في ذلك عيلاً على غيره وناقلاً عما سبقه . قال ابن النديم في ترجمة النضر بن شميل : « له من الكتب كتاب الصفات ، وهو كتاب كبير يحتوي على عدة كتب ، ومنه أخذ أبو عبيد القاسم بن سلام كتابه غريب المصنّف » .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

وقال أبو الطيب اللغوي : « وأما كتابه المترجم بالغريب المصنف فانه اعتمد فيه على كتاب عمله رجل من بني هاشم جمعه لنفسه ، تأخذ كتب الأصمعي فبواب ما فيها ، وأضاف اليه شيئاً من علم أبي زيد وروايات عن الكوفيين . »

وقال ولدنا محمد حسين في التعليق على ذلك :

« والحق ان في ذلك غلواً كبيراً ، فلو وازننا بين ما ذكره ابن التديم من أجزاء كتاب (الصفات) وأبوابه ؛ وكتب الغريب المصنف وأبوابه ، اظهر الفرق الكبير فيما استجد في الغريب المصنف من كتب وأبواب . فكتاب الصفات خمسة أجزاء تضم ما يقرب من ثلاثين باباً ؛ على ما ذكر ابن التديم .. والغريب المصنف ثلاثون كتاباً أو قريب من ذلك ، تضم ما يقرب من ألف باب ، تختلف طولاً وقصراً . . . »

ثم يقول بعد ايراد حججه على ما ذهب اليه : « فكيف يكون بعد هذا كتاب الصفات للتضر هو المثال الذي احتذاه الغريب المصنف ! ... الا أن يكون المقصود ... سبق التضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) الى تأليف الصفات . فإن كان ذلك ما أرادوا فننعم » (١) .

ومهما يكن من أمر ، فان الكتاب — كما أسلفنا — قد نال من الاهتمام والشأن ما لا ينكر . وقد تصدّى لشرحه جماعة من العلماء ، كابن السيرافي المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ؛ وأبي العباس المرسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ .

كذلك تصدّى أردّه وتصحيحه عدد من الأعلام ، وفي طليعتهم العالم اللغوي النحوي علي بن حمزة البصري المتوفى سنة ٣٧٥ هـ ، وقد وودردّه هذا في ضمن كتابه « التنبهات » المطبوع في القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ

(١) الدراسات القنوية عند العرب : ٢٩٢ .

(الصفحات : ١٨٩ - ٢٧٣) . والملاحظ في بعض تلك الردود والتصحيحات انها اجتهادية أو فوقية ، وليست أغلاطاً ملماً بها .

وقد سلمت - والحمد لله - من عوادي الدهر نسخ مخطوطة متعددة من الغريب المصنف ، وروى بروكلمان وجود نسخ منه في مكبات : أيا صوفيا ، القاهرة ، مجموعة لندبرغ في لندن ، امبروزيانا ، اسكوريال ، فاتح ، داماد زاده ، وغيرها (٢) .

★ ★ ★

وفي أثناء اشتغالي بإعداد « معجم النبات والزراعة » أثار انتباهي ما رأيته من شيوع النقل عن أبي عبيد في كل المعجمات ، ومن تكرار اسمه في كل باب من أبواب اللغة وكل حرف من حروفها ، فكان من الضروري الرجوع الى كتابه « الغريب المصنف » للوقوف عليه ومعرفة ما يضمه من معلومات تخص هذا الموضوع .

وقرأت الأبواب الخاصة بالنبات والشجر والنخل في هذا الكتاب قراءة فاحصة ، وقد أعجبنى ذلك غاية الإعجاب ، فرجع عندي نشره ووضعه بين يدي القراء والمعنيين - لغويين ونباتيين - ، تقديراً للجهود الذي بذاه مؤلفه

(٢) رجعت في ترجمة أبي عبيد الى المصادر الآتية - مرتبة على حروف الهجاء - : انباء الرواة لتفطلي : ١٢/٢ - ٢٣ والبداية والنهاية لابن كثير : ١٠/ ٢٩١ - ٢٩٢ وبغية الوعاة للسيوطي : ٣٧٦ - ٣٧٧ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان - الترجمة العربية - : ٢/ ١٥٥ - ١٥٩ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٢/ ٤٠٣ - ٤١٦ وتذكرة الحفاظ للذهبي : ١١٧/٢ - ٤١٨ والتهذيب للأزهري : ١/ ١٩ - ٢٠ و ٣٢ و ٣٧ و شذرات الذهب لابن الساد الحنبلي : ٢/ ٥٤ - ٥٥ و طبقات النحويين للزبيدي : ٢١٧ - ٢٢١ والفهرست لابن النديم : ٥٤ و ٧٨ وفهرسة ابن خير الاشيلي : ٧١ و ٢٩١ وكشف القنون لحاجي خليفة : ٢/ ١٢٠٩ و مرآة الجنان لليانعي : ٢/ ٨٣ - ٨٦ ومراتب النحويين لأبي الطيب القنوي : ١٨ و ١٤٨ ومعجم الادباء لياقوت : ١٦/ ٢٥٤ - ٢٦١ ونزهة الألباء لابن الانباري : ٩٣ - ٩٨ ووفيات الأعيان لابن خلكان : ٢/ ٢٢٥ - ٢٢٧ .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

في هذه السبل ، واعترافاً له بالريادة أو بكونه أحد الرادة الأوائل في هذا الميدان ؛ إذ يُعدُّ نصُّه هذا ثالثاً ما وصل إلينا من نصوص السلف في النبات بحسب التسلسل التاريخي بعد كتابي أبي زيد والأصمعي .

وكان المستشرق الدكتور اوغست هفتر قد نشر كتاباً باسم « النخل » عزاه للأصمعي (يراجع كتاب البلغة في شذور اللغة / ص ٦٣ - ٧٢ / بيروت ١٩١٤ م) . وهو في حقيقته كتاب النخل لأبي عبيد ، وقد استلّه من الغريب المصنف رجل غير معروف ، فاختصر وحرف فيه وصحّف ، وحذف أسماء الرواة ، وعظم الشواهد الشعرية .

ويمتاز نبات أبي عبيد بكثرة الرواية عن الأصمعي ، بل إن أكثر ما فيه مروى عنه ، ولكنها ليست رواية عن كتابه في النبات وإنما عن الأصمعي نفسه ؛ وإن كان كثير من ذلك قد ورد في نبات الأصمعي باختصار أو بلفظ آخر .

أما رواياته عن أبي زيد - وهي قليلة - فلم تكن عن كتابه « الشجر » ، وإنما عن أبي زيد نفسه ، ولا وجود لتلك المعاومات في الكتاب المذكور .



تهيات لي من مخطوطات الغريب المصنف ثلاث نسخ رجعت إليها في تحرير النص :

الاولى - نسخة المكتبة الامبروزيانية في ميلانو - ايطالية . وهي في ٢١١ ورقة ، وقد جاء في آخرها : « تم كتاب الغريب المصنف بحمد الله ومنه ، والصلاة على النبي وآله ، في جمادى الأول (كذا) ، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة . رحم الله كاتبه وغفر له » .

وقد جعلت هذه النسخة هي « الأصل » لكونها أقدم النسخ الواصلة إلينا ، مع ما تمتاز به من صحة في النسخ ؛ ودقة في الضبط وإن لم يكن ضبطاً كاملاً .

كتاب الشجر والنبات والنخل

الثانية - نسخة مكتبة فيض الله في استانبول - تركية ، وهي في ٢٨٧ ورقة ، وقد جاء في آخرها : « وقع الفراغ من نسخة للنصف من شعبان ، سنة ست وثلاثين وخمسمائة .. الخ » .
وقد قابلت بها الأصل ، ورمزت لها بـ « ت » .

الثالثة - نسخة مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، وهي في ٣٤٢ ورقة ، وقد جاء في آخرها : « تم بحمد الله وعونه » ، كما جاء في هامش الصفحة الأخيرة بخط الأب أنستاس ماري الكروالي ما لفظه : « كان هذا الكتاب في خزانة السيد عبد الحميد البكري ، وكتبه لخزائنه محمود حمدي من النساخ المصريين ، وكان قد فرغ من كتابته في سنة ١٣٣٠ للهجرة . ولما توفي صاحب الخزانة المذكورة بيعت كُتبه في المزايمة ، فاشترى منها طائفة كبيرة أحد الكتبيين في مصر ، ثم اشتريتها منه في ١٦ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٨ بثلاثة جنيهات مصرية » .

وقد قابلت بها الأصل استئناساً ، ورمزت لها بـ « م » .



وبعد :

فليس لديّ ما أقوله في الختام غير التمني المخلص بأن يجد الباحثون والمعنيون - إذ يقفون على هذا النص اللغوي الأصيل في النبات والشجر والنخل - ما نطمح أن يجدوه فيه من فائدة ومتمعة ، وأن يلمسوا - من خلاله - البرهان الصريح الناطق على سمو لغتنا الخالدة وقدرتها المطلقة على البقاء والتطور واستيعاب كل ما يحتاجه اليوم والغد - على امتداده - من ألفاظ العلم والحضارة والمعرفة الانسانية .

وكان منهجي في التحقيق متجهاً نحو تحرير النص وإبرازه أقرب ما يكون الى لغة مؤلفه وألفاظه ، واكتفيت في الهوامش بإيراد بعض التعليقات

الشيخ محمد حسن آل ياسين

المختصرة التي تخص اختلاف النسخ وتخريج الشعر ، مع الإشارة الى أهم ما كتبه علي بن حمزة البصري في الرد على أبي عبيد . ولم أشير في اختلاف النسخ الى ما ورد في الأصل مما سقط من النسختين الاخرين . والله تعالى ولي التوفيق .

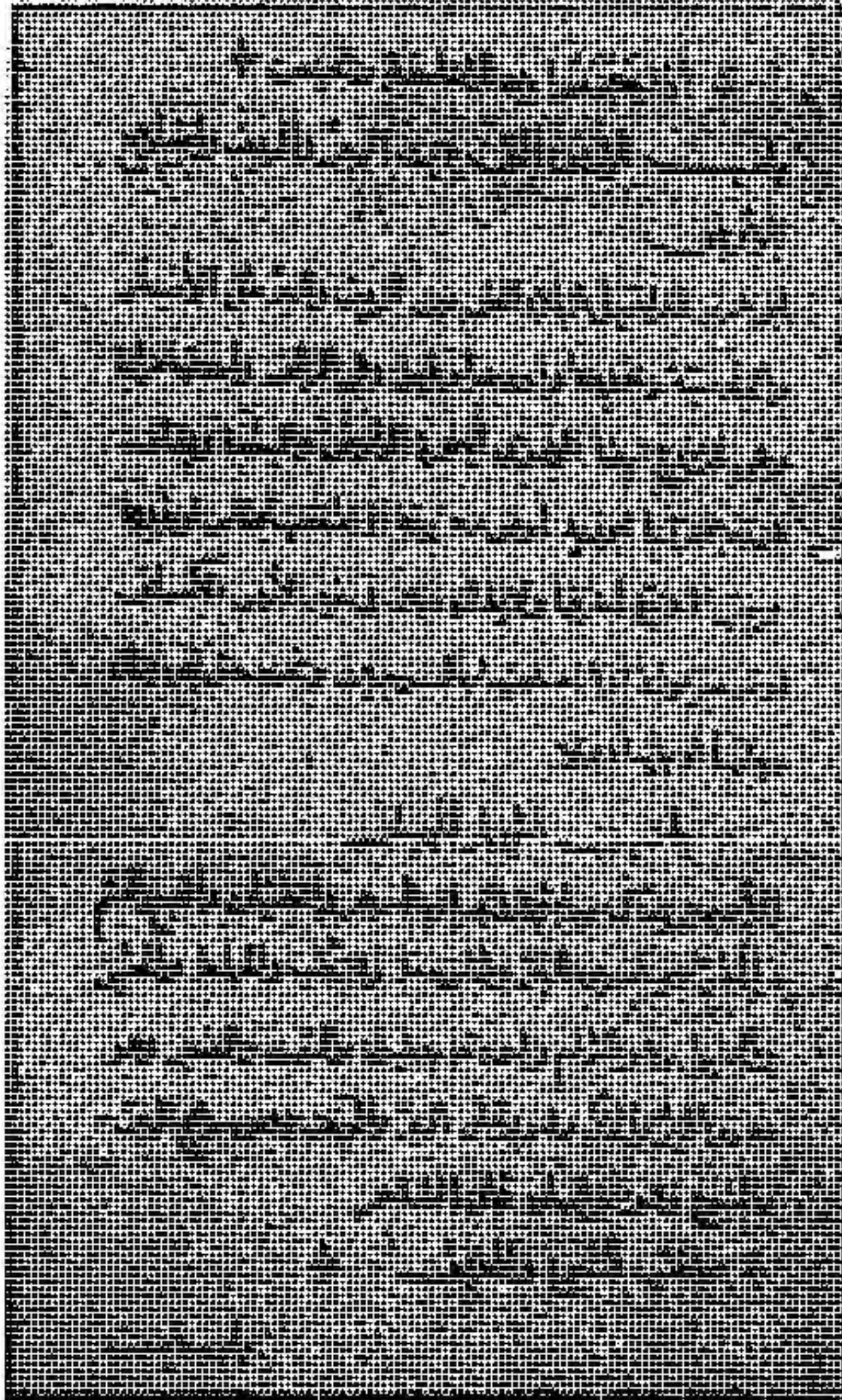
★ ★ ★



« صورة صفحة من النسخة الأصل »

الشيخ محمد حسن آل ياسين

صورة صفحة من المخطوطات



صورة صفحة من النسخة م

[٧٠ / ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الشجر والنبات

باب اشجار الجبال

[قال] (١) الأصمعي : من شجر (٢) الجبال :

المرعرع . والظليتان . والنبع . والنشم . - قال : والظليتان ياسمين (٣) البر . - والشوحت . والتائب . والحماط . والحثيل . والجليل - وهو الثمام - واحدة جلية . والشث . والضبر - وهو جوز البر (٤) - . والمظ - وهو رمان البر - . والرثف - وهو بهرامج البر (٥) - . والشوع - وهو شجر البان - ، قال الشاعر (٦) :

بحاقتيه الشوع والغريفة (٧)

باب ما ينبت منها في السهل

قال الأصمعي : من نبات السهل :

-
- (١) زيادة من ت .
 - (٢) في ت و م : من اشجار
 - (٣) جاء في هامش ت مالفظة : « الياسين معرب النون على هذه اللفظة ، وهو قول سيويه . وقال ابو حاتم : الياسون - بفتح الين - في موضع ارفع بالواو ، وفي موضع الجربالياء . »
 - (٤) في نبات الأصمعي : وهو جوز الجبل .
 - (٥) جاء في هامش ت مالفظة : « قال ابو عبيد : لا أدري ما بهرامج البر ، أظنها فارسية . »
 - (٦) هو أسيرة بن الجلاح .
 - (٧) المعجز في تركيبي حوف و غرف في الباب والشاج ، ومصدره فيهما : « يزخر في انطاره منفق » . والمعجز نفسه مع صدر آخر في نبات الأصمعي : ٣٧ ونبات الدينوري ٤٩/٥ والسان غرف .

الرُّمْتُ . والقِيْضَةُ . والعَرَفَج . والنَّقْد . والشُّقَارَى . والحِنْزَاب -
وهو جَزَرُ الْبَرِّ - . والآفَانِي . والسُّطَاحَةُ . والغَبْرَاء . والطَّحْمَاء .
والدَّرْمَاء . والحَرِثَاء . والصَّفْرَاء . والكَرْش . والحَلَمَةُ . والبَنَمَةُ .
والرَّاء - واحده (٨) راء ، تقديرها راعة - . والشَّيْرُم . والسَّرَح .
والنُّعْض . والنَّفْل . والحَسَك . والسَّعْدَان . والجَرَّجَار . والعَرَّار -
وهو بَهَارُ الْبَرِّ - . والجَشَجَات . والقَيْصُوم . والسَّكَب . والشَّيْع .
والقَرْنُوَّة . والحُلْب . والحَلِيلَاب . والحُرْبُث . والزَّنَمَةُ (٩) .
والثَّرِبَةُ . والخَزَامَى - وهو خَيْرِيُّ الْبَرِّ - . والأُقْحُوَان - وهو
البَابُونَج (١٠) ، [٧٠/ب] ويقال هو القُرَاص - . والشُّكَاعَى . والحَنُوَّة .
والزُّبَاد . والبُهْمَى .

وقال ابو عمرو : القُرَاص : البَابُونَج (١١) ، واحده قُرَاصَةٌ .
[قال] (١٢) : والدُّرَقُ : الحَنْدَقُوقِي (١٣) ، فَعَلَّكُوْلِي .
وقال القَرَاء : العَبَيْثُرَانُ والعَبَوَثُرَان : شَجَر طِيب الرِّيح .
[قال] (١٢) : والصَّعْبَرُ والصَّنَعْبَر (١٤) : شَجَر بِمَنْزِلَةِ السُّدَر .
[قال] (١٢) : والعَرَّتَنُ : نَبَاتٌ ، يقال منه : أَدِيمُ مُعَرَّتَن .

(٨) ن ي ت و م : واحدها .
(٩) هكذا وردت الكلمة في الأصل و ت ، وفي م : والزَّنَمَةُ وهي في مطبوع نبات الأصمى ؛
والزَّنَمَةُ بالراء المهملة ، ورواه عنه كذلك في لسان العرب (ونم) . وكل من الزَّنَمَةُ
والزَّنَمَةُ نبات .
(١٠) كذا في الأصل ، وفي ت و م : «البابونك» . ومثله في عاشر الأصل ، وفي عاشر ت :
«البابونج» .
(١١) ن ي ت و م : البابونك .
(١٢) زيادة من ت .
(١٣) في م : الحَنْدَقُوق ، ومثله في نبات الأصمى ، وكل من الحَنْدَقُوق والحَنْدَقُوقِي صحيح .
(١٤) ن ي ت : والصَّعْبَرُ والصَّنَعْبَر .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

وقال ابو عمرو : السَّخْبَرُ (١٥) شجرٌ ، واحده سَخْبَرَةٌ .
وقال الأصمعي : النُّقْد (١٦) والنُّعْض - جَمِيعاً - : شجر ، واحده
نُقْدَةٌ ونُعْضَةٌ .
[وقال] (١٧) غيرُ واحدٍ : الكَنْهَبَل شجرٌ ، [واحده كَنْهَبَلَةٌ] (١٨) .
والدُّوْح : العِظَام منه ومن غيره .

باب ما ينبت منها في الرَّمْل

قال الأصمعي : من نبات الرَّمْل :
الغَضَا . والآرطَى . والآلَاء ، قال بشر :
فَانْكُمُ وَمَدْحَكُمُ بُجَيِّرُ أبا لجي كما امْدَح الآلَاء (١٩)
وهو شجر حسن المنظر مرُّ الطعم .
[قال] (١٧) : والسَّبَط : النِّصِي (٢٠) مادام رطباً ، فاذا يبس فهو
الحَلْبِي .

وقال ابو عمرو : اذا يبس الأفاتي فهو حَمَاط (٢١) .

باب الحمض والخلة من النبات

قال الأصمعي : الحمض من النبات : ما كانت فيه ملوحة ، والخلة

-
- (١٥) وردت الكلمة هنا في الأصل بالثين المعجمة بدل المهملة ، وسيأتي بالمهملة بعد مفتحتين ،
وهي بالمهملة أيضاً في ت و م وثبات الأصمعي وهو الصواب .
(١٦) ضبطت الكلمة في الأصل بضم القاف ، وفي ت بكونها ، وكلاهما صواب .
(١٧) زيادة من ت .
(١٨) زيادة من م و هاش ت .
(١٩) ديوان بشر بن أبي خازم : ٣ ، وفيه وفي م : « ومدحتكم بجيراً » .
(٢٠) في الأصل وت : « والبط والنصي » ، وما أثبتناه من م ، وهو الصواب ، وقد نقل
ذلك عن أبي عبيد بالنص في الباب واللسان (سبط) .
(٢١) كذا في الأصل ، وفي ت و م : الحماط .

ما سوى ذلك ، والعرب تقول : الخُلَّة خُبِرَ الإبل والحمض لحمها أو فاكهتها ، وإنما تُحوَّل الإبلُ إلى الحمض إذا ملَّت الخُلَّة . وكلُّ هذا من النبات . وليس شيء من الشجر العظام بحمض ولا خُلَّة (٢٢) .

قال : فمن الحمض :

الرُمث . والتمضة . والرُّغل . والقُلام . والحرم . والدَرَماء (٢٣) .
والنَّجيل . والخِذراف .

[وقال] (٢٤) غيره (٢٥) : الغولان - أيضاً - حمض .

باب العِضاه وسائر الشجر

[قال] (٢٤) الأصمعي : العِضاهُ من الشجر (٢٦) كلُّ شجرٍ له شوك .
ومن أعرف ذلك : التُّلح . والسَّلم . والسيَّال . والعُرْفُط . والسَّمر .
والشَّبهان [٧١ / أ] .

[وقال] (٢٤) غيره : التَّناد .

[وقال] (٢٤) الأصمعي : الضَّعة شجرٌ مثل الثَّمام ، وجمعه ضَعَوَات ،

قال جرير :

مُتَّخِذاً في ضَعَوَاتٍ تَوَلَّجَا (٢٧)

[وقال] (٢٤) غيره : الصَّفْصاف : الخِلاف .

[قال] (٢٤) أبو عبيدة : الرُّندُ شجرٌ طيبٌ من شجر البادية ،

قال : وربما سموا عودَ الطَّيب رَنْداً ، يعني العُود الذي يُشَبَّخَر به .

(٢٢) ن ت : ولا بخلة .

(٢٣) لم ترد الدرماء في نبات الأصمعي .

(٢٤) زيادة من ت .

(٢٥) وهو قول الأصمعي أيضاً كما في نبات المطبوع .

(٢٦) ن ت : من الأشجار .

(٢٧) ديوان جرير : ٩٢ .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

وأنكر أن يكون الرندُ الآس (٢٨) .
والرقل : شجر المقل ، واحده وقلة . والخشل (٢٩) : المقل
نفسه (٣٠) ، [واحده خشلة] (٣١) .
[قال] (٣٢) ابو عمرو : القرزح شجر ، الواحدة (٣٣) قرزحة .
[قال] (٣٢) : والسخبير شجر ، واحده (٣٤) سخبيرة .
[قال] (٣٢) : ويقال لرؤوس الحلي من الخلاخيل والأسورة :
خشل أيضاً (٣٥) .

[وقال] (٣٢) غيره : القصيص شجر تنبت في أصله الكمأة .
[قال] (٣٢) : والميس شجر يُعمل (٣٦) منه الرحال . والغاف
شجر . والإسحيل شجر . والسرائ والمرخ والعفار : من الشجر يكون

(٢٨) هكذا ورد تلسل الجمل في ت و م ، وكانت جملة (وأنكر - ال - الآس) قد وردت
في الأصل بعد قوله الآتي : (والخشل المقل نفسه) .
(٢٩) قال علي بن حمزة : « وقال ابو عبيد : الخشل المقل واحده خشلة ... وإنما هو الخشل
بالإسكان » التنبيهات : ٢٢٦ .

(٣٠) قال علي بن حمزة : « وقال : هو المقل نفسه . والناس فيه مختلفون ، فمنهم من يقول
هو حشاش المقل الذي يمت عنه ؛ وهو سويق المقل ، ومنهم من يقول : هو ما يبقى من المقل
بعد أن يؤخذ منه حبه ، وقال ابو نصر : الخشل المقل ؛ وقد قيل سويق المقل » التنبيهات
: ٢٢٧ .

(٣١) زيادة من ت و م .
(٣٢) زيادة من ت .
(٣٣) في ت و م : « الواحدة » .
(٣٤) في ت : « الواحدة » .
(٣٥) الجمل بكاملها مثبتة في الاصول ، ولكن تلسلها في ت يختلف عن الأصل . وقال علي
ابن حمزة معلقاً على هذه الفقرة : « وأما قول أبي عبيد : يقال لرؤوس الحلي من الخلاخيل
والأسورة خشل فغلط ، لأن الخشل وهو أيضاً - هاهنا مسكن - كل ما كان من الحلي أجوف ،
ورؤوس الحلي مصمتة أو جوف » التنبيهات : ٢٢٧ .
(٣٦) في م : تعمل .

كتاب الشجر والنبات والنخل

فيها النـار . والنـيرضاد : الثـوت . والنـبـع شـجر . والسـمـ والتـنـضـب
والأثـاب - واحـدـتـها أثـابة (٣٧) - أشـجار كلـها (٣٨) . والبـشـام شـجر
طـيـب الـريـح يـتـاك به . والـكـنـهـيـل (٣٩) شـجر عـظام . والعـرـفـط شـجر .
والـعـيـر شـجر صـغار واحـدـتـها (٤٠) عـيـرة . والفـرـف والفـلف شـجر يـدبـع
بـهـما (٤١) . والسـبـط شـجر . والـهـيـشـر شـجر . والفـيـل : الـخـيـطـي .

[وقال] (٤٢) غـيـره : السـحـم شـجر . والعـنـم شـجر دقـاق الـأغـصـان
يـثـبـه به (٤٣) البـنـان . والسـلـام شـجر ؛ واحـدـته سـلـامة . والقـفـعـاء شـجر .
[و] (٤٢) قال العـدـيـس : الرـمـرام شـجر ؛ واحـدـته رـمـرامة . والمـرـخ
والـعـفـار : ضـرـبان من الشـجر يـقـدح (٤٤) مـنـهـما النـار .

باب الآجام

[قال أبو عبيد] (٤٢) : الغابة : الآجمة . والفيتل : الشجر

(٣٧) وردت جملة (واحدتها أثابة) في الأصل بعد قوله : (أشجار كلها) ، وقد أثبتنا اتصال
الوارد في ت و م .
(٣٨) في ت : كلها أشجار .
(٣٩) هكذا ضبطت الكلمة في الأصل هنا ، ومرت بفتح الباء ب ضبط الأصل أيضاً ، وأشار في
ت ال جواز القسم والفتح فيها ، وهي كذلك .
(٤٠) في م : واحدته .

(٤١) قال علي بن حمزة : وقال أبو عبيد : الفرف والفلف شجر يدبغ بهما . والأمر بخلاف ذلك ،
قال ابن الأعرابي : الفرف بالإسكان - ضروب تجمع ، فإذا دبغ بها الجلد سي عرفاً .
وقال الأصمعي : الفرف - بإسكان الراء - جاود يؤتى بها من البحرين . وقال أبو حنيفة :
أخبرني رجل من ربيعة قال : الدباغ بالبحرين بالسمر والأوطى فتجى جلوده لينة متانة .
وتم عرف آخر واحدته غرقة ، وهي شجرة يصنع منها القياس ، ذكرها أبو زيد مع الأسحن
والنالب وقال : والفرف أرقهما والنالب أغشهما . وهذا الفرف لا يدبغ به ، ولا آمن أبا عبيد
عرفه ، التنيها : ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٤٢) زيادة من ت .

(٤٣) في م : بها .

(٤٤) في م : قدح .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

[الكثير] (٤٥) المُتَتَف ، ويقال : الأَجَمَة ، وكذلك الأَيْكَة . والدَّغْل والغَيْل [نحوه] (٤٥) ، والغَرِيفُ (٤٦) مثله .

والشَّعْرَاء : الشجر الكثير .

والزَّارَة : الأَجَمَة .

والآبَاءَة : الأَجَمَة ، ويقال [٧١ / ب] : هي من الحلفاء خاصة ، والخَيْسُ مثله .

والأَشَب : كثرة الشجر [أيضاً] (٤٧) .

باب ابتداء نبات الأشجار (٤٨) وتوريقها

[قال] (٤٩) الأصمعي : يقال للرُّمث أول ما يتفطر ليخرج ورقه :

قد أقمَل ، فاذا زاد قليلاً قيل : [قد] (٤٩) أدبى . فاذا ظهرت خُضْرته

قيل : بَقِل . فاذا ابْيَضَّ وأدْرَكَ قيل : حَنَط . فاذا جاوز ذلك قيل :

أورِس ؛ فهو وارِس ، ولا يقال منه مُورِس .

واذا تفطر العَرَفَج ليخرج قيل : قد أنحوَص .

واذا تفطر العِضَاهُ قيل : قد نَضَح ، قال ابر طالب بن عبد المطلب :

ليت شعري مُتَافِر بن ابي عمَّ ر و وليت يقولها المحزون

بُورِكَ المِيتُ الغريب كما بو رِكَ نَضَحُ الرمان والزيتون (٥٠)

(٤٥) زيادة من ت و م .

(٤٦) جاء في هامش ت مانصه : « والغريف الأجمة ، ووقع في كتاب ابي عبيد : انغريف » ،

والراود في المعجمات الغريف بفتح النون وكسر الراء بمعنى الأجمة ، أما الغريف - بكسر

النون وسكون الراء وفتح الياء - فهو شجر .

(٤٧) زيادة من م .

(٤٨) في الأصل : « الشجر » وما أثبتناه من ت و م .

(٤٩) زيادة من ت .

(٥٠) ديوان ابي طالب - صنعة ابي هفان - : ١٦ / ا وصنعة علي بن حمزة : ٥١ / ب .

كتاب الشجر والنبات والنخل

قال : والرَّبْلُ ضروبٌ (٥١) من الشجر اذا برَدَ الزمانُ عنها وأدبر الصيف (٥٢) تَفَطَّرَتْ بِورقٍ أخضر من غير مطرٍ ، يقال [منه] (٥٣) : [قد] (٥٤) تَرَبَّلَتِ الأرضُ .

والخِلْفَةُ : نبات ورقٍ دون ورق (٥٥) .

والغَمِيرُ : النبت ينبت في أصل النبت حتى ينمر الأول . [و] (٥٦) قال ابو عمرو في الغمير مثله .

وقال الأصمعي : الإعيال : وقوع الورق ، يقال أعْيَلَتِ الأشجارُ اذا سقط ورقها ، واسم الورق : العَبَلُ . وقال ابو عمرو : العَبَلُ مثل الورق وليس بورق . [وقال] (٥٦) ابو عبيدة : العَبَلُ كلُّ ورقٍ مفتول كورق الأَرطَى والأَثَلِ والطرفاء وأشباه ذلك .

[و] (٥٦) قال الأصمعي : وما وقع من ورق الشجر فهو مَقِيرٌ .

وقال ابو عمرو : السَّنْفُ (٥٧) : الورقة (٥٨) ، قال ابن مقبل :

(٥١) في الأصل : « ضرب » ، وما أثبتناه من ت و م ، وفي نبات الأصمعي : « والرَّبْلُ وجاءه ربول وهي ضروب من النبات » .

(٥٢) في ت : اذا برد الزمان وأدبر الصيف عنها . وفي م : اذا برد الزمان عليها وأدبر عنها الصيف .

(٥٣) زيادة من ت و م .

(٥٤) زيادة من م .

(٥٥) في نبات الأصمعي : بعد ورق . وفي الباب (خلف) : ورق يخرج بعد الورق الأول في الصيف .

(٥٦) زيادة من ت .

(٥٧) في م : ابو عمرو قال والسنف الخ .

(٥٨) قال علي بن حمزة : « وروى ابو عبيد عن ابي عمرو : السنف الورقة ، قال ابن مقبل :

تثقل سنف المرخ في جبة صفر . و ابو عمرو يعيد من هذا اللفظ المثل ، ما هذا الشمر

لاين مقبل ، ولا رواية الشمر : تثقل سنف المرخ ، ولا للمرخ ورقة ، ولا السنف بورقة .

ولكنه سمع ذكر ابن مقبل في جملة أشياء سمها صحيحة ، فحفظها غير ملسع ، وصنف =

الشيخ محمد حسن آل ياسين

تَقَلُّقُ سِنْفِ الْمَرْخِ فِي جَعْبَةِ صِفْرِ (٥٩)

عن أبي عمرو : أَصْبَحَ الثَّمَامُ : خَرَجْتُ أَمَا صَبِيحُهُ ؛ وَاحِدُهُ
أَمْصُوحَةٌ ، وَأَحْجَنَ : خَرَجْتُ حُجْنَتُهُ ، وَكِلَاهُمَا خُوصُ الثَّمَامِ .
عن أبي عمرو : إِذَا مَطَرُ الْعَرْفَجِ وَلَانَ عُدُّهُ قَلَتْ : قَدْ ثَقَبَ
عُدُّهُ . فَإِذَا اسْوَدَّ شَيْئًا قِيلَ : قَدْ قَمِلَ [٧٢ / أ] ، لِأَنَّهُ يُشَبَّهُ مَا يَخْرُجُ
مِنْهُ بِالْقَمَلِ . فَإِذَا ازْدَادَ [شَيْئًا] (٦٠) قَلِيلًا قِيلَ : قَدْ ارْقَاطَ . فَإِذَا ازْدَادَ
قَلِيلًا آخَرَ قِيلَ : أَذْبَى ، لِأَنَّهُ يُشَبَّهُ بِالذَّبَا ، وَهُوَ حَيْثُ يَصْلُحُ أَنْ يُؤْكَلَ .
فَإِذَا تَمَّتْ خُوصَتُهُ قِيلَ : قَدْ أَخْوَصَ .

بَابُ نُعُوتِ الْأَشْجَارِ فِي وَرَقِهَا وَالثَّمَانِي

[قَالَ] (٦٠) أَبُو عَمْرٍو : شَجَرَةٌ قَنْوَاءٌ : ذَاتُ أَفْنَانٍ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ :
كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَنْوَاءٌ — مِنَ الْفَتْنِ — عَلَى الْقِيَاسِ ، وَامْكُنْ هَكَذَا قَالَ (٦١)
وَشَجَرَةٌ قَنْوَاءٌ : طَوِيلَةٌ .

= عَلِ حَفْظُهُ الْفَسَادَ ، وَشَرَى مِنْ أَيْنَ أَتَى فِيمَا أَذْكَرُهُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللهُ : قَالَ أَبُو زَيْدٍ : مِنَ
الْمَضَاءِ الْمَرْخِ ، وَهُوَ يَتَفَرَّشُ وَيَطْلُوقُ فِي السَّمَاءِ حَتَّى يَسْتَقِلَّ بِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ وَرَقٌ وَلَا شَوْكٌ ،
وَعِيدَاتُهُ حَلَبَةٌ قَضْبَانٌ دَقَاقٌ . . . وَمِنْهُ يَكُونُ الزَّنَادُ الَّتِي يَقْتَدِحُ بِهَا ، وَتَخْرُجُ فِي الْمَرْخَةِ ثَمَرَةٌ
كَأَنَّهَا هَذَا الْبَاتِلِيُّ ، إِلَّا أَنَّهَا أَعْرَضَ مُحَدَّدَةُ الْخَرْفِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ مَقْبِلٍ :

يَرْخِي الْمَذَارَ وَلَوْ طَالَتْ قَبَائِلُهُ
عَنْ حَشْرَةٍ مِثْلِ سِنْفِ الْمَرْخَةِ الصَّفْرِ

فَهَذَا لِابْنِ مَقْبِلٍ لِمَارُوِيٍّ . ثُمَّ قَالَ أَبُو زَيْدٍ : وَالسِّنْفُ وَغَاءُ الثَّمَرَةِ يَخْرُجُ
فِيهَا ، فَإِذَا بَيَسَ مَقْطَعُهُ وَبَقِيَ فِي الْمَرْخَةِ ثَمَرُهُ ذَلِكَ وَهُوَ سِنْفُهُ . وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ :
أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَعْرَابِ عِمَّانَ نَذَرَ كَلَامًا قَالَ فِيهِ : وَالْمَرْخُ خَوَارِ عَفِيفُ الْعُودِ ، لَخَفَتْ
قَالَ الْجَمْدِيُّ فِي وَصْفِ الْفَرَسِ :

تَقَلُّقُ عَنْ فَأْسِ الْجَبَامِ لِسَانَهُ
تَقَلُّقُ عُودِ الْمَرْخِ فِي جَعْبَةِ صَفْرِ

فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ « عُودُ الْمَرْخِ » ، وَالشَّاعِرُ الْجَمْدِيُّ ، وَالسِّنْفُ وَغَاءُ الثَّمَرَةِ ، وَالْمَرْخُ لَا وَرَقَ لَهُ ،
وَابْنُ مَقْبِلٍ صَاحِبُ بَيْتٍ لَمْ يَأْتِ بِهِ « اتَّيْهَاتُ : ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٥٩) الشُّطْرُ فِي دِيْوَانِ ابْنِ مَقْبِلٍ : ١٠٨ ، وَصَدْرُهُ فِيهِ (تَقَلُّقُ عَنْ فَأْسِ الْجَبَامِ لِسَانَهُ) وَفِيهِ
أَيْضًا « فِي الْجَعْبَةِ الصَّفْرِ » .

(٦٠) زِيَادَةُ مِنْ ت .

(٦١) فِي م : « أَنْ تَكُونَ نَوَاءً فِي الْقِيَاسِ ، وَلَكِنْ كَذَا قَالَ » وَقَدْ سَقَطَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ ت .

كتاب الشجر والنبات والنخل

- [و] (٦٢) قال الكسائي : شجرة مَرْدَاءٍ وَغُصْنُ أَمْرَدٍ : لا وَرَقَ عليهما .
 وشجرة [وَرَقَةٌ و] (٦٣) وَرِيقَةٌ : كثيرة الورق .
 وقال أبو عمرو : الزَّمْخَرُ : الكثير (٦٤) المُلْتَف من الشجر .
 [وقال] (٦٢) غيره : الخُوط : القَضِيب :
 والشكير من الشجر : ما نبت حول الشجر (٦٥) .
 والرَبُوض : الشجرة العظيمة ، قال ذو الرمة :
 تَجَوَّفَ كُلُّ أَرْطَاةٍ رَبُوضٍ (٦٦)
 [قال] (٦٢) : والدَّوْحَةُ : العظيمة .
 والوارِقَةُ (٦٧) : الخَضْرَاءُ الورق الحَسَنَةُ .
 وأما الْوَرَّاقُ (٦٨) فمُضْرَعَةُ الْأَرْضِ مِنَ الْحَشِيشِ ، وليس هو من
 الورق ، قال أوس بن حجر :
 كَانَ جِيَادَهُنَّ بَرَعْنَ زُمَّ جَرَّادٌ قَدْ أَطَاعَ لَهُ الْوَرَّاقُ (٦٩)
 [زُمٌّ : أَرْضٌ] (٦٢) .
 [قال] (٦٢) : والخُرْصُ كُلُّ قَضِيبٍ مِنْ شَجَرَةٍ ، قال قيس بن
 الخطيم :

- (٦٢) زيادة من ت .
 (٦٣) زيادة من ت و م .
 (٦٤) كذا في الأصل وم ، وفي ت : الكيف .
 (٦٥) في ت وم : الشجرة .
 (٦٦) ديوان ذي الرمة : ١٥١٢/٣ ، وعجز البيت : من الدماء تفرعت الجبالا .
 (٦٧) في ت : والوارقة ، بالغاء .
 (٦٨) في ت : وقال غيره وأما الوراق الخ .
 (٦٩) ديوان أوس : ٧٩ ، وفيه : كَانَ جِيَادُنَا فِي رَعْنٍ .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

تَرى قِصْدَ المُرَّانِ يُأخَى كَأَنَّهُ تَذَرُّعُ خِرْصَانٍ بِأَيْدِي الشَّوَاطِبِ (٧٠)
واحدتها شاطِبَةٌ ؛ وهي التي تَقْشُرُ عَسِيبَ النَخْلَةِ لِتُعْمَلَ مِنْهُ الحَصِيرُ ،
ثُمَّ تُلْقَى الشَّاطِبَةُ إِلَى المُنْقِيَةِ .

باب أثمار الشجر وما يبقى من الشجر

[قال] (٧١) الأصمعي : البَرِيرُ ثمر الأراك ، فالغَضُّ منه : المَرْدُ ،
والنَضِيجُ : الكَبَاثُ (٧٢) .

والْعُلْفُ : ثمر الطَّلْحِ ، واحدته عُلْفَةٌ .

[قال] (٧١) : والحَبْلَةُ : ثمر العِضَاهِ . قال أبو عمرو في الحَبْلَةِ مثله .

قال أبو عمرو : البَرَمُ : ثمر الطَّلْحِ ، واحدته بَرَمَةٌ .

[وقال] (٧١) القراء : المُصْعَةُ : ثمر العَرُوسِجِ ، وجمعها مُصَعٌ (٧٣) .

[وقال] (٧١) الأصمعي : العُرْوَةُ من الشجر : الشيء الذي [٧٢ / ب]

لا يزال باقياً في الأرض لا يذهب ، وجمعه عُرَى ، وهو قول مُهَلْهِلٍ :

شَجَرُ العُرَى وعُرَا عِرُ (٧٤) الأقوام (٧٥)

[وقال] (٧٦) أبو عبيدة في العُرْوَةِ مثله أو نحوه ؛ إلا أنه قال : هذا

(٧٠) ديوان قيس : ٣٣ ، وفيه : ترى قصد المران تهوي كأنها تذرع خرصان .

(٧١) زيادة من ت .

(٧٢) في نبات الأصمعي المطبوع : والنفس من الكبات ، والمدرك من المرد .

(٧٣) ورد قول أبي عمرو في البرم وقول القراء في المصعة ، في الأصل ، بعد قول الأصمعي في العُرْوَةِ وتبيل قول أبي عبيدة ، وقد وضعناهما هنا كما في ت وم . وهو الأصل في بيان الكلام .

(٧٤) جاء في هامش ما لفظه : « يروى عراعر وعراعر على الواحد والجمع » . أي بفتح العين ونسبها .

(٧٥) البيت لمهلهل في الجمهرة : ٣٩٠/٢ والتهذيب : ١٠٢/١ و ١٥٩/٣ والمقاييس : ٣٧/٤

و ٢٩٥ و المنصن : ١٦٤/٢ و ١٧٧/١٥ وتركيب (عرو) في الصحاح والعياب واللسان .

وعزاء في الأساس (عري) لبيد ، ويراجع في التعليق على هذا العزو : ديوان لبيد ٣٥٨ ،

ومدره : (٢) (خلع الملوك وسار تحت لوائه) .

(٧٦) زيادة من ت وم .

كتاب الشجر والنبات والنخل

البيت لشرحبيل رجل من بني تغليب (٧٧) . [وقال] (٧٨) ابو عمرو
مثل قولهما في العروّة أو نحوه .

باب ابتداء النبات وإدباره

[قال ابو عبيد] (٧٨) : قال الأصمعي : العرب تقول : شهرٌ ثرى
[بالثاء] (٧٨) وشهرٌ ترى [بالثاء] (٧٨) وشهرٌ مرعى (٧٩) . فأما
قولهم : ثرى ، فأول (٨٠) ما يكون المطر فتبتّل منه الأرض ، ثم يطلع (٨١)
النبات فذلك قولهم : شهرٌ ترى (٨٢) ، ثم يطول بقدر ما يمكن النعم
أن ترعاه [فذلك المرعى] (٨٣) .

قال : فإذا حسن نباتها قيل : قد اكتهل . فإذا اشتد (٨٤) خصّاصُ
النبات قيل : قد استك (٨٥) . فإذا خرج زهره قيل : قد جنّ جنونا وقد
أخذ زُخاريه ، قال ابنُ أحمر :

وجنّ الخازيز به جنونا (٨٦)

[قال] (٨٣) : وقال ابن مقبل :

زُخاريّ النبات كأنّ فيه جياة العبقريّة والقطرُع (٨٧)

(٧٧) وكذلك عزاء ابن بري وقال : وهو الصحيح . اللان (عرا) .

(٧٨) زيادة من ت .

(٧٩) وفي نبات الأصمعي : شهر ثرى وشهر مرعى وشهر استوى . وفي الأخير
يقوله : ثم يستوي النبات في الربيع (أو : الرابع) ويكتهل .

(٨٠) وفي ت و م : فهو أول .

(٨١) في ت : « يطلع » بدل « ثم يطلع » .

(٨٢) في ت : فذلك قولهم ثرى ، وفي م : فذلك قولهم ثرى ، وفي نبات الأصمعي كالأصل .

(٨٣) زيادة من ت و م .

(٨٤) في نبات الأصمعي المطبوع « استد » وذكر محققه أن الأصل اشتد .

(٨٥) في ت : استد .

(٨٦) الشطر في شعر ابن أحمر : ١٥٩ ، وصدره : تفنّأ ثرقه القلع السواري . ولم يرد الشاهد

وقالته في ت و م .

(٨٧) ديوان ابن مقبل : ١٦٢ .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

[قال] (٨٨) : فاذا كَادَ يَغْطِي الأرضَ أَوْ غَطَّاهَا بِكثْرته قيل :
قَدْ اسْتَحْلَسَ . فاذا اتَّصَلَ (٨٩) بَعْضُهُ بِبَعْضٍ قيل : قَدْ وَصَّتِ
الأرضُ فِيهِ وَاصِيَةً . فاذا بَلَغَ والتَفَّ قيل : قَدْ اسْتَأْسَدَ .
وقال أبو عمرو : فاذا صار بَعْضُهُ أَطْوَلَ مِنْ بَعْضٍ قيل : تَنَاتَلَ
النَّبْتُ .

وقال أبو زيد : أَبْشَرَتِ الأرضُ : إِذَا أُخْرِجَتْ نَبَاتُهَا ، وَمَا أَحْسَنَ
بَشَرَةَ الأرضِ . وَأَوْدَسَتِ الأرضُ وَمَا أَحْسَنَ وَدَسَهَا : مِثْلُهُ .
[وقال] (٨٨) أبو عبيدة : تَوَدَّسَتْ (٩٠) الأرضُ .
[وقال] (٨٨) الكسائي : اضْبَأَّتْ الأرضُ واضْمَأَّتْ : إِذَا
خَرَجَ نَبَاتُهَا (٩١) .

أبو زياد [الكيلابي] (٨٨) والأحمر [قالا] (٨٨) : أَمْشَرَتِ الأرضُ
وَمَا أَحْسَنَ مَشَرَّتِهَا (٩٢) .
وَطَرَّ النَّبْتُ يَطْرُطُّ طَرُورًا : إِذَا نَبَتَ ، عَنْ الكسائي (٩٣) ، وَكَذَلِكَ
الْشَارِبُ :

- (٨٨) زيادة من ت .
(٨٩) ن ت : فاذا استحلس .
(٩٠) ن الأصل وم : توسدت ، وما أثبتناه من ت .
(٩١) ن ت : نبتها .
(٩٢) جاء في حاشيت مانعه : « في الأصل والسماع : مشرتها » بكون الشين ، وكلاهما صواب .
وقد ورد قول أبي زياد والأحمر في كل من ت وم قبل قول الكسائي : اضْبَأَّتْ الخ .
(٩٣) لم ترد جملة « عن الكسائي » في ت وم لأن قوله : (طر النبات الخ) قد ورد فيها بعد
قوله المتقدم : اضْبَأَّتْ الخ .

[وقال] (٩٤) الأمري : كَشَأَ النَّبْتُ وَالرَّيْبَرُ : إذا طلع [٧٣ / أ] ،
عن الكسائي . فإذا طلع يقال : قد ظَفَّرَ (٩٥) تظفيرا (٩٦) .
وقال الفراء : اللُّعَاعُ أولُ النَّبْتِ ، يقال : قد أَلَعَّتْ الأرضُ ،
وتَلَعَّيْتُ أنا : أَكَلْتُهُ (٩٧) .
غيره : اكْتَهَل : طال .

وقال الأصمعي (٩٧) : فإذا تهيأ النبات لليس قيل : [قد] (٩٨)
اِغْطَارَ . فإذا ييس وانشق قيل : قد تَصَرَّحَ . فإذا تمَّ يسه قيل : قد هاجت
الأرض تهيج هياجاً . فإن كان من أحرار البقول وذكرها قيل لما ييس منه :
الْيَيْسُ (٩٩) والجفيف والتف .

[قال] (٩٤) : وما كان من البُهْمى خاصةً فإن شَوَّكها هو السَّفا ،
وييسها [هو] (٩٤) العِرْبُ والصَّفَار . وأوَّل (١٠٠) ما يبدأ منها : البارِضُ .
فإذا تحرك قليلاً فهو جَمِيم . فإذا ارتفع وتمَّ من قبل أن ينفقاً : فهي (١٠١)
الصَّمْعَاء . فإذا تكسر اليبسُ فهو حُطَام . فإذا ركب بعضه بعضاً فذلك
الشَّنُّ (١٠٢) . فإذا اسودَّ من القِدَم فهو الدُّنْدِن . وكل حُطَام شجرٍ أو

(٩٤) زيادة من ت .
(٩٥) في ت : قيل ظفَّر ، وفي م : قيل قد ظفَّر .
(٩٦) وردت هاتان الفقرتان (ظفَّر) و (اللعاع) في م في آخر الباب .
(٩٧) وردت فرق كلمة « الأصمعي » في ت كلمة « الأموي » ، وفي م : « قال » ولم يرد اسم
القاتل .

(٩٨) زيادة من ت وم .
(٩٩) في م : اليبس . وفي نبات الأصمعي : اليبس واليس .
(١٠٠) في م : فأرل .
(١٠١) في م : فهو .
(١٠٢) في ت وم : فهو الشن .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

حَمْضٌ أو أحرار البقول أو ذكورها (١٠٣) فهو الدَّريُّن إذا قدَّم ؛ عن أبي عمرو . والدَّريل : الذي قد أتى عليه عام .

[وقال] (١٠٤) الأصمعي : فاذا يس الكتلاً ثم أصابه مطر قبل الصيف فاخضرَ فذلك النشْر .

وقال أبو زيد : عَرَدَ النبت يَعْرُدُ عُرُوداً : إذا طلع ونجم ، وكذلك الناب وغيره .

[وقال] (١٠٤) غيره : الخِلْفَةُ : ما نبت في الصيف ، والدَّريُّ : ما يس منه .

فاذا طال النبتُ قيل : قد تَرَوَّحَ ، فهو مُتَرَوِّحٌ .

والهَجِير : ما يس من الحمض ، قال ذو الرِّمَّة :

ولم يَبْقَ بالخُلصاء مما عَنَّتْ به من الرُّطْبِ الا يَبْثُها وهَجِيرُها (١٠٥)

ويُروى : « يَبْثُها » ، فهما (١٠٦) لُغَتَان ، عن أبي عمرو . عَنَّتْ : أَثْبَتَتْ .

أبو عمرو : اقْتَنَانُ النبتِ اقْتِنَاناً (١٠٧) إذا حَسُنَ ، ومنه قيل للمرأة مُقَيَّنَةٌ : أي أنها نُزَيِّنُ .

غيره : القَقْلُ : ما يس منه أيضاً ، قال أبو ذؤيب يذكر أنه عرقب ناقة :

(١٠٣) في م : وأحرار البقول وذكورها .

(١٠٤) زيادة من ت .

(١٠٥) ديوان ذي الرمة : ٢٢٧/١ ، وفيه : (من النبت الأيسها) .

(١٠٦) في م : « بهاء » ، ولم ترد الكلمة في ت .

(١٠٧) هكذا ورد الفعل ومصدره في الأصل ، كتأخر ، ولكنه في ت وم والمان (قن) :

اتقان اتقاناً ، وقال في التاج أنه الصواب .

فَخَشَرْتُ كَمَا تَتَّاعِبُ الرِّيحُ بِالْقَفْلِ (١٠٨) [٧٣ / ب]

باب ضُرُوبِ النَّبْتِ الْمُخْتَلِفَةِ

[قال الأُمويّ] (١٠٩) : الْحَوَاءَةُ نَبْتُ ، شَبِهُ لَوْنُ اللَّذْبِ .
 [وقال] (١٠٩) الكسائي : الذَّءَانِينُ نَبْتُ وَالطَّرَائِثُ نَبْتُ ، وَالوَاحِدُ
 ذُو نُؤُونٍ وَطُرُتُوثٌ . ويقال : خرج الناسُ (١١٠) يَتَدَأْنُونُ وَيَطْرَثُونُ :
 إِذَا خَرَجُوا يَأْخُذُونَ ذَلِكَ ، وَيَتَغَفَّرُونَ : إِذَا خَرَجُوا يَأْخُذُونَ الْمَغَافِرَ . وقال
 أبو عمرو : الْمَغَافِرُ مِثْلُ الصَّمْغِ يَكُونُ فِي الرَّمْثِ وَغَيْرِهِ ، وَهُوَ حَلْوٌ يُوْكَلُ ،
 وَاحِدُهَا مُغْفُورٌ ، يَقَالُ مِنْهُ : قَدْ أَغْفَرَ الرَّمْثُ .
 قال : وَالْبُرْعُومُ : زَهَرُ النَّبْتِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَتَّحَ .
 [وقال] (١٠٩) الأصمعي : الْخَافُورُ نَبْتُ . وَالْحَزَاءُ - مَمْدُودٌ - :
 نَبْتُ (١١١) . وَالسَّحَاءُ - مَمْدُودٌ - : نَبْتُ تَأْكُلُهُ النَّخْلُ فَيَطْيِبُ عَلَيْهَا
 عَلَيْهِ . وَالذُّبْحُ : نَبْتُ أَحْمَرُ تَأْكُلُهُ النَّعَامُ . وَالْحُمَاضُ وَالْقَسُورُ وَالشَّغَامُ :
 كُلُّهُ نَبْتُ .
 وَالْمَخْلَى : الرُّطْبُ مِنَ الْحَشِيشِ (١١٢) ، وَبِهِ سُمِّيَتِ الْمَخْلَاةُ ، فَإِذَا
 يَبَسَ فَهُوَ حَشِيشٌ ، تَقُولُ مِنْهُ (١١٣) : حَشَشْتُ نَأْنَا أَحُشَّ . وَالْمَحَشُّ :
 الشَّيْءُ الَّذِي يُجْعَلُ فِيهِ الْحَشِيشُ ، وَيُقَالُ : مَحَشْتُ بِكَرِّ الْمِيمِ .
 وَالْأَيْتَهُمَّانُ : الْجَرَجِيرُ ، [قَالَ لَبِيدُ :

(١٠٨) ديوان الملاحين : ٣٨/١ ، ومصدره : (- ومغرفة عنى قدرت لرجلها) ، والرواية فيه (تتابع) بالباء الموحدة .

(١٠٩) زيادة عن ت .

(١١٠) في ت : خرج القوم .

(١١١) في ت : « والحزاء نبت » ممدود .

(١١٢) قال علي بن حمزة : « وقال أبو عبيد : والمخلى الرطب من الحشيش . وإنما هو الرطب بالضم ، فأما الرطب ففقد اليابس » انتهى . ٢٢٩ .

(١١٣) في ت : يقال منه .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

فَعَلَا فِرْعُ الْآيَهُتَانِ وَأُطْفَلَتْ بِالْحَلْهَتَيْنِ ظِلَاوُهَا وَتَعَامُهَا [(١١٤)]
والْحُرُضُ : الْأُشْنَانُ . وَالْحَبَقُ : التُّوْذَنْجُ . وَالْبُطْمُ : الْحَبَّةُ
الْخَضْرَاءُ . وَالْفَصَافِصُ : الرُّطْبَةُ ، وَاحِدَتُهَا (١١٥) فِصْفِصَةٌ ، وَأَصْلُهَا
بِالْفَارْسِيَةِ : أَسْبِيسْتُ . وَالتَّقْفُورُ : نَبْتٌ . وَاللُّعَاعَةُ : بَقْلَةٌ نَاعِمَةٌ .
عَنْ الْأَصْمَعِيِّ : الْعُنْصَلُ بِصَلِّ الْبَرِّ ، [وَيُقَالُ الْعُنْصَلُ] (١١٦) .
وَالرَّيَّةُ : بَقْلَةٌ ، وَجَمْعُهَا رَيْبٌ . وَالتَّنَا : عَيْنُ الثَّلَبِ ، وَيُقَالُ : نَبْتٌ .
وَالْمُكُورُ : نَبْتٌ . وَالنَّصِي (١١٧) وَالثَّدَاءُ - مَمْلُودٌ - : نَبْتٌ .
وَالْعَلَجَانُ : نَبْتٌ . وَالْعَرَادُ : نَبْتٌ ، وَالرَّاحِدَةُ (١١٨) عَرَادَةٌ ، وَبِهَا (١١٩)
سُمِّيَ الرَّجُلُ . وَالْحَاذُ : نَبْتٌ ، وَاحِدَتُهُ حَاذَةٌ . وَالتُّلُقْلَانُ : نَبْتٌ ،
وَكَذَلِكَ التُّلَاقِيلُ . وَالثَّمَانِي : نَبْتٌ (١٢٠) . وَالْبَرُوقُ : نَبْتٌ .
وَالخِمَخِيمُ (١٢١) نَبْتٌ . وَالْعِظْلِيمُ نَبْتٌ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ الرَّسْمَةُ . [وَ] (١٢٢)

(١١٤) زيادة من ت ، والبيت في ديوان لبيد : ٢٩٨ .

(١١٥) في ت : واحدا .

(١١٦) زيادة من م .

(١١٧) كذا في الأصل ، ولعل كلمة (النصي) زائدة ، ولم ترد في ت وم .

(١١٨) في ت وم : : واحده .

(١١٩) في م : وبه .

(١٢٠) هكذا ضبطت الكلمة في الأصل وت واللسان والقاموس . وقال علي بن حمزة معقبا على

ذلك : « وقال : الثماني نبت . وليس في الثبت شيء يقال له الثماني ، ولولا أنه أتى بالثماني

لفظت أنه قلبه . . . قلت أدري من أي شيء سحفت هذا الحرف ، إلا أن يكون سح

بيت ذي الرمة :

ولم يبق الرء الثماني بقية من الرطب إلا بطن واد وحاجر

فطن أن الثماني نبت ، لما سمع ذكر الرطب وقراء بالضم ، فأخطأ في القراءة والتفسير ، وإنما

الثنائي هاءنا هضبات ، والألراء جمع لوى . فأكبر ظني أنه من هذا قلبه « التثبيات : ٢٢٩ -

٢٣٠ .

(١٢١) وردت الكلمة في الأصل وت بالغاء المعجمة ، وفي م بالهمزة ، وجاء في هامش ت :

« والمسم أيضا » ، وكلاهما وارد .

(١٢٢) زيادة من ت وم .

كتاب الشجر والنبات والنخل

العندَم : دَمُ الأخَوَيْنِ ، ويقال : هو الأَيْدَع [٧٤ / أ] أيضاً ،
ويقال : هو البَتَم . والعِشْرُق : نبت . والقَشْب : الرطبة . والحَفَا
— مقصور مهموز — : البرْدِي . والجَدَر : نبت . والآء — على وزن العاع ،
واحدته آءة — والتَنُوم — واحدته (١٢٣) تَنُومة — : نبتان (١٢٤) ،
قال زهير :

أجنى له بالسي تنوم وآء (١٢٥)

والحَلِي : نبت . والمكَنَّان : نبت . والشَّقِر : شقائق النعمان ،
ويقال : نبت أحمر ، واحدته شقيرة ، [وبها سُمِّي الرَّجُل] (١٢٦) ،
قال طرفة :

وعلا الخيل دماء كالشقير (١٢٧)

[وقال الآخر :

قد أحمل الرمح الطويل كعوبه به من دماء القوم كالشقيات] (١٢٨)

(١٢٣) في الأصل : « واحد » ، وما أثبتناه من ت وم .
(١٢٤) في الأصل : . . والتنوم نبت واحد تنومة ، وفي ت وم : والآء والتنوم نبتان ،
واحدته آءة وتنومة ، وما أثبتناه ملفق من مجموع ذلك .
وقال عل بن حمزة مطلقاً على ذلك : « ليس الأمر كذلك » ، وإنما الآء ثمر السرح . قال أبو
عمرو : والسرح يشبه الزيتون ، وثمره الآء واحدته آءة . وقال أبو زياد : وللسرح عنب يسمى الآء
واحدته آءة ، يأكلها الناس ، أبيض ، ويربون منه الرب . ولكن أبا عبيد لما سمع قول الشاعر :
أصك مصلم الاذنين أجنى له بالسي تنوم وآء

ظن أن الآء شجر كالتنوم ، التنبهات : ٢٣٥ .

(١٢٥) ديوان زهير : ٦٤ ، وبقيته كما تقدم في الحاشية السابقة .

(١٢٦) زيادة من ت وم .

(١٢٧) ديوان طرفة : ٦٤ ، وصدره فيه : (وتساقى القوم كأساً مرة) .

(١٢٨) زيادة من م . وقد ورد البيت في الجمهرة : ٢٤٦ / ٢ (وفيه : الريح الأصم) وعزاء
لخارث بن مازن بن عمرو بن تميم ، وهو في التكملة (شقر) معزواً لشقرة أبي قبيلة من
المرب ، وورد في التاج (شقر) أيضاً وعزاء لشقرة وقال : هو لقب معارية بن الخارث
ابن تميم أبي قبيلة من قبة بن أد بن أد .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

والأفاني : نبت ، واحدة أفانية ، وهو نبت أحمر وأصفر (١٢٩) .
قال : والمُرَّار : نبت أو شجر إذا أكلته الأبل قلصت عنه مثايرها ،
ومنه قيل لحجر : أكل المرَّار . قال أبو عبيد : أخبرني ابن الكلبي
أن حجراً إنما سُمِّيَ أكل المرَّار : أن ابنة له كان سبأها ملك من
ملوك سكيح يقال له ابن حَبُولَة ، فقالت له ابنة حُجْر : كأنك بأبي قد
جاءك (١٣٠) كأنه جَمَلٌ أكل مرَّار ، تعني (١٣١) كاشراً عن أبيه .
وواحدة (١٣٢) المرَّار مُرَّارة ، وبها (١٣٣) سُمِّيَ الرَّجُلُ .

والغَدَم : نبت ، قال القمامي :

في عَشَعٍ يُنْبِتُ الحَوَذَانُ والغَدَمَا (١٣٤)

والعَيْشُوم : نبت .

وقال أبو عمرو : الذَّرَق : الحنْدَقُوقِي (١٣٥) ، قال رؤبة :

حتى إذا ما حاج حيرانُ الذَّرَقُ (١٣٦)

والحَيْرَان : جمع حَيْرٍ (١٣٧) .

(١٢٩) في ت وم : والأفاني نبت أحمر وأصفر ، واحدة أفانية .

(١٣٠) في ت : قد أنك ، وفي م : بأبي جاء .

(١٣١) في الأصل : يعني ، وما أثبتاه من ت وم .

(١٣٢) في الأصل : وواحدة ، وما أثبتاه من ت وم .

(١٣٣) في ت : وبه .

(١٣٤) ديوان القمامي : ٩٨ ، وصدده فيه : كأنها بيضة صفراء خد لها . وعزاه الدينوري

في نباته : ١٠٩/٥ للأخطل ، ولم يرد في ديوانه . وقيل : أن الصواب في النبت المذكور

هو العين المهلة وأن المعجمة تصحيف كما في اللسان .

(١٣٥) في م : المنقوق . وكلاهما وارد .

(١٣٦) ديوان رؤبة : ١٠٥ ، ونصه فيه : حتى إذا ما أصفر حيران الذرق .

(١٣٧) جاء في اللسان (حير) : « ولا يقال حير ، إلا أن أبا عبيد قال في تفسير قول رؤبة :

حتى إذا ما حاج حيران الذرق : الحيران جمع حير ، لم يقلها أحد غيره ، ولا قالها هو إلا

في تفسير هذا البيت . قال ابن سيده : وليس كذلك أيضاً في كل نسخة . وجاء في هامش

ت : وقال أبو محمد : الصواب جمع حير .

كتاب الشجر والنبات والنخل

والجرجار : نبت . والحلب : نبت .
وقال الفراء : اللصف : شيء ينبت في أصل الكبر كانه خياراً (١٣٨)
[وقال] (١٣٩) أبو عمرو : الذنبان : نبت . والعرا : نبت .
والحنية : نبت طيب الريح . والخزامى والجشجاش : نبتان طيبا الريح .
[والبرعوم : النور قبل أن يتشقق] (١٤٠) .
[والعشريق : نبت] (١٤١) .

باب الكمأة

قال الأصمعي : من الكمأة الجبأة - تقديره جبعة - . وبنات
أوبتر ، واحدا ابن أوبتر . والعاقيل . والفقع . والفردة . والمفرودة (١٤٢)
[و] (١٣٩) قال أبو زيد : الجبأة - مقصور - منها : الحمر .
والفقة : البيض ، واحدا فقع . وواحد الجبأة جبء ، وثلاثة
أجبؤ ، وكثمة وأكمؤ . قال : وبنات أوبتر [٧٤ / ب] هي (١٤٣)
المزغبة .

(١٣٨) في ت خيارة .

(١٣٩) زيادة من ت .

(١٤٠) زيادة من م .

(١٤١) زيادة من ت وم .

(١٤٢) في الأصل : « والمفرود » ، وما أثبتاه من ت وم والمان نقلا عن أبي عبيد ، وقال
في المان بعد إيراد الكلمة : « فرد ذلك عليه » . وقال علي بن حمزة : « وقال في باب الكمأة :
والفقع والفردة والمفرودة . فأما الفردة فقد رويت عن الأصمعي ، وأكثر الرواة
على فتحها . وأما المفردة فلم يقلها قط أحد ، وإنما هو المفرد - بلاهاء والميم مضمومة -
والجمع المفاريد ، وهذه الكلمة مشروطة في كتب أهل اللغة ، قالت الرواة : ليس في
كلام العرب فلول مكان الفاء ميم الاغصة أحرف : مشور - وهو المنخر -
ومطوق ومشور ومفوق ومفرد . فتصح ميمها أبو عبيد وأرجد من عنده هاء »
التنبيهات : ٢٣٠ .

(١٤٣) في ت : وهي .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

وقال الأحمر : الكَمَاة : هي التي الى الغبرة والسواد ، والجبابة : التي الى الحمرة ، والفقعة : البيض ، وبنات أوبر : الصغار ، وأنشد (١٤٤) :
ولقد جنيتك أكرمراً وعاقلاً ولقد نهيتك عن بنات الأوبر (١٤٥)
[وقال] (١٤٦) الأموي : الجَمَاميس : الكَمَاة أيضاً .

وقال الفراء (١٤٧) : القُلَاعَة [بالتخفيف] (١٤٨) والقُلَاعَة [بالتشديد] (١٤٨) : هما قِشْر الأرض الذي يرتفع عن الكَمَاة فيدلّ عليها . وهي القِلْفَة أيضاً .

[وقال] (١٤٦) ابو عمرو : الغَرَاد : الكَمَاة الصغار ، واحدها غَرادة ، ويقال أيضاً : هي النيراد ؛ واحدها غَرْدَة .

باب قطع الشجر وقشر لحائه وكسره والكرم

[قال] (١٤٩) الأصمعي : الشَّدَب قِطْعُ الشجر ، واحدها شَدَبَة . والقُطْل : المقطوع من الشجر ، قال المتنخل المذلي :
كما تقطر جذع الدَّوْمَة القُطْل (١٥٠)

فاذا قُطِعَت الشجرة ثم نبت قيل : قد أنشفت ، وكذلك الكرم . قال : والجَنَنَة : الأصل من أصول الكرم ؛ وجمعه الجنن ، وهي الحَبلة .

(١٤٤) في ت : وأنشدنا .

(١٤٥) البيت - بلا عزو - في الجوهرة : ٢٧٨/١ والنهيب : ٢٨٠/٣ و ١٩٥/١١ و ٢٦٥/١٥
والصباح (وبر) والمخصص : ١٦٨/١ و ١٢٦/١١ (وفيه : ولقد نجوتك) و ٢٢٠
و ٢١٥/١٣ و ١٢٠/١٤ وتركيب (وبر) في العباب واللسان والناج .

(١٤٦) زيادة من ت .

(١٤٧) في الأصل : « الفراء قال » ، وما أثبتناه من ت .

(١٤٨) زيادة من م .

(١٤٩) زيادة من ت وم .

(١٥٠) ورد الشطر في هاشم الأصل مع الإشارة الى مكانه فيه ، ولم يرد في ت وم ، وهو في دبران المذليين : ٣٤/٢ ، وصدره فيه : مجذلاً يلتقي جلده منه كما يقطر الخ .

[وقال] (١٥١) ابر عمرو : الزَّرَجُونُ : الكرَّم .

قال (١٥٢) : والنَّجَبُ : لحِاء الشجر ، يقال منه : نَجَبْتُ الشجرةَ
أَنْجَبُهَا [وَأَنْجَبُهَا] (١٥١) : إذا قَشَرْتَهَا (١٥٣) . [وقال] (١٥١)
ابر زيد : أَنْجَبْتُ قَصِيماً من الشجرة : قَطَعْتَهُ (١٥٤) .
والدَّغْلُ : الشجر الكثير المُلْتَف . [وقال] (١٥١) الأصمعي في
الفيل مثله .

[باب عَطَفَ الْعُودَ وَكَسَرَهُ] (١٥١)

ابر زيد : انْخَضَّ الْعُودُ انْخِضَاداً وَانْعَطَّ انْعِطَاطاً (١٥٥) : إذا
تَنَشَّى من غير كَسَرٍ بَيِّن . فَإِنْ عَطَفْتَهُ قَلْتَ (١٥٦) : حَقَضْتَهُ
أَحْفِضُهُ حَقْضاً وَحَنَوْتُهُ أَحْنُوهُ حَنَوْاً وَأَطَرْتَهُ أَطِيرُهُ (١٥٧) أَطَرَأ .
[قال] (١٥٨) : وَالْأَجْذَالُ أَصُولُ الْحَطَبِ الْعِظَامِ الْمُقَطَّعِ (١٥٩) ،
الواحد (١٦٠) جِذْلٌ .

[قال] (١٥١) : والجَزَلُ : اليابس من الحطب .

وقال غيره : الْأُبْنُ : العُشْدُ فِي الْعُودِ ، وَاحِدَتُهَا أُبْنَةٌ . والقَادِحُ :

- (١٥١) زيادة من ت .
(١٥٢) في الأصل : ابر عمرو النجب . وما أثبتناه من ت .
(١٥٣) في م : إذا أُنْجَبَتْهَا .
(١٥٤) ورد قول ابي زيد هذا في ت وم في آخر الباب بعد قول الأصمعي في الفيل .
(١٥٥) في الأصل وت : « انْخَضَّ انْخِضَاداً » بالعين المعجمة ، وما أثبتناه من م ، وهو العواب .
(١٥٦) في م : قيل .
(١٥٧) هكذا ضبط الفعل المضارع في الأصل ، وضبط بضم الطاء في ت ، وكلاهما وارد .
(١٥٨) زيادة من ت وم .
(١٥٩) وردت كلمة « المقطع » في هامش الأصل ، ولم ترد في ت وم .
(١٦٠) في ت وم : واحداً .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

الصَّدْعُ فِي الْعُرْدِ. وَالْأَسْتَن (١٦١) : اصول الشجر ، واحده (١٦٢) أَسْتَنَة .

وَالْوَصْمُ (١٦٣) : الْكَسْرُ .

باب الشجر المُرُّ [١٧٥ /]

[قال] (١٦٤) الأصمعي : الصَّابِ والسَّلَعُ : ضَرْبانِ مِنَ الشَّجَرِ مُرَّانِ .
قال : ذَامًا الْمُقْرِ فَانَهُ (١٦٥) الصَّبِيرُ نَفْسُهُ . [وقال] (١٦٤) الأُمَوِيُّ فِي
الْمُقْرِ مِثْلَهُ . قال أَبُو عَمْرٍو : هُوَ شَجَرٌ مُرٌّ . وقال أَبُو الْحَسَنِ (١٦٦) الْأَعْرَابِيُّ :
الْمُقْرِ : الْحَامِضُ ، وَهُوَ الْمُقْرِ أَيْضًا ، بَيَّنَّ الْمُقَرَّ (١٦٧) .

[وقال] (١٦٤) غَيْرُهُ : النَّارُ شَجَرٌ مُرٌّ ، قال بِشَرُّ [بن أَبِي خَازِمٍ] (١٦٤) :
يَسُومُونَ الصَّلَاحَ بِذَاتِ كَهْفٍ وَمَا فِيهَا لَمْ يَكُنْ وَقَارُ (١٦٨)

باب الحنظل ونباته

[قال] (١٦٤) الأصمعي (١٦٩) : الْحَنْظَلُ هُوَ الشَّرْطِيُّ ، وَاحِدَتُهُ شَرْطِيَّةٌ .
فَإِذَا خَرَجَ الْحَنْظَلُ فَصَنَارُهُ الْجِرَاءُ - مَمْلُودٌ - ، وَاحِدُهَا جِرْوٌ ، وَيُقَالُ
لَشَجَرَتِهِ : قَدْ أُجْرَتٌ . فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَنْظَلُ وَصَابُ فَهُوَ (١٧٠) الْحَدَجُ ،

(١٦١) قال علي بن حمزة : « وقال أبو عبيد : الأستن اصول الشجر واحده أسته . وانا
الأستن شجر معروف يشبه النافر اليه من بعد شخوص الناس » التنبهات : ٢٣١ .

(١٦٢) في م : واحدها .

(١٦٣) في الأصل : « الوصم » بالفساد المعجمة ، وما أثبتناه من ت و م ، وهو الصواب .

(١٦٤) زيادة من ت .

(١٦٥) في ت : فهو .

(١٦٦) في ت : أبو الحسين .

(١٦٧) جاء في حاشية ت مالفظة : « وحكى اللوسى عن أبي عمرو : هذا أمقر من هذا أي أير
منه . وحكى عن أبي عمرو : يقال لئلين يار ، ونسره هو : لأن العمل بها أير من الأخرى » .

(١٦٨) ديوان بشر : ٦٩ .

(١٦٩) في م : الأصمعي قال .

(١٧٠) في ت : فهي .

كتاب الشجر والنبات والنخل

واحدتها حَدَجَة ، وقد أَحْدَجَت الشجرة . فاذا صار للحنظل خُطُوط فهو
الخطبان ، وقد أخطب الحنظل . فاذا اصْثَرَّ فهو الصَّراء - ممدود ، على
مثال قَبَاء - ، واحدته صَرَاية ، وجمعه صَرَايا .

[وقال] (١٧١) أبو الوليد الأعرابي مثل قول الأصمعي في الجِرَاء
والْحَدَج والخطبان ، وزاد فيه بعد الجِرَاء قال : فاذا امتدَّت أغصانه قيل :
قد أرشَّت الشجرة ، يعني صارت كالأرْشِيَّة وهي الحبال (١٧٢) .

وقال غيرهما : الهَبِيد : الحنظل ، ويقال : حَبُّ الحنظل . ويقال
للظليم هو يَتَهَبَّد : اذا استخرج ذلك لياكله .

[قال] (١٧١) : والصَّيْصَاء : قِشْر حَبِّ الحنظل .



(١٧١) زيادة من ت .

(١٧٢) في الأصل : « الجبال » ، والتصويب من ت وم .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب النخل

باب ابتداء نبات النخل وصيغاريه

[قال ابرعبيد (١) : سمعت الأصمعي يقول في صغار النخل : أول ما يُقْلَع شيء منها من أمه فهو الجثيث . وهو الردي (٢) ، والهيراء ، والفسيل .

فاذا كانت الفيلة في الجذع ولم تكن مُتَأَرِضَةً - والمتأرضة : التي تَمَكَّنُ في الأصل - فهي (٣) من خثيس النخل ، والعرب تسميها الراكب .

فاذا قُلِعَت الرديّة من أمها بكرّبها (٤) وايفها (٥) قيل : ودّية مُنْعَلَةٌ .

فاذا غَرَسَهَا حَفَرَ لها بئراً فغرسها ، ثم كبس حولها بئرئوق المسيل والدّمّن ، فتلك البئر هي الفقير ، يقال : فقّرنا للوديّة تفقيراً .

(١) زيادة من ت .

(٢) جاء في هامش الأصل ما نصه : « وأنشد في الودي :

نحن بفرس الودي أعلننا ما يركض الجياد في السلف (في السلف) »

ولم يثبت أن ذلك من الأصل ، ، والبيت لسد التفرقة كما في الباب (سد) و (سلف) .

(٣) في ت : فهو .

(٤) قال علي بن حمزة : « قال الطوسي : غلط ابرعبيد في قوله : (بكرّبها) ، انما هو بكربة .

والقول قول الطوسي « انتهى » : ٢٣٩ ، يريد : تقطع بكربة من الأم ، أي مع كربة منها « الثمان (نمل) .

(٥) وردت كلمة (وايفها) في هامش الأصل مع الإشارة في داخل الأصل اليها ، ولم ترد في ت وم .

[وقال] (٦) غيره : الآشاء : الصغار (٧) من النخل ، واحدها أشاء .

[غيره : الجعل : القصار] (٨) .

باب نُعُوت سَعَف النخل وكَثَرَبه وقُلُبُه (٩)

[قال] (٦) الأصمعي : يقال للنسيئة إذا أخرجت قُلُبَهَا : قد أنسفت . ويقال للسعات اللواتي (١٠) يَلِينُ القَلْبَةُ : العَوَاهِين ؛ في لغة أهل الحجاز ، وأما أهل نجد فيسمونها الخوافي . وأصول السعف الغلاظ هي : الكرانيف ، الواحدة (١١) كِرْنَافَة . [قال] (٦) : والعريضة التي تيس فتصير مثل الكتيف هي : الكرَبَة . وشحمة النخلة (١٢) هي : الجُمَارَة . فاذا صار للنسيئة جذع قيل : قد قَعَدَت ، وفي أرض فلان من القاعد كذا وكذا .

فاذا حملت وهي صغيرة فهي : المِهْشَجِينَة .

قال : والسعف هو الجرید عند أدل الحجاز ، واحده جريدة . وهو الخُرْص ، وجمعه خِرْصَان ، ومنه قول قيس بن الخطيم :
تَذَرُعُ خِرْصَانٍ بِأَيْدِي الشَّوْاطِبِ (١٣)

(٦) زيادة من ت .

(٧) في ت : القصار .

(٨) زيادة من ت وم .

(٩) في ت : باب نُعُوت السعف والكرَب والقلب .

(١٠) في ت : التي .

(١١) في ت وم : « الواحدة » .

(١٢) في ت : النخل .

(١٣) تقدم الاستشهاد بالبيت في باب نُعُوت الأشجار في ردّها والتفانها .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

[و] (١٤) عن الأصمعي : الخُلْب : اللَّيْف ، واحِدته خُلْبَةٌ .

باب حمل النخل وسقوط حملة

[قال] (١٥) الأصمعي : اذا حملت النخلة صغيرة [٨٥ / ب] فهي المَهْتَجِنَةُ .

فإن حملت سنة ولم تحمل سنة قِيل : قد عاومت وسانته .

فاذا كثر حملها قِيل : قد حَشَكْتَ .

فإن (١٦) نَفَضَتْهُ بعدما يكثُر (١٧) حملها قِيل : قد مَرَقَتْ (١٨) ، وقد أصاب النخل مَرَقٌ .

[قال] (١٥) : فاذا كثر نَفَضَ النخلة (١٩) وعظم ما بقي من بُسْرها

قِيل : قد خردلت وهي (٢٠) مُخَرَّدِلٌ .

فاذا انتفض قبل أن يصير بَلَحاً قِيل : قد أصابه القُشَامُ .

فاذا وقع البلح وقد استرخت ثَمَارِيْقُهُ [وهي الثَمَارِيخ] (٢١) ونَدِي

قِيل : بلح سَدِي ، وقد أَسْدَى النخلُ (٢٢) - والثَفْرُوق بالثاء : قِمَعٌ

(١٤) زيادة من م .

(١٥) زيادة من ت .

(١٦) في ت : فاذا .

(١٧) قال علي بن حمزة : « وقد غلط . الوجه : بعدما يكبر » التنبيهات : ٢٢٩ .

(١٨) هكذا ضبط الفعل في الأصول ، وقال في اللسان : « مرقت النخلة [أي يكبر] والراء [وأمرقت

وهي مرق . . . والاسم المرق » وذكر بعد ذلك : « والمرق أيضاً : آلة تصيب الزرع » .

(١٩) في الأصل : « النخل » وما أثبتناه من ت و م .

(٢٠) في ت : فهي .

(٢١) زيادة من م وهامش ت ، ومن المحتمل أن لا تكون من صلب الكتاب لاختلاف تفسيرها

للفاروق عن التفسير الآتي .

(٢٢) في ت : وقد أسدت النخلة .

البُسْرَة والتمرّة - [وقال] (٢٣) أبو عمرو أو غيره : هو السّدى ، مثل عَمى ، والواحدة سَدِيّة ، وهو السّداء - ممدود - ، والواحدة سَدَاة .
وقال العَدَنَسُ الكِنَانِي : الثَّفَرُوق : هو ما يلترق به القِمع من التمرة ، كأنه يقول : هو ما تحت القمع [من التمر] (٢٣) .

باب طَلْع النخل وإدراك لمره

[قال] (٢٣) أبو عمرو : الطَّلْع هو الكافور ، وكذلك الذي يُجعل في الطَّيِّب . [وقال] (٢٣) الفَرَّاء : هو الكافور والضَّحَاك - جميعاً - حين ينشق .

[وقال] (٢٣) الأصمعي : إذا بدا الطَّلْع فهو الغَضِيض ، فإذا اخضرَّ قيل : قد خَضِبَ النخل ، ثم هو البَاح .
[قال] (٢٣) الأصمعي : الكافور : وعاء طَلْع النخل ، قال : ويقال له أيضاً قَعْدُور .

فإذا انعقد الطَّلْع (٢٤) حتى يصير بلحاً فهو السَّيَّاب (٢٥) [مخفف] (٢٦) والواحدة سَيَّابَة ، وبها سُمِّي الرَّجُل .
فإذا اخضرَّ واستدار قبل أن يشتدَّ فإن أهل نجد يسمونه الجَدَّال ، قال بعض أهل البادية :

سارت إلى يَبْرِينَ خمّاً فأصبحت
يَخِرُّ على أيدي البُثَّة جدالها (٢٧)
فإذا عظم فهو البُسْر .

(٢٣) زيادة من ت .

(٢٤) في الأصل : الطَّلْع ، وما أثبتناه من ت ر م .

(٢٥) جاء في حاشيت ما لفظه : السَّيَّاب في كتاب أبي عبيد بالتخفيف ، وهو السَّيَّاب بالضم والتشديد ، ومن قول الأعشى :

نخال نكهتها بالليل سيابا

(٢٦) زيادة من ت ر م .

(٢٧) البيت للمخبل السدي في الجمهرة : ٦٧/٢ واللسان والناج (جدل) ، وبلا عزو في التهذيب :

٦٥٠/١٠ ، وبعض أهل البادية في المخصص : ١٢١/١١ ، وعجزه بلا عزو في المفاتيح ٤٣٤/١ .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

فاذا صارت فيه خُطُوط وطرأت فيهِ المَخْطَم .
 فاذا تغيَّرت البُسرة الى الحُمرة قيل : هذه شُحَّة ، وقد [٨٦ / أ]
 أَشَقَّ النخلُ .
 فاذا ظهرت فيه الحُمرة قيل : أزهى النخل يزهى ، وهو الزَّهْوُ ، وفي
 لغة أهل الحجاز : الزَّهْوُ .
 فاذا بدت فيه نُقْط من الإِرطاب قيل : قد وكَّت ، وهي بُسرة
 مَوْكَّتة .
 فاذا أتاها التَّركيت (٢٨) من قِبَل ذَنبها قيل : ذَنَّبَتْ ، فهي
 مُذَنَّبَةٌ ، والرُّطَب : التَّدْنُوب .
 فاذا دخلها كلها الإِرطاب وهي صُلْبة لم تنهضم بعدُ فهي جُمَّة ،
 وجمعها جُمُسُ .
 فاذا لانتُ فهي ثَعْدَةٌ ، وجمعها ثَعْد .
 فاذا بلغ الإِرطابُ نصفها فذلك المُجَزَّع والمُجَزَّع أيضاً (٢٩) .
 فاذا بلغ ثُلُثيها فهي حُلُقَاة ، وهو مُحَلَّقَتان .
 فاذا جرى الإِرطاب فيها كلها فهي المُنسَبَّة ، وهو رُطَب مُنسَبَّت .
 فاذا أُرطب النخل كله فذلك المَعْو . قال أبو عبيد : وقياسه أن تكون
 الواحدة مَعْوَةٌ ولم أسمعه . وقال اليزيدي : يقال منه : أُمِعت النخلة (٣٠) .

(٢٨) في م : واذا أتاها الرطب .

(٢٩) في ت : « فذلك المجزع » ويقال المجزع بالفتح ، وفي هاشم ت : « المجزع - بالكسر -
 أتى حلاً على أعواته » وفي م : « فذلك المجزع » ويقال المجزع .

(٣٠) ورد في الأصل بعد هذه الجملة مانع : « الأصمعي : فاذا بلغ الطلع فهو النقيض ، واذا اخضر
 قيل قد خضب النخل ثم هو البلح » وقد تقدم ذلك في صدر الباب ، تكرر به سهو من النسخ .

[قال] (٣١) أبو عمرو : فاذا (٣٢) أدرك حمل النخلة فهو الإناض ،

قال لبيد :

[فاخيرات ضروعها في ذراها] (٣١) وإناض العيدان والجبار (٣٣)

[قال] (٣١) الأصمعي : فاذا ضرب العذق بشوكة فأرطب فذلك

المنقوش ، والفعل منه النشش .

فاذا بلغ الرطب اليبس فذلك التصليب ، وقد صلب .

فإن وضع في الجرار وقد يبس فصُبَّ عليه الماء فذلك الربيط .

فإن صبَّ عليه الدبس فذلك المصقَّر ، والدبس عند أهل المدينة يقال

له الصقَّر .

فإن غُمَّ (٣٤) ليُدرِكَ فهو مغمُون ومغمُول . وكذلك الرجل

يُلْقَى (٣٥) عليه الثياب ليغمُرَق فهو (٣٦) مغمول .

[وقال] (٣١) الأموي : في لغة بآل حارث بن كعب : القالب البُر

الأحمر ، يقال منه : قَلَبَتِ البُرةُ تَقْلِبُ : إذا احمرَّت .

فاذا أبصرتَ فيها الرطب قلتَ (٣٧) : قد أضْهِلَّتْ إضْهالاً .

والقشَمُ : البُر الأبيض الذي يؤكل قبل أن يُدرِكَ ، وهو حلو .

(٣١) زيادة من ت (٣٢) في م : إذا .

(٣٣) جاء في هامش ت ما نعه : والرواية : وأنيض العيدان ، يريد النض الطري المدرك .

والبيت في ديوان لبيد : ٤٢ .

(٣٤) في هامش ت : « فان غن » . (٣٥) في م : تلقى .

(٣٦) في م : وهو .

(٣٧) في الأصل : « قيل » ، وما أثبتناه من ت وم .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

[وقال] (٣٨) غيره : اذا كثر حمل النخلة قيل : أوُسِقَتْ ، يعني انها قد حملت وسقاً ، وهو الرقير ، قال ابيد :
مُوسِقَاتٌ وَحُفْلٌ أَبْكَارُ (٣٩)
[٨٦ / ب] أي تُبَكِّرُ في الحمل .

ويقال : أنضج النخل : اذا احمرَّ أو اصفرَّ ، قال ابو ذؤيب :
يا هَلْ أَرِيكَ حُمُولَ الْحَيِّ غَادِيَةً (٤٠) كالنخل زَيْتُهَا يَنْعُ وإفصاح (٤١)
باب تَغْيِيرِ حمل النخل (٤٢) وفساده

[قال] (٣٨) الأصمعي : اذا أنشفت النخلة عن عَقْنِ وسواد قيل :
قد أصابه الدَّمَانُ ، قال : وقال ابنُ ابي الزُّنَادِ : هو الآدَمَانُ .
واذا لم تقبل النخلة اللقح ولم يكن للبسر ذوى قيل : قد صا صأت
النخلة .

فإن غلظت التمرة وصار فيها (٤٣) مثلُ أجنحة الجراد فذلك الفنا
[مقصور] (٤٤) ، وقد أفغت النخلة .

قال : [و] (٤٥) يقال للتمر العَفِينُ : الدَّمَالُ .
وقال الامري : في لغة بلخارث بن كعب : الصَّيْنُ والخَشْوُ -
جميعاً - : الحَشَفُ (٤٦) ، وقد خَشَتِ [النخلة] (٤٥) تخشوخشوراً .
وقال الفرّاء : يقال للتمر الذي لا يشتد نواه : الشَّيْثَاءُ ، قال : وأنشدنا :

-
- (٣٨) زيادة من ت .
(٣٩) ديوان ليد : ٤١ ، مصدر البيت : (يوم أرزاق من بفضل عم) .
(٤٠) أشار في الأصل الى رواية اخرى في البيت هي : «الحي ضاحية» .
(٤١) ديوان الهذليين : ٤٥/١ ، وفيه : « زينه ينح » .
(٤٢) في ت وم : تغير ثمر النخل .
(٤٣) في ت : فيه ، وفي م : فان غلظ الثمر وصار فيه .
(٤٤) زيادة من م .
(٤٥) زيادة من ت وم .
(٤٦) في الأصل ر ت : الخشف ، والتصويب من م .

يَالْتَمَسُ مِنْ تَمَرٍ وَمِنْ شَيْشَاءٍ يَنْشَبُ فِي الْمَسْعَلِ وَالْأَهَاءِ (٤٧)
قال : احتاج اليه فمدّه ، ويروى : اللّهُاءُ - مقصور (٤٨) - وهو
جمع لَهَا ، مثل الإضاء وهو جمع أضاً ، والأضأ : جمع أضأة . وهو الذي
يقال له الشَّيْصُ (٤٩) ، قال : وأهل المدينة يسمونه الشَّخْل ، وقد سَخَلَتْ
النخلةُ .

باب صيرام النخل وليقاحه

[وقال] (٥٠) الأصمعي : فإذا لقح الناسُ النخلَ قيل : قد جَبَّوْا ،
وقد أَتَانَا (٥١) زمن الجِبَّابِ .
غيره : أَبَرَّتْ النخلَ آبِرُهُ أَبْرَأً وَأَبْرَثَهُ ، ومنه قول طرفة :
وليَّ الأصل الذي في مثله يَصْلَحُ الْآبِرُ زَرْعَ الْمُؤْتَبِرِ (٥٢)

(٤٧) المشطوران بلاعزو في تركيب (شيش) في الصحاح واللباب واللسان والتاج ، والمختص :
١٥٧/١ و ١١١/١٣١ و ١٥٢/١٥٢ و تركيب (خا) في اللسان والتاج ، وثانيهما في التهذيب :
٤٣٠/٦ .

وقال في اللسان (لها) تعليقاً على هذا الشاهد : « روي بكسر اللام ونحوها ، فمن فتحها ثم مد نون
اعتقاد الضرورة ، وقد رآه بعض النحويين ، والمجتمع عليه عكسه . وزعم أبو عبيد أنه جمع لها
على لاء . قال ابن سيده وهذا قول لا يرجح عليه ، ولكنه جمع خاة كما بينا ، لأن فلة
يكسر على فمال » .

(٤٨) كذا في الأصل ، ولم ترد كلمة « مقصور » في ت ، والسياق يقتضي أن تكون العبارة
هكذا : « ويروى : الأهاء - مدود - وهو جمع لها ، مثل الإضاء الخ » .

(٤٩) هذا هو نص الأصل تعليقاً على الشاهد المتقدم ، وفي ت بعد الشاهد : « احتاج ال مدّه فمدّه ،
وهو مفتوح ، فإذا كسر فهو مدود لاغير ، مثل أنساء وأضأ وإنشاء . الشيشاء : هو الشيص » .
في م بعد الشاهد : « وهو الذي يقال له الشيص » ، ويروى : والأهأ مدود ، قال وأهل المدينة يسمونه
الشخل ، وقد سخلت النخلة . الأهأ مقصور ، فاحتاج اليه فمدّه ، ويقال لها ولها ولها مثل
أنساء وأضأ وإنشاء » .

(٥٠) زيادة من ت .

(٥١) في م : وقد أن .

(٥٢) ديوان طرفة : ٦٣ .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

وأهل المدينة يقولون : كُنَّا في العَفَار ، إذا كانوا في إصلاح النخل وتلقيحها .

[قال] (٥٣) الأصمعي : فإذا صُرِمَ النخلُ فذلك المقطاع والجِرَّاز والجِرَّاز والجِرَّام (٥٤) [والجِرَّام] (٥٥) . [وقال] (٥٣) الكسائي في هذا كله بالفتح والكسر .

[وقال] (٥٣) أبو عبيدة : جَزِمْتُ النخلَ وجَرَمته : كلُّ هذا معناه إذا خَرَصْتَهُ وحَزَرْتَهُ (٥٦) .

باب نُعُوتِ النخل في طولها

[قال] (٥٣) الأصمعي : إذا صار [٨٧ / أ] للنخلة جِذَعٌ يتناول منه المُتَنَاولُ فتلك النخلة : العَصِيدُ ، وجمعه (٥٧) عِصْدَانٌ . فإذا (٥٨) فانت اليدُ فهي جَبَّارة . فإذا (٥٨) ارتفعت عن ذلك فهي الرَّقْلَةُ ، وجمعها رَقْلٌ وريقال ، [قال] (٥٣) : وهي عند أهل نجد : العَيْدَانَةُ . فإذا طالت - قال : ولا أدري لعل ذلك مع (٥٩) انجراد - فهي : سَحْرُوقٌ وهُنَّ سَحْقٌ .

[قال] (٥٣) : والصَّوْرُ : النخل المجتميع الصغار .
غيره : الصَّوَادِي : الطُّوَال ، قال ذو الرِّمَّة [يصف الأحمال] (٦٠) :
مثل صَوَادِي النخل والسَّيَالِ (٦١)

- (٥٣) زيادة من ت .
(٥٤) في ت : « الجِرَّام » ، وقال في الماش تعليقاً على ذلك : « جميعاً بالزاي والراء » ، والمعروف في المعجمات بالراء المهملة .
(٥٥) زيادة من م .
(٥٦) في الأصل : « وجزرته » ، وفي م : « وخررته » ، والتصويب من ت .
(٥٧) في ت وم : وجمعها .
(٥٨) في م : قان - في الموضعين - .
(٥٩) في ت : « من » وكتب النسخ تحتها كلمة « مع » .
(٦٠) زيادة من م .
(٦١) ديوان ذي الرمة : ٢٧٤/١ .

قال أبو عبيد : وقد تكون الصَّرَادي : التي لا تشرب الماء .
والطَّرَاق (٦٢) : الطَّوَال ، واحدها (٦٣) طريقة .
غيره : الجَعْل : القِصار (٦٤) .

باب نعوت النخل في حملها

[قال] (٦٥) الفراء (٦٦) : اذا كانت النخلة تُدْرِك في أول النخل فهي
البَكُور ، وَهَنْ الْبُكْرُ ، وأنشدنا للمُتَنَخِّل :
ذلك ما دِينُكَ إِذْ جُنِبْتَ أحمالا كالْبُكْرِ الْمُبْتَلِ (٦٧)
قال : والمُبْتَلِ : الأُمُّ يكون (٦٨) لها فيلة قد انفردت واستغنت
عن أمها ، فيقال لتلك الفيلة : البَتُول .
وقال الفراء : البَكيرة مثل البَكُور .
قال : والمِثْلَاح : التي (٦٩) يتثر حملها اذا صار يُشْرَأ (٧٠) .
والخَضِيرَة (٧١) : التي يتثر برها [وهو] (٧٢) أخضر .
[وقال] (٦٥) الأصمعي : المِثْخَار ، التي (٧٣) يبقى حملها الى آخر
الصَّرام ، وأنشدنا :

- (٦٢) في الأصل وم : الطريق ، وما أثبتناه من ت .
(٦٣) في ت وم : واحده .
(٦٤) في ت : الصغار .
(٦٥) زيادة من ت .
(٦٦) كذا في الأصل ، وفي ت وم : الأصمعي .
(٦٧) دبران المذلين : ٣/٢ .
(٦٨) في ت وم : تكون .
(٦٩) في الأصل : الذي ، وما أثبتناه من ت وم .
(٧٠) في م : والمِثْلَاح التي يتثر برها .
(٧١) في الأصل : والخضير ، ، وما أثبتناه من ت وم .
(٧٢) زيادة من ت وم .
(٧٣) في ت : المِثْخَار النخلة التي ، وفي م : المِثْخَار النخلة يبقى .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

ترى الغَضِيضُ المَوْقرَ المِثْخَارَا من وَقْعِهِ يَنْثُرُ انْثَارَا (٧٤)
[ويُرْوَى : العَضِيد [(٧٥) .

باب أجناس النخل

[قال] (٧٦) الفراء : الخِصَاب : نخل الدَّقَل ، والواحدة خَصْبَةٌ .
[وقال] (٧٦) الأصمعي : يقال للدَّقَل : الألوان ، واحدها لَوْن .
ويقال لفعلها : الراعيل . والرَّعَال : الدَّقَل ، الواحدة (٧٧) رَعْلَةٌ .
قال : وكلُّ لَوْنٍ من النخل لا يُعرَف اسمه فهو جَمْعٌ ، ويقال (٧٨) :
« أَكْثَرُ الجَمْعِ فِي أَرْضِ فلان ، لِنَخْلٍ خَرَجَ مِنَ النَوَى .
غيره : الطَّرِيق : ضَرَبَ من النخل ، قال الأعشى :
وكلُّ كُمَيْتٍ كَجِذْعِ الطَّرِيقِ يجري على سَلِيطَاتٍ لُثْمٌ (٧٩)

باب عيوب النخل

[قال] (٧٦) الأصمعي : إذا صغر رأسُ النخلة وقلَّ سَعْفُها فهي
عَشَّةٌ ، وهُنَّ عِشَائَشٌ .
فإذا دَقَّتْ من أسفلها وانجرد كثرَبُها قيل : قد صَنَبَرَتْ .
فإذا مالت فَبُنِي تحتها دُكَّانٌ تعتمد عليه فذلك : الرُّجْبِيَّةُ ، والنخلة
رُجْبِيَّةٌ (٨٠) ، ومنه قال الحُبَابُ بن المُنْذِر : أنا جُدَلِيلُها المُحَكِّكُ

(٧٤) المثلثون - بلاعزو - في التهذيب : ٨/٧ و ٨/١١ و ١١٨ و ١٣٧/١٦
(وفي بعضها : العفيد) وتركيب (آخر) في اللسان والناج .

(٧٥) زيادة من م .

(٧٦) زيادة من ت .

(٧٧) في ت : واحدها .

(٧٨) في ت وم : يقال .

(٧٩) ديوان الأعشى : ٣٢ ، وفيه : يردي عل .

(٨٠) هكذا ضبطت الكلمة في الأصل هنا وفي الشاهد . ، وضبطت في ت بفتح الجيم بلا تشديد ،
وكلاهما وارد .

وعُدِّيَّتُهَا المُرَّجَب . وأنشدنا غيره (٨١) :
ليست بَسْنَهَاءَ ولا رُجْبِيَّةً . ولكن عَرَايَا فِي السَّيْنِ الجَوَانِحِ (٨٢)
[ويروى : بَسْنَهَاءَ ولا رُجْبِيَّةً] (٨٣) .
[قال] (٨٤) الأحمر : فإذا يَسْتُ قِيلَ : صَوْتٌ تَصْنُوي ، فهي صَاوِيَّة .

باب عُدُّوقِ النخل ونعوتها

[قال] (٨٤) الأصمعي : العِدْقُ — عند أهل الحجاز — : النخلة
نفسها . والعِدْقُ : القِنْو الذي يقال له الكِبَاسَة . وهو القَنَا — أيضاً —
مَقْصُور . قال أبو عبيد : فَمَنْ قال قِنْوً قال للآخرين قِنْوَانٍ [بكسر
النون] (٨٥) : وللجميع (٨٦) قِنْوَانٌ ، ومثله صِنْوٌ وصِنْوَانٌ وصِنْوَانٌ
للجميع . وَمَنْ قال قَنَا [مقصور] (٨٤) قال لجمعه أَقْنَاءُ ؛ ممدود .
ويقال لعُودِ العِدْقِ وهو عُودُ الكِبَاسَة : المُرَّجُون والإِهَانُ .
والشَّمْرَاخُ : هو الذي عليه البُسْرُ وأصله في العِدْقِ ، ويقال له
الشَّمْرُوخُ — أيضاً — والإِثْكَالُ والأُثْكَوْلُ والعِشْكَالُ والعُشْكَوْلُ .
[و] (٨٤) قال الاموي : في لغة بَكْتَحَارِثَ بنِ كَعْبٍ : المِطْوُ :

(٨١) في ت : وأنشدنا غيره للحباب بن المنذر .
(٨٢) البيت — بلا عزو — في التهذيب : ١٣٩/٦ والمخصص : ٥٤/١٦ واللسان (جرح) ،
ولشاعر من الأنصار في المقائيس : ٢٩٩/٤ ، ولسويد بن الصامت في الجمهرة : ٢٠٨/١
واللسان (رجب) و(سنة) و(عرا) والتاج (سنة) و(عري) ، وفي بعض هذه الروايات :
« نليت بَسْنَهَاءَ » .

(٨٣) زيادة من ت ، وفي حاشيها مالفظة : « بالتشديد على الجيم والياء ، وهذا هو الصحيح النصيح .
ورجبية : من الرجبة من طريق النسب ، وهي لفظ على حياها » .

(٨٤) زيادة من ت .

(٨٥) زيادة من ت وم .

(٨٦) في ت : وللجميع .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

- الشُّمْرَاخ (٨٧) ، وجمعه مِطَاء (٨٨) .
والكِتَاب : [هو] (٨٩) الشُّمْرَاخ ، ويقال له - أيضاً - : العَاسِي .
قال : والعِرْدَام : العِذْق الذي يكون فيه الشُّمَارِيخ .
وقال أبو عمرو في الإحان مثله (٩٠) .
غيره : الْمُتَعَشِّكِل : العِذْق ذو العُثَاكِيل ، واحداً عُثْكُول (٩١) .
وقال العَدَّيْس : والذَّيْخ (٩٢) : القَيْنُو ، وجمعه ذِيخَةٌ ، مثال
دِيكٍ وديكةٍ وقرَدٍ وقرَدَةٍ (٩٣) .

باب إعراء النخل ورفع لمره (٩٤) بعد الصَّرام

- [قال] (٩٥) الأصمعي : يقال [٨٨ / أ] : قد استعري الناسُ في
كل وجه : إذا أكلوا الرُّطَبَ ، أخذ (٩٦) من العَرَايَا . وقد استنجى
الناسُ في كل وجه : إذا أصابوا الرُّطَبَ .

- (٨٧) قال علي بن حمزة : « وقال : المطو الشراخ . وإنما المطو العذق ، وأنشد أبو زياد وغيره :
وهتفوا وصرخوا يا أبلح
وكان هسي كل مطو أبلح
وقال أبو عمرو وغيره : يقال للمذق المطو والمطو ، والجمع مطاء » التَّشْبِيهَات : ٢٤٠ .
(٨٨) في الأصل : « أسطاء » ، وما أثبتناه من ت وم ، وهو الصواب في جمع المطو ، وفي اللسان :
« والملا - مقصور - لغة فيه » وجمعه أسطاء .
(٨٩) زيادة من م .
(٩٠) ورد قول أبي عمرو في ت بعد قوله : (المرجون والاهان) ووشمها الناسخ بين الطور ،
ثم وردت مرة أخرى كالأصل ووضع الناسخ خطأً عليها تنبيهاً على زيادتها هنا .
(٩١) في ت : « ذو العثاكيل جمع العثكول » ، وفي م : « ذو العثاكيل ، والعتاكيل جمع العثكول » .
(٩٢) في ت : « الذبيخ » بلا حرف عطف ، وفي م : « الذبيخ » بالذال المهملة ، وكلاهما وارد
في المعجمات ، وفي اللسان : « والذال أعل » .
(٩٣) جملة (مثال ديك . الخ) مضافة إلى الأصل ، ولم ترد في ت وم .
(٩٤) في ت : وجمع ثمره .
(٩٥) زيادة من ت .
(٩٦) في ت رم : أخذه .

قال : ويقال للمرضع الذي يُجعل فيه التمر اذا صُرِم : المِرْبَد . وربما
نَحَسُوا عليه المطر فيُجعل في المِرْبَد جُحْر يسيل (٩٧) منه ماء المطر ،
واسم ذلك الجُحْر : الثعلب .

[قال] (٩٨) : وأهل نجد يُسمّون المِرْبَدَ : الجرّين . ويسمّيه
بعض مَنْ يلي اليمامة : المِسْطَح .

باب نعوت النخل في شربها ونباتها

[قال : سمعتُ] (٩٨) غير واحدٍ [يقول] (٩٨) : الكارِعات
والمُكَرِعات : التي على الماء .

[قال] (٩٨) : والناديات : البعيدة من الماء (٩٩) .

عن الأصمعي : النخل المُنْبَق (١٠٠) : المُصْطَف على سَطَر

[واحد] (٩٨) مُسْتَوٍ ، ومنه قول امرئ القيس (١٠١) :

كنْخَلٍ من الأعراض غير مُنْبَقٍ (١٠٢)

أي : غير مستوٍ .

باب جِماع النخل

[قال : و] (٩٨) الصَّوْر : جِماع النخل . والحائش : جِماع النخل ،

قال الأختل :

(٩٧) كذا في الأصل ، وثبت وم : لبيل .

(٩٨) زيادة من ت .

(٩٩) في ت : من الماء ، وفي م : البعيدات من الماء .

(١٠٠) أشار في الأصل إلى جواز فتح الباء وكسرها ، وكلاهما منصوص في المعجمات ،

وجاء في حاشيت « منبَق » حاشية - عن الطوسي عن أبي عبيد المنبَق بكسر الباء ، ومن

غيره المنبَق بفتح الباء .

(١٠١) في ت وم : امرئ القيس أو غيره .

(١٠٢) ديوان امرئ القيس : ١٦٨ ، صدره : « وحدث بأن زالت بليل حولهم » .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

وكانَ ظُعنَ الحَيِّ حائشُ قريةٍ داني الجنَّة وطيب الأثمار (١٠٣)
[قال أبو عبيد] (١٠٤) : لا واحد للحائش ولا للصَّور ، كما قالوا لجماعة
البقر : الرِّبْرَب ؛ ولجماعة الأباغر : الإبل (١٠٥) .

باب أسماء ما يُزرَع فيه ويُغرس

[٨٨ / ب] أبو عبيد عن أبي عبيدة : الجِرْبَة : المزرعة ، ومنه قول
بشر [بن أبي خازم] (١٠٦) :

عل جِرْبَة تَعْلُو الدُّبَارَ غُرُوبُهَا (١٠٧)

[وقال] (١٠٤) أبو عمرو : الدُّبَار : المشارات ، واحدها دَبْرَة .

[وقال] (١٠٤) غيره : الحَتْل مثله .

وقال أبو عمرو : المَحَاجِر : الحدائق ، واحدها مَحْجِر ، قال
ليد :

تُرْوِي المَحَاجِرَ بَازِلٌ عُلُكُومٌ (١٠٨)

[وقال] (١٠٤) غيره : سَبَلُ الزَّرْعِ وَسُنْبُلُهُ واحد ، وقد سَتَبَلَ
الزَّرْعُ وَأَسْبَلَ (١٠٩) .
والمَسَارِب : المراعي .

(١٠٣) ديوان الأخطل : ٧٧ وفيه : « داني الجناة موثق الأثمار » .

(١٠٤) زيادة من ت .

(١٠٥) في ت : « ربرب والأباغر ابل » ، وفي م : « ربرب وبلغ الأباغر ابل » : وورد
بعد ذلك في الأصل باب مشروانه (باب حجارة المن) ، وهو مقسم هنا لا علاقة له بالنخل ،
ولم يرد في ت وم .

(١٠٦) زيادة من ت وم .

(١٠٧) ديوان بشر : ١٤ ، صدره : « تحدر ماء البصر عن جرشية » .

(١٠٨) ديوان ليد : ١٢٢ ، صدره : « بكرت به جرشية مقطوعة » .

(١٠٩) في م : وقد سبل وسبل وأسبل .

الاستقراء في النحو

الكتور

عبدان محمد سلمان

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اعتمد النحاة المذهب الاستقرائي في وضعهم أصول النحو العربي وقواعده ، وهو مذهب قوي يعتمد على تتبع كلام العرب من منابعه الأصلية ، وتسجيل القوانين النحوية التي يخضع لها نظام العربية في تراكيبها المختلفة . وكان للجهد العظيم الذي بذله العلماء ، وهم يدونون اللغة ويجمعون نصوصها ، أثر كبير في تدليل سبل استقراءهم اللغة ، ومن ثم تيسر لهم استنباط أحكامها ، وضبط قواعدها ، واستخلاص أوضاع نظمها ، وبيان العلاقة القائمة بين مفرداتها في تراكيبها المختلفة ، وسميات تلك المفردات وأنواعها وخصائص كل نوع منها ، وما يطرأ عليها من تغيير بسبب المعاني المختلفة التي تتوردها في الكلام .

ولعظيم اعتماد النحاة على الاستقراء في ذلك كله ، وجدناهم قد نصروا عليه في وصفهم النحو وحده . فهذا أبو بكر بن السراج الحنفي سنة (٣١٦هـ) يصفه بأنه : « علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب » (١) ،

(١) كتاب الأصول في النحو ٢٧/١ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

وهذا أبو علي الفارسي المتوفى سنة (٣٧٧ هـ) يتحدث بأنه : « علم بالمقاييس المتنبطة من استقراء كلام العرب » (٢) ، وحدّه ابن عصفور المتوفى سنة (٦٦٩ هـ) بأنه : « علم مستخرج بالمقاييس المتنبطة من استقراء كلام العرب ، المرصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي تأتلف منها » (٣) .

وغرضي في هذا البحث هو أن أضع بين يدي الباحثين نماذج من استقراءات النحاة ، لأثبت خطأ كثير من الباحثين المحدثين ، ممن يشنعون على النحاة القدامى ، فيزعمون أنهم لم يستقروا اللغة استقراء تاماً ، حينما أصدروا أحكامهم النحوية (٤) ، وأنهم كانوا يرومون في عملهم النحوي إخضاع اللغة العربية لقواعد المنطق والفلسفة والعلوم الكلامية الأخرى التي تأثروا بها (٥) ، بعد اطلاعهم على ثقافات الأمم المختلفة ، وإني لا أزعّم أن النحاة لم يتأثروا بالمنطق أو الفلسفة أو العلوم الأخرى ، فجاءت أحكامهم بعيدة عن ذلك ؛ لأن كتب النحو زاخرة بما يدل على ذلك التأثير ، ولكن هذا التأثير لا يتصل بوضع القواعد والأحكام النحوية ، بل يتصل بتنظيم تلك الأحكام على وفق منهج قائم على تفكير عقلي يسعى إلى ضم الأحكام المتشابهة في أبواب مترابطة ، ويتصل أيضاً بالكشف عن أسرار العربية ، وحكمة نظمها ، أما وضع الأحكام فقد كان اعتمادهم فيه على الاستقراء وحده .

ويستطيع الباحث أن يقرر . أن علوم العربية — ومنها النحو — قد مرت بثلاث مراحل ، فاتجهت جهود العلماء في المرحلة الأولى صوب جمع النصوص وتدوينها على وفق ضوابط الترميز بها ، تتصل بجوهر النص ، وسلامة

(٢) كتاب الشكلمة ١٦٣ .

(٣) المقرب ٤٥/١ .

(٤) اللغة والنحو بين القديم والحديث / عباس حسن ، ٦٨ .

(٥) مدرسة الكوفة للدكتور مهدي الخزرجي / المقدمة (هـ) .

عربية من يأخذون عنه اللغة (٦) ، وفي المرحلة الثانية انصرف العلماء إلى استقراء تلك النصوص لاستخلاص الأحكام والقواعد منها ، أما المرحلة الثالثة فقد كانت جهودهم فيها منصبة على تعرف أسرار اللغة ، وتعليل أحكامها لمعرفة حكمة العرب في كلامها (٧) . وقد كان للمنطق والعلوم الكلامية الأخرى أثر كبير في هذه المرحلة . أما المرحلتان الأولى والثانية ، فليس للعلوم الكلامية أثر فيهما إلا فيما يتصل بتنظيم المعلومات وتبويبها .

ولابد من التأكيد هنا أن هذه المراحل الثلاث كثيراً ما تكون متداخلة تجري في آن واحد ، إلا أن لكل مرحلة غرضاً متميزاً عن غرض المرحلة الأخرى ، فكان غرض المرحلة الأولى هو جمع اللغة والمحافظة عليها من الدخيل ، وغرض المرحلة الثانية هو وضع القواعد النحوية واللغوية ليتجنب الناطقون بالعربية اللحن ، وغرض المرحلة الثالثة هو بيان عظمة هذه اللغة ، ومعرفة أسرارها .

ولعل أول استقراء في النحو يقع بين أيدينا هو ذلك الاستقراء الذي ينسب للإمام علي (رضي الله عنه) فيما رواه عنه أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة (٦٩ هـ) حيث قال : « دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فرأيتته مطرقاً متفكراً ، فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ قال : إنني سمعت بيلدكم لحناً ، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية . فقلت : إن فعلت ذلك أحييتنا ، وبقيت فينا هذه اللغة ، ثم أتيت بعد ثلاث ، فأنتى إلي صحيفة ، فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم . الكلام كلاًه : اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف

(٦) الكتاب (لبيبه) ١/٢٦٧، ١١٧ .

(٧) كتاب الأصول في النحو لأبي بكر بن السراج ، ١/٢٧ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

ما أنبأ عن معنى ليس باسم ، ولا فعل ، ، ثم قال لي : تتبعه وزِدْ فيه ما وقع لك (٨) .

وفي قول الإمام عليّ لأبي الأسود : (تبعه) إشارة لطيفة إلى المنهج الاستراتيجي الذي ينبغي أن يسلكه النحوي ؛ لأن الاستقراء إنما هو التبع (٩) .

وكان لهذا الاستقراء الذي نقله أبو الأسود عن الإمام عليّ أثر واضح في جُلِّ المصنفات النحوية ، فقد افتتحت فصولها بتسجيل هذه النتيجة الاستراتيجية المتصلة بأنواع الكلم العربي . فسيويه مثلاً بدأ كتابه القيم بقوله : « هذا باب علم ما الكلم من العربية ، فالكلم : اسم وفعل وحرف ، جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل » (١٠) . ثمَّ تحدّث عن هذه الأنواع الثلاثة حديثاً اعتمد فيه على الوصف والتمثيل فقال : « فالاسم : رجل وفرس وحائط ، وأما الفعل : فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبُنِيَتْ لما مضى ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع . فأمّا بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث ، وحمد ، وأمّا بناء ما لم يقع ، فانه قولك أميراً : إذهب ، واقتل ، واضرب . ومخبراً : يقتل ، ويذهب ، ويضرب ، ويقتل ، ويضرب . وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن ، اذا أخبرت ، ... ، وأمّا ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل ، فنحو : ثمَّ ، وسوف ، وواو القسم ، ولام الإضافة ، ونحو هذا » (١١) .

(٨) الأشباه والنظائر في النحو ليربلي ١ / ٧ ، وأمالٍ الزجاجي ٢٧٨ ، وانظر مقدمة ابن خلدون ٥٤٦ .

(٩) لسان العرب (قرأ) .

(١٠) الكتاب ٢/١ وانظر المختضب للبرد ٣/١ ، وكتاب الأصول في النحو ٣٨/١ ، واللع في العربية لابن جني ٥١ وشرح المفصل لابن يعيش ١٨/١ ، وشرح الكافية للرضي ٦/١ .

(١١) الكتاب ٢/١ .

ولم يكتف النحاة الذين جازوا بعد سيويه باستقراء أنواع الكلم ، بل تجاوزوا ذلك إلى استقراء علامات كل نوع من أنواع تلكم الكلم ، اضعوا بين يدي الدارسين مقاييس وضوابط يستطيعون بها التفريق بين تلك الأنواع . وقد دعاهم ذلك إلى تتبع كلام العرب في مظانته المختلفة ، ورصد سمات كل نوع من أنواعه ، فوضعوا ضوابط في غاية السداد ، يرت للدارسين معرفة كل صنف من أصناف المفردات العربية ، فرسموا للاسم علامات تميزه عن قسميه : الفعل والحرف ، وتبعوا علامات الفعل التي تفرق بينه وبين الاسم والحرف ، وحصروا علامة الحرف بكونه لا يقبل أية علامة من علامات الأسماء أو الأفعال (١٢) .

وإن تتبع النحاة علامات الاسم يمثل جانباً واضحاً في عملهم القائم على الاستقراء . وإذا كان ابن مالك قد حصرها في ألفيته بخمس علامات حين قال :

بالجر والتنوين والندا وأل ومسنَد الاسم تمييز حصل (١٣)

فإنما أراد أن يشير بذلك إلى أهم تلك العلامات ، فقد تتبع غيره من النحاة هذه العلامات فأوصاها إلى أكثر من ثلاثين علامة ، قال السيوطي : « تتبعنا جميع ما ذكره الناس من علامات الاسم ، فوجدناها فرق ثلاثين علامة » (١٤) .

وهذا السبع كله قائم على استقراء أوضاع الاسم في الكلام ، ومن ثم الكشف عن سماته ، وما يميزه عن غيره من الكلم ، بعيداً عن التأثير بالمنطق أو غيره من العلوم ، لأنه قائم على الرصف والملاحظة .

(١٢) السمع في العربية ٤٥ ، وشرح عبدة الخانظ وعدة اللانظ لابن مالك ١٠٦ ، ووضح المسالك لابن هشام ٢٠/١ وجمع الهوامع للسيوطي ٩/١ .

(١٣) شرح ابن عقيل .

(١٤) الأشباه والنظائر في النحو ٤/٢ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

وقد أدرك النحاة قيمة الاستقراء ، وهم يسجلون ضوابط اللغة وقواعدها ، فنصوا عليه ، وجعلوه دليلاً قاطعاً على إثبات تلك القواعد والضوابط . وخير مثال على ذلك ، ما أورده السيوطي ، وهو يتحدث عن أدلة النحاة التي عولوا عليها في حصرهم أنواع الكلم بالاسم والفعل والحرف ، فذكر : أن الاستقراء من أئمة النحور واللغة كأبي عمرو والخليل وسيبويه ومن جاء بعدهم ، قد دلّ على أن كلام العرب منحصر في هذه الأنواع الثلاثة (١٥) .

ولا يخدش هذا الاستقراء زعم من زعم أن الكلم العربي يقسم أربعة أقسام : اسم وفعل وحرف وخالفة ، ويعني بالخالفة اسم الفاعل . وقد نسب هذا التقسيم إلى نحويٍّ مغمور ، لم ترود له كتب النحو إلاّ هذا الرأي ، وهو أبو جعفر أحمد بن صابر (١٦) ، وليس له ترجمة ذات بال ، فيما وصل إلينا من كتب التراجم (١٧) .

والنحاة لم يغفلوا هذا الشرع من الكلم الذي سماه ابن صابر بالخالفة ، بل تنبهوا له ، ولكنهم اختلفوا فيه ، فعده البصريون ضمن الأسماء (١٨) ، وأدرجه الكوفيون ضمن الأفعال (١٩) ، واكتل منهم حجته التي عول عليها في ذلك .

(١٥) الأشباه والنظائر في النحو ٢/٢ ، ومعجم الهوامع ٤/١ .

(١٦) الأشباه والنظائر في النحو ٢/٢ ، ومعجم الهوامع ١٠٥/٢ ، وحاشية الصبان ٢٣/١ .

(١٧) بنية الوعاة ٣١١/١ .

(١٨) الكتاب ١٢٢/١ ، ١٢٣ ، وكتاب الأصول في النحو ١٦٧/١ .

(١٩) التصريح على التوضيح ١٩٥/٢ ، وانظر مدرسة الكوفة لمنزومي ٣٠٨ وأقسام الكلام

العربي قدكتور ناضل الساتي ٩٣ .

الاستقراء في النحو

وذهب باحث معاصر إلى وضع تقسيم جديد لأنواع الكلم العربي فجعلها سبعة أقسام ، هي :

- ١ - الاسم ، ٢ - الفعل ، ٣ - الصفة ، ٤ - المخالفة ، ٥ - الضمير ، ٦ - الظرف ، ٧ - الأداة (٢٠) .

وكان غرض هذا الباحث نقض استقراء النحاة أنواع الكلم العربي ، وقد حاكى في ذلك مذهب بعض الباحثين المحدثين ، ممن تأثروا بالدراسات اللغوية الغربية (٢١) . وهما كانت حجته مقبولة أو غير مقبولة ، فانه لن يستطيع هو أو غيره أن يمحو من أذهان الدارسين التقسيم الثلاثي للكلم العربي ، الذي وضعه النحاة منذ النشأة الأولى للدراسات النحوية ، لأنه تقسيم سديد ، حصر فيه النحاة جميع المفردات العربية في إطار ذلك التقسيم .

وإن المصطلحات التي وردت في تقسيم هذا الباحث ، لم يغفل عنها علماء العربية ، فقد تنبهوا لها منذ البداية الأولى للبحث النحوي ، ونصوا عليها في كتبهم ، واكتهم أدركوا منذ الرحلة الأولى أن هناك علاقة وثيقة بين كثير من هذه الأقسام . فالصفة والضمير والظرف ، إنما هي أنداط مختلفة الاسم ، فهي لا تخرج عن نطاقه ومضمونه ، فالضمير مثلاً كناية عن متكلم أو مخاطب (٢١) أو غائب (٢٢) ، وكل من المتكلم والمخاطب والغائب اسم ، وقد جيء بهذه الكنايات إيجازاً واختصاراً ، ودفعاً للتكرار ، ورفعاً للالتباس (٢٣) ، فقولنا مثلاً : جاء محمد فأكرمه ، وردت فيه

(٢٠) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ٢٦ .

(٢١) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ٢٦ .

(٢٢) شرح المقدمة المحببة لابن بابشاذ ١٤٢/١ .

(٢٣) شرح الكافية ٣/٢ ، والمرئجل لابن الخشاب ٢٧٨ - ٢٧٩ ، وكتاب المقصد في شرح

الايضاح ٩٢٠/٢ - ٩٢١ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

كنايتان ، الأولى : (التاء) وهي كناية عن المتكلم ، والمتكلم ذات ، والذات اسم ، والكناية الثانية : هي (الهاء) ، وقد جاءت كناية عن (محمد) المذكور دفعاً للتكرار ، ورفعاً للالتباس الذي قد يحصل من الاشتراك العائق في الأعلام ، إذ لو قلنا : « جاء محمد فأكرمت محمداً » ، يحتمل أن يكون المقصود بمحمد الثاني غير محمد الأول ، بسبب الاشتراك الوارد في الأعلام ، فلما عبرنا بالضمير كناية عنه ، زال ذلك اللبس (٢٤) ، ولما كان (محمد) اسماً بلا خلاف ، فكل ما كُنِّي به عنه اسم مثله (٥٥) ، وهذا يسري على جميع الضمائر في صورها المختلفة .

والصفة اسم ، لأنها تدل على معنى غير مرتبط بزمن محصل ، ويسوغ أن تدخل عليها علامات الاسم ، مثل الجر والتنوين وأل ، وتضاف الى غيرها كما تضاف الأسماء .

وكذلك الظرف اسم ، لأنه يدل على معنى غير مرتبط بزمن محصل ، ويقبل علامات الاسم ، ومنها ما يتصرف في الكلام تصرف الأسماء ، مثل : يوم وسنة وحين (٢٦) .

والنحاة القدامى حينما صنفوا المفردات العربية الى ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف ، نظروا اليها من جهتين ، جهة تتعلق باللفظ ، وجهة تتعلق بالمعنى ، وكانوا كثيراً ما يغلبون اللفظ على المعنى في تقسيمهم المفردات العربية (٢٧) ، فربما اشتركت كلمتان في الدلالة على معنى واحد ، واكنهم يدرجون إحدى هاتين الكلمتين في الأفعال ، ويدرجون الأخرى في الحروف

(٢٤) المرتجل في شرح الجبل ، لابن الخشاب ، ٢٧٨ .

(٢٥) المسائل المنكرات ٧٣ ، وكتاب المقصد في شرح الايضاح ٩٢٢/٢ .

(٢٦) الموجز في النحو لابن السراج ٣٦ ، والمرتجل في شرح الجبل ، ١٥٨ ، والتسهيل لابن مالك ٩١ .

(٢٧) شرح الكافية للرشي ٦٦/٢ .

لسبب يتعلق باللفظ (٢٨) . فمثلا كل من (ليس) و (ما) تفيدان نفي الحال (٢٩) ، والنفي فيهما يتسلط على خبر الجملة الاسمية ، ولكنهم جعلوا (ما) ضمن الحروف ، وجعلوا (ليس) ضمن الأفعال . والذي دعاهم إلى هذا التفريق أمر يتعلق باللفظ ، فقد وجدوا (ليس) قد أشبهت الأفعال في قبولها علامات لا تتصل إلا بالأفعال ، مثل : ضمائر الرفع المتصلة (٣٠) . أما لفظة (ما) فقد وجدوها لا تقبل أي علامة من علامات الأفعال أو الأسماء ، ومن هنا حكم جمهور النحاة على (ليس) بأنها فعل ، وعلى (ما) بأنها حرف . والذي جعلهم يصدر عن هذا الحكم أمر قائم على استقراء علامات الفعل ، وهذه العلامات جعلها متعلقة باللفظ (٣١) . ولولا هذا الفرق في اللفظ بين (ليس) و (ما) ، لو ضعوا (ليس) في الحروف لأنها أشبهت (ما) من جهة المعنى ، فهي تفيد نفي خبر الجملة الاسمية . كما أن (ما) تفيد ذلك (٣٢) ، والأصل في النفي أن يكون بالحروف ، لأنه معنى من المعاني التي تعبر عنها العرب بالحروف (٣٣) ، مثل : النهي والايجاب والتمني والترجي والعرش والتحفيز ، والتعبير عن هذه المعاني إنما جاء في العربية بالحروف ، ومن هنا سموا هذه الحروف « حروف المعاني » (٣٤) . ومما يقوي هذا أن (ليس) قد جاءت قليلاً في بعض كلام العرب في معنى (لا) ، فدخلت على الجملة الفعلية التي كان حقها أن تنفي بالحرف (ما) ،

(٢٨) الفوائد النحوية للجامي ١١٢/٢ .

(٢٩) أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ١٤٢ ، وكتاب الحلال في إصلاح الخلل

من كتاب الجمل لابن السيد البطليوسي ١٦٢ .

(٣٠) المرتجل ١٢٦ ، ومع المواضع ١٠/١ .

(٣١) أسرار العربية ١١ ، والمرتجل ١٥ - ٢٠ .

(٣٢) أسرار العربية ١٤٣ ومع المواضع ١٠/١ .

(٣٣) شرح الكافية لقرني ٢٩/٢ ، والمرتجل ٢٣ .

(٣٤) الايضاح في علل النحو ٥٤ ، والأشياء والنظائر في النحو ١٠/٢ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

قال سيويه : « وقد زعموا أن بعضهم يجعل (ليس) كـ (ما) ، وذلك قليل ، لا يكاد يُعرف ، فقد يجوز أن يكون منه : ليس خلق الله مثله أشعر منه ، وليس قالوا زيد » (٣٥) .

وربما اختلف النحاة في تحديد نوع المفرد العربي ، فذهب فريق منهم إلى أنه فعل ، وذهب فريق آخر إلى أنه اسم ، وكانوا كثيراً ما يعتمدون على الاستقراء في إثبات صحة رأيهم ، فقد اختلفوا مثلاً في تحديد نوع كل من (نعم) و (بش) ، فذهب البصريون إلى أنهما : فعلان ، وذهب الكوفيون إلى أنهما : اسمان ، وكان دليل كلٍ منهما في ذلك هو استقراءهم العلامات التي تميز الفعل والاسم ، والتي ثبت اتصالها بهذين اللفظين ، فقد وجد الكوفيون حرف الجر قد دخل على هذين اللفظين ، إذ جاء في بعض كلام العرب أنهم قالوا : « نعم البير على بش العير » (٣٧) ، ونقل عن عن أحدهم أنه قال : « ما هي بنعم الولد » ، وذلك بعد ما بُشِّرَ بموارد أنثى (٣٨) ، فلو كانت (نعم) و (بش) فعلين ، لما صح دخول حرف الجر عليهما (٣٩) ، فقد ثبت بالاستقراء أنها لا تدخل إلا على الأسماء .

ولم ينكر البصريون رواية مثل هذه الأقوال التي ورد فيها حرف الجر داخلاً على (نعم) و (بش) ، إلا أنهم لم يعتمدوها في تقرير اسمية هذين اللفظين ، وذلك لأنهم وجدوا بالتبع والاستقراء أن حرف الجر قد دخل على لفظ لم يختلف أحد في فعليته ، وذلك اللفظ هو : (نام) في قول الشاعر :
والله ما لي لي بنامٍ صاحبه ولا مخالطٍ اللبانِ جانبه (٤٠)

(٣٥) الكتاب ٧٣/١

(٣٦) أسرار العربية ٩٦ ، وشرح الكافية القرني ٣١٢/٢ وجمع الهوامع ٨٤/٢ .

(٣٧) شرح جبل الزجاجي لابن عصفور ٥٩٨/١ .

(٣٨) شرح جبل الزجاجي لابن عصفور وشرح المفصل ١٢٨/٧ .

(٣٩) الإنصات في مسائل الخلاف ٩٧/١ .

(٤٠) أسرار العربية ٩٩ ، وشرح الجبل لابن عصفور ٥٩٩/١ .

وإذا كان الكوفيون يقولون باسمية (نعم وبش) لدخول حرف الجر عليهما ، فالقياس يقضي عليهما بأن يقولوا أيضاً باسمية (نام) لدخول حرف الجر عليها ، وأنتى لم أن يقولوا ذلك ، وكل المقاييس اللغوية تقرر فعلية هذا اللفظ ؟ ومن هنا تكون حجة الكوفيين ساقطة ؛ لأنها اعتمدت على استقراء ناقص . أما البصريون ، فقد استدلوا على فعلية هذين اللفظين بدخول تاء التانيث الساكنة عليهما (٤١) ، في مثل قولنا : « نعت الفتاة هند » ، و « بست الخصلة الكذب » . وقد ثبت بالاستقراء أن هذه التاء لا تدخل على الأسماء ، وإنما تدخل على الأفعال المسندة الى مؤنث (٤٢) .

وأما تفسير دخول حروف الجر على هذه الأفعال ، فهو أن هذه الحروف لم تدخل عليها في الحقيقة ، وإن جاءت متصلة بألفاظها (٤٣) ، فهي في حقيقة الأمر وأصله داخلة على أسماء جاءت هذه الأفعال أوصافاً لها ، فلما حذفت تلك الأسماء ، دخلت حروف الجر على هذه الأفعال (٤٤) ، والعرب قد تحذف الموصوف وتقيم الصفة مقامه ، وهذا ثابت بالاستقراء ، وعليه جاء قوله تعالى « أن اعمل سابغات وقدر في السرد » (٤٤) . والمعنى أن اعمل دروعاً سابغات ، فحذف الموصوف ، وقيمت الصفة مقامه . وعلى هذا يكون الأصل في : « نعم السير على بش العير » هو : « نعم السير على عير مقول فيها : بش العير » ، والأصل في : « مالي بنيام صاحبه »

(٤١) الانصاف في مسائل الخلاف ١٠٤/١ وشرح المقدمة المحبة ٢٨٢/٢ وشرح الكافية للرضي ٣١٢/٢

(٤٢) الفوائد الفسيائية للجامي ٢٣٠/٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/٧

(٤٣) اسرار العربية لأبي البركات الانباري ١٠١

(٤٣) شرح الجمل لابن عصفور ٥٩٩/١ .

(٤٤) سبأ / ١١ ، وانظر امرب القرآن شحاس ٦٥٨/٢ وكتاب اسرار العربية لأبي البركات الانباري ١٠٠ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

هو : « ما ليلي بليلٍ نامَ صاحبه » (٤٥) ، فلما حذف الاسم الموصوف ، دخل حرف الجر على لفظ الفعل (٤٦) .

ورُبَّ قائلٍ يقول : إن بعضاً مما استقراه النحاة ، قد جاء في كلام العرب ما ينقضه ، فمثلاً جعل النحاة أداة التعريف (أل) علامة خاصة بالأسماء ، ومعنى هذا أنه لا يجوز أن تدخل هذه العلامة على غير الأسماء ، ولكن ما جاء في كلام العرب قد ينقض قولهم هذا ، فقد وردت (أل) داخلة على الفعل في قول الفرزدق :
ما أنت بالحكم الترضى حكومتُهُ

ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجَدَل (٤٧)

نقد أدخل الشاعر (أل) على الفعل (ترضى) ، وظاهر هذا أنه يחדش في استقراء النحاة علامات الاسم .

والنحاة لم يغفلوا ذلك ، ولهذا نص كثير منهم عند تعرضهم للأداة (أل) في علامات الاسم على أن المقصود بها (أل) التي تفيد التعريف (٤٨) ، وهناك من النحاة من لم ينص على (أل) في علامات الاسم ، واستعاض عن ذلك بالنص على التعريف على أنه علامة من علامات الأسماء (٤٩) ، إذ لا يُعرَّفُ غيره (٥٠) . وهناك من النحاة من نصوا على حرف التعريف على أنه علامة من علامات الاسم ، ولم يصرحوا بذكر (أل) ، ومن فعل ذلك الزمخشري في الفصائل (٥١) .

(٤٥) شرح الجبل لابن عصفور ٩٩/١ والانصاف في مسائل الخلاف ١١٣/١ .

(٤٦) كتاب أسرار العربية ١٠١ .

(٤٧) خزائن الأدب لبغدادي ١٤/١ .

(٤٨) كتاب الأصول في النحو ٣٩/١ ، وشرح الكافية للرضي ١٣/١ .

(٤٩) شرح عمدة الحافظ وعدة الألفاظ لابن مالك ٩٦ - ٩٧ .

(٥٠) شرح المفصل لابن يعيش ٢٥/١ .

(٥١) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٢٤/١ .

وأما (أَل) التي جاءت متصلة بالفعل (تُرَضَى) في قول الفرزدق ، فهي (أَل) الموصولة ، ولم يكتسب منها الفعل أيّ تعريف ، وتختلف من حيث الوظيفة النحوية عن (أَل) التي تدخل على الأسماء النكرات ، لنتاها من التنكير إلى التعريف . وعلى هذا يلم استقراء النحاة من أيّ خدش أو نقض ، لأنهم خصوا (أَل) في علامات الأسماء بتلك التي تفيد التعريف (٥٢) .

وقد تتبع النحاة نظائر هذا الفعل مما دخلت عليه (أَل) فألفوها أفعالا قليلة ، هي : الجدع ، واليتقصع ، واليتبع ، واليروح ، والينذر ، واليري ، واليتعمل (٥٣) . وإن حصرهم هذه المواضع يشهد لهم بقوة الاستقراء ، والحرص على التبع ، ومن الواضح أنّ (أَل) هنا في معنى الذي (٥٤) ، فكأنهم أرادوا : الذي ترضى حكرته ، والذي يُجدع ، ويُتقصع ، ويتبع . ويروح ، وينذر ، ويرى ، ويتعمل (٥٥) .

ومما يسر دخول (أَل) على الفعل هنا هو كون الفعل مضارعاً ، وهذا مما يعزز قول النحاة : إن الفعل المضارع فيه شبه بالاسم ، وهذا الشبه هو الذي سوغ لابن مالك أن يجيز دخول (أَل) الموصولة على الفعل المضارع قليلاً في غير الضرورة ، ولكن جمهور النحاة لم يجوزوا ذلك ، وعدّوا ما ورد منه خاصاً بالشعر ، أباحت الضرورة (٥٧) ، بل ذهب بعضهم الى أنه من من أقبح الضرورات (٥٨) .

(٥٢) كتاب الأصول في النحو ٣٩/١ .

(٥٣) ليس في كلام العرب لابن خالويه ٧٠ ، والمائل العكريات ٧٢ ، وخزانة الأذوب ١٤/١ .

(٥٤) كتاب الأصول في النحو ٢٧٥/٢ ، وشرح المفصل ٢٥/١ .

(٥٥) ليس في كلام العرب ٧٠ ، وشرح الكافية للرضي ١٢/١ .

(٥٦) التسهيل ٣٤ ، وشرح عدة الحافظ وعدة اللافظ ٩٩ .

(٥٧) شرح الكافية للرضي ١٢/١ .

(٥٨) المقرب لابن عصفور ٦٠/١ ، ومع المواع ٨٥/١ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

ولم تدخل (أل) في كلام العرب على الفعل المضارع في غير الشعر ، كما لم ترد داخلة على غير المضارع في الشعر أو غيره .

لقد بذل النحاة جهداً عظيماً في تتبعهم كلام العرب ، وكان غرضهم حماية العربية ، والسعي إلى استمرارها ، ففرعوا إلى ضبطها بالقوانين المستقرة من كلام العرب (٥٩) . ولما كان شيوخ اللحن المتمثل في ضعف قدرة الناطقين بالعربية على ضبط أواخر الكلام هو الذي دعاهم إلى وضع علم النحو (٦٠) ، رأيتهم يسارعون إلى حصر مجاري أواخر الكلام في ثانيا التراكيب المختلفة ، ولم يكتفوا بحصر هذه المجاري ، بل عمدوا إلى استقراء أنواعها ، ومعرفة ما هو متغير منها وما هو ثابت . وقد هداهم منهجهم الوصفي القائم على التبع والاستقصاء إلى أن الكلام العربي يأتي في ثانيا التراكيب على نمطين : نمط ثابت آخره لا يتغير وإن تغيرت وظيفته في التركيب ، ونمط آخر يتغير آخره بتغير وظيفته في التركيب . وصموا الأول : مبنياً ، والثاني : مُعَرَّباً . ثم عمدوا إلى معرفة هذا التغير والثبوت وأنواع كل منهما ، وبنوا مقدمات كتبهم على الكشف عن هذه المسألة ، وكان سيوييه في مقدمة النحاة الذين قاموا بهذا الاستقراء ، فوضع باباً في مقدمة سيفره العظيم ، تناول فيه مجاري أواخر الكلام ، فقال : « هذا باب مجاري أواخر الكلام من العربية ، وهي تجري على ثمانية مجار ، على النصب والجرح والرفع والجزم والفتح والكسر والضم والوقف (٦١) ، وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب ، فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد ، والجرح والكسر ضرب واحد ، وكذلك ثمانية مجارٍ لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه

(٥٩) أنظر مقدمة ابن خلدون ٥٤٧ .

(٦٠) مراتب النحويين لأبي الطيب المنوي / ٥ ، وانظر إنباء الرواة على أنباء النحاة للنفطي

٤/١ - ٦ ، وطبقات النحويين والنحويين للزبيدي / ١١ ، ٢١ .

(٦١) يعني بالوقف البناء على الكون .

الاستقراء في النحو

الأربعة لما يُحدثُ فيه العامل ، وليس شيء منها إلاّ وهو يزول عنه ، وبين ما يبنى عليه الحرف (٦٢) بناء لا يزول عنه ، (٦٣) .

ونفهم مما أورده سيويه في هذا الباب أن للاعراب أربع حالات ، هي : الرفع والنصب والجر والجزم ، وأن للبناء أربع حالات أيضاً ، هي : الضم والفتح والسكرن والكر . وهذه الحقيقة النحوية هي حصيلة استقراء عام للكلام العربي في التراكيب المختلفة ، وهي حقيقة ثابتة مستقرة لم يطرأ عليها أيّ تغيير ، ولم يستطع أحد من العلماء الذين جاؤوا بعد سيويه أن يستدرك على ذلك شيئاً .

ولقد كانت البحوث المتصلة بالاعراب والبناء مدار الدراسة في كتب النحاة ، وعليها تمّ بناء أبواب الكتب النحوية المختلفة ، وكان للاستقراء أكبر الأثر في استخلاص النتائج التي توصلوا إليها فيما يتعلق بهذه القضية النحوية ، فقد تتبعوا مواطن الإعراب والبناء ، وبينوا ما يجيء من الكلم مُعرّباً ، وما يجيء منه مبنياً .

ولما كان الثابت بالاستقراء أن الغالب في الأسماء هو الاعراب ، قام النحاة بحصر الأسماء المبنية ، ثبت عندهم أنها لا تعدو هذه الأنواع السبعة (٦٤) ، ١ - الضمائر ، ٢ - أسماء الإشارة ، ٣ - الأسماء الموصولة ، ٤ - أسماء الاستفهام ، ٥ - أسماء الشرط ، ٦ - أسماء الأفعال والأصوات ، ٧ - قسم من الظروف ، مثل : إذ ، وإذا ، وحيث ، وأمس ، وقطّ ، وعروض .

(٦٢) يعني بالحرف هنا الكلمة سواء كانت اسماً أم فعلاً أم حرفاً .

(٦٣) الكتاب ٢/١ - ٣ .

(٦٤) شرح الكافية للرضي ٢/٢ - ١٢٦ وأرضح المسالك ٢٢/١ - ٢٤ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

وتبين لهم عن طريق الاستقراء أن بعضاً من فروع هذه الأنواع يأتي عربياً مثل صيغة التثنية في أسماء الإشارة (٦٥) والأسماء الموصولة (٦٦) ، ومثل (أي) شرطية واستفهامية وموصولة (٦٧) إلا في حالة واحدة من حالات أي الموصولة ، تكون فيها مبنية ، وذلك إذا جاءت مضافة لفظاً ، وحذف صدر صلتها (٦٨) ، ومنه قوله تعالى (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثِيًّا) (٦٩) بضم (أي) ، وهي مفعول به للتعلى « نزع » .

وهذاهم الاستقراء الى أن بعض القبائل العربية تُجري بعض الأسماء المبنية عند عامة العرب مجرى الأسماء المعربة ، فمثلاً الاسم الموصول (الدين) مبني عند عامة العرب ، إلا أن هذيلاً دون سائر العرب تُعربه إعراباً جمع المذكر السالم (٧٠) ، وعلى هذه اللغة جاء قول الشاعر :

نحن الذوّن صبحوا الصباحا
يوم النخيل غارة ملحاحا (٧١)

وثبت عندهم بالاستقراء أيضاً أن قسماً من الأسماء المعربة قد يطرأ عليه طاري فيبنى ، فاذا زال ذلك الطاري أعرب (٧٢) ، وسموا هذا النوع من

- (٦٥) أوضح المسالك لابن هشام ٢٢/١ وشرح الأشونى ٥٥/١ ومع المواع ١٧/١ .
(٦٦) أوضح المسالك لابن هشام ٢٤/١ ، ومع المواع ٨٣/١ .
(٦٧) الكتاب ٣٩٧/١ - ٣٩٨ ، وشرح المفصل ١٤٥/٣ ، و٢١/٤ ومع المواع ١٦/١ .
(٦٨) شرح الكافية للرضي ٥٦/٢ ، الكتاب ٣٩٨/١ ، ومع المواع ٩١/١ .
(٦٩) مريم ٦٩/١ وانظر خلاف الخليل ويونس وسيويه في توجيه (اي) الكتاب ٣٩٧/١ - ٣٩٨ . والأشباه والنظائر للسيوطي ١٦/٢ - ١٧ وكتاب أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ٣٨٣ .
(٧٠) شرح الكافية للرضي ٤٠/٢ ومع المواع ٨٣/١ .
(٧١) مع المواع ٨٣/١ ، وانظر الدور المواع شواهد مع المواع ٣٦/١ ، ونسب لأبي حرب الأعلم ، وقيل ليل الاشيلية . وخزانة الأدب ٥٠٦/٢ ونسب البغدادى لأبي حرب الأعلم وهو شاعر جاهلي .
(٧٢) كتاب شرح المقتصد ١٥١/١ .

البناء البناء العارض أو الطاري (٧٣) . وقد تتبع النحاة هذا النوع من الأسماء ،
فحصروها في المنادى المفرد المعرفة ، مثل يا زيد ، ويا رجل (٧٤) :
والظروف المركبة نحو « صباح مساء » و « بين بين » (٧٥) ، والأعداد
المركبة من « أحد عشر » إلى « تسعة عشر » (٧٦) عدا صيغة « اثني عشر »
فإنها معربة (٧٧) ، والظروف المقطوعة الإضافة ، مثل : « قبل وبعد » ،
وعلى هذا جاء قوله تعالى : (لَقَدْ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) (٧٨) ،
وبعض الأسماء المبهمة المقطوعة عن الإضافة ، مثل « غير وحشيب » (٧٩) ،
والأحوال المركبة ، نحو : « شذر مذر » و « بيت بيت » ، في مثل
قولنا : « تفرقوا شذر مذر » ، و « هو جاري بيت بيت » (٨٠) ،
واسم (لا) النافية للجنس في مثل قولنا : « لا رجل في الدار » (٨١) .

وثبت عندهم بالتبع والاستقراء أيضاً أن بعض الأسماء المعربة إذا أضيف
إلى الجملة جاز فيه البناء والإعراب ، مثل « يوم » و « حين » ، وعلى هذا جاء
قول الشاعر :

على حين عابت المشيب على الصبا قلت : ألما أصح والشيب زاع (٨٢)

-
- (٧٣) الجمل لمبدئاً فاعل الجرجاني ١١ ، والمرئجل ١٠٦ - ١٠٧ .
(٧٤) أسرار العربية ٢٢٦ ، والمقتصد في شرح الإيضاح ١٢٧/١ .
(٧٥) شرح المنفصل ١١٨/٣ .
(٧٦) شرح الكافية ٨٧/٢ .
(٧٧) شرح المنفصل ١١٧/٤ وشرح الكافية ٨٨/٢ شرح الجمل ٣٣/٢ .
(٧٨) الروم / ٤ وانظر شرح الكافية لقرني ٢٩٢/١ .
(٧٩) شرح الكافية ٢٩٢/١ ، ١٠٢/٢ - ١٠٣ .
(٨٠) مع الهوامع ٢٤٩/١ .
(٨١) الكتاب ٣٤٥/١ وشرح المقدمة ٢٧٧/١ ، شرح الجمل ٩٤/٢ .
(٨٢) شرح المنفصل لابن يعيش ٩١/١٤ واليت للناطقة الذبياني انظر الكتاب ٣٦٩/١ ومع
الهوامع ١١٨/١ شرح الكافية ١٠٦/٢ - ١٠٧ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

فقد جاءت الرواية بفتح ثون (حين) على البناء ، وبجرها على الإعراب الذي هو الأصل فيها (٨٣) .

واستقروا الأسماء المعربة ، فبين لهم أن قسماً منها يقبل التنوين ، إذا كان مجرداً من (أل) والإضافة ، ويجر بالكسرة سواء أكان مضافاً أو محلى بـ (أل) ، أم كان مجرداً من (أل) والإضافة ، وأن قسماً آخر لا يقبل التنوين في اختيار الكلام ، ولا يُجر بالكسرة ، ما لم يكن مضافاً ، أو محلى بـ (أل) (٨٤) ، وسموا القسم الأول : المنصرف ، وسموا القسم الثاني : الممنوع من الصرف (٨٥) .

وتبين لهم عن طريق الاستقراء أن الغالب في الأسماء الصرف ، فقرروا أن الأصل في الأسماء هو الصرف (٨٦) ، ثم طفقوا يتبعون الأسماء الممنوعة من الصرف ، فوضعوا لها ضوابط استقروها من كلام العرب ، واستطاعوا أن يحصروا أسباب المنع من الصرف ، وسموا كل سبب علة ، واجتمعت عندهم تسع علل ، وهي : ١ - تعريف العلمية ، ٢ - التأنيث ، ٣ - وزن الفعل ، ٤ - العدل ، ٥ - العجمة ، ٦ - التركيب المزجي ، ٧ - زيادة الألف والنون ، ٨ - الوصفية ، ٩ - صيغة متتهى الجموع (٨٧) .

وثبت عندهم بالتبع والاستقصاء أن الاسم لا يمنع من الصرف إلا إذا كانت فيه علل من هذه العلال التسع ، أو فيه علة واحدة تقوم مقام علتين ، وحددوا العلة التي تقوم مقام علتين بألف التأنيث الممدودة أو المقصورة ، وبصيغة متتهى الجموع (٨٨) ، أما في غير هاتين الحالتين ، فلا يمنع الاسم من

(٨٣) الدرر اللوامع ١/١٨٧ .

(٨٤) أسرار العربية ٣١٣ ، شرح الجمل ٢/٢٠٥ الفوائد الضيائية ١/٢٥٠ .

(٨٥) شرح المقدمة المحبة ١/١٠٧ شرح الجمل لابن عصفور ٢/٢٢١ .

(٨٦) أسرار العربية ٣٠٨ وشرح الكافية ١/٦١ ، والفوائد الضيائية ١/٢٥٠ .

(٨٧) المختصر ٢/٩٦٣ .

(٨٨) الفوائد الضيائية لجبلي ١/٢٠٨ ، و٢١٣ وأسرار العربية ٣١١ - ٣١٢ .

الاستقراء في النحو

الصرف إلا إذا اجتمعت فيه علتان من العلل التسع المذكورة ، فمثلاً تعريف العلمية وحده لا يمنع الاسم من الصرف إلا إذا انضمت إليه علة أخرى ، مثل : التانيث ، أو وزن الفعل ، أو العدل ، أو العجمة ، أو التركيب المزجي ، أو زيادة الألف والنون (٨٩) ، ولهذا صرف مثل « محمد ، وزيد ، وخالد ، وسعيد » ومنع من الصرف مثل : « فاطمة ، وأحمد ، وعمر ، وإبراهيم ، ومعد يكرب ، وعثمان » .

وعلى هدى من هذا الاستقراء الذي أجروه في الأسماء ، قسموها ثلاثة أقسام ، وهي :

١ - أسماء عربية منصرفة ، وسموا الاسم الذي يقع ضمن هذا النوع بـ (المتمكن الأمكن) . وقد ثبت عندهم بالاستقراء أن هذا النوع يضم الجمهرة الكبيرة من الأسماء ، لهذا لم يقوموا بحصره أو إحصائه ، وجعلوا له المرتبة الأولى بين الأسماء .

٢ - أسماء عربية غير منصرفة ، وسموا هذا النوع بـ (المتمكن غير الأمكن) ، وجعلوا له المرتبة الثانية بين الأسماء . ولما كان هذا النوع من الأسماء يقع تحت الحصر ، قام النحاة بوضع ضوابط له ، استقروها من كلام العرب ، يستطيع أي ناطق بالعربية أن يُلِمَّ بها ، ويجعلها مقياساً يضبط به هذا النوع ، وعقدوا لذلك باب المنوع من الصرف ، أبانوا فيه أسباب المنع من الصرف ، وجاؤوا بأحكام استقرائية في غاية الصدق والتداد .

٣ - أسماء مبنية ، لا يخلطها الإعراب ، ولا التنوين ، وسموا هذا النوع بـ (غير المتمكن) (٩٠) ، ويأتي هذا النمط من الأسماء في المرتبة

(٨٩) شرح المقدمة المحبة ١٠٧/١ .

(٩٠) المقصد ١١٣/١ - ١١٧ وشرح المفصل لابن عيش ٥٦/١ - ٥٧ . أوضح المسالك

٢٢/١ ، الكتاب ٣/١ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

الثالثة ، لأن نسبته في الأسماء قليلة ، إذا ما قيست بالأسماء المعربة ، المنصرفة وغير المنصرفة ، ولهذا قام النحاة بحصر هذا النوع ، وعقدوا له (باب المبني) ، وحصروا فيه أنواع الأسماء المبنية وأحوال بنائها .

إن جميع هذه الأحكام التي تتصل بالأسماء المعربة المنصرفة وغير المنصرفة ، وبالأسماء المبنية سواء أكان بناؤها لازماً أم عارضاً ، واجباً أم جائزاً ، قد توصل إليها النحاة عن طريق الاستقراء ، بعيداً عن التأثر بالفلسفة أو المنطق أو العلوم الكلامية الأخرى . وقد جاءت أحكام هذه الأبواب في غاية السداد ، ولم يستطع أحد من الباحثين المحدثين أن يستدرك عليها شيئاً .

وتتبع النحاة مواضع الاسم في الكلام ، فحصروا المواضع التي يرفع فيها ، والمواضع التي ينصب فيها أو يجر . وعقدوا لذلك مختلف الأبواب النحوية ، مثل : باب المبتدأ والخبر ، ونواسخ الابتداء . والفاعل ونائب الفاعل ، وأبراب المنصوبات مثل : المنعولات الخمسة ، وباب الاستثناء ، والحال ، والتمييز ، والنداء ، والاستغاثة والتدبة ، والاختصاص والتحذير والإغراء . ثم عرجوا إلى مجرورات الأسماء ، فحصروها في باب الجر بالحروف والجر بالإضافة . ووجدوا أن قسماً من الأسماء يكرن تابعاً لغيره في إعرابه ، فعقدوا لذلك باب التوابع . وكان رائدهم في ذلك كاه الاستقراء ، وتتبع كلام العرب في مظهراته المختلفة من قرآن وأحاديث نبوية وأمثال وحكم وشعر ونثر .

وقاموا باستقراء الأفعال : أنواعها ، وأحوالها ، فثبت عندهم أنها تأتي في العربية على ثلاث صيغ ، ومثلوا لهذه الصيغ بـ (فعل) (يفعل) (انفع) ، وسموا الأولى (الفعل الماضي) ، والثانية (الفعل المضارع) ، أو فعل الحال والاستقبال) والثالثة (فعل الأمر) (٩١) ، ووجدوا أن الجمهرة الكبيرة من

(٩١) أسرار العربية ٣١٥ ، ٢٤١ - ٢٥٠ .

الاستقراء في النحو

الأفعال يجري تصرفها على هذه الأمثلة الثلاثة ، فلم يقوموا بحصرها ، وسموها الأفعال المتصرفة (٩٢) ، ووجدوا أن قسماً من هذه الأفعال المتصرفة لا تتصرف تصرفاً تاماً ، بل يأتي تصرفها ناقصاً ، فقاموا بحصرها ، مثل : مازال ، ولازال ، وما برح وما يبرح ، وما انفك وما ينفك ، وما تئى وما يئى ، ووجدوا أن هناك نوعاً ثالثاً من الأفعال يلزم صنيعة واحدة ، وسموا هذا النوع بالأفعال الجامدة ، وقاموا بحصرها ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : بش ونعم وحبذا ، رعى ، وفعلى التعجب ، ما أفعلته وأفعل به ، وقولم : تبارك الله ، وما ينبغي لك أن تفعل كذا ، وتعلم ، بمعنى اعلم ، وهلم في لغة بني تميم (٩٣) .

وقاموا باستقراء الأفعال من حيث الاعراب والبناء ، فتبين لهم أن قسماً منها معرب ، وقسماً منها مبني ، فالماضي مبني بالاتفاق ، والمضارع معرب بالاتفاق ايضاً ، أما الأمر فقد اختلفوا فيه ، فذهب البصريون الى أنه مبني ، وذهب الكوفيون الى أنه معرب (٩٤) ، ولا أريد أن اعرض لخلافهم هذا ، لأن أدانهم فيه لا تنحصر بالاستقراء فقط . وسأقف عند ما اتفقوا عليه في باب المعرب من الأفعال ، وهو : المضارع ، واعرابه ثابت بالاستقراء ، لأن آخره يتغير بتغير العوامل المؤثرة فيه ، فيأتي مرفوعاً ، نحو : هو يضرب ، ومنصوباً ، نحو : لن يضرب ، ومجزوياً ، نحو : لم يضرب . فتجعل له ثلاثة أوجه من الاختلاف ، كما كان ذلك في الأسماء المعرفة ، نحو : جاءني زيد ، ورأيت زيدا ، ومررت بزيد (٩٥) .

(٩٢) شرح المقدمة المحيية ٢٠٥/١ ومعجم المراجع ٨٣/٢ .

(٩٣) معجم المراجع ٨٣/٢ - ٨٤ ، المختصر ٣٥٥/١ .

(٩٤) الانصاف في مسائل الخلاف ٥٢٤/٢ وأسرار العربية ، ومسائل خلافة في النحو

العكبري ١٢٤ .

(٩٥) المختصر ١٠٨/١ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

والنحاة كلهم مجمعون على إعراب الفعل المضارع (٩٦) ، على اختلاف مذاهبهم وأصقاعهم وعصورهم ، إلا أن باحثاً معاصراً ذهب مذهباً خالف فيه إجماع النحاة ، المستند إلى الاستقراء ، فحكم على المضارع بأنه مبني . وحصر الإعراب بالأسماء فقال : « أما المرب : فهو الاسم ، وأما المبني : فهو الفعل بجميع أقسامه » (٩٧) .

وقد شبه هذا الباحث تغيير حركات آخر الفعل المضارع بتغير حركات آخر الماضي ، فقال : « وأكبر الظن أن اختلاف أواخر الأفعال المضارعة ... لا يعني إعرابه ، لأن هذه الأوجه المختلفة إنما جاءت لتشير إلى معانٍ غير إعرابية تعاقبت عليه ، وتعاقب الحركات على آخر الفعل المضارع كتعاقبها على آخر الفعل الماضي ، فإنه يفتح آخره ، نحو : كتب ، ويضم نحو : كتبوا ، ويسكن نحو : كتبتُ ، ولم يقل أحد من النحاة إنه معرب ، وكتعاقبها في (حيث) وأشباهها ، وحيث هذه تبني على الضم والفتح والكسر ، وقد رويت الأوجه الثلاثة كلها ، رواها الكسائي وغيره ، ولم يقل أحد إنها معربة (٩٨) .

وأعتقد أن قياس تغير حركات آخر الفعل المضارع على تغير حركات آخر الماضي ، وآخر الظرف (حيث) أمر بعيد ، فتغير آخر الظرف (حيث) لا يسكن أن يقاس على تغير آخر الفعل المضارع ، فحيث ظرف مبني على الضم هذا هو الذي عليه أكثر كلام العرب ، وقد وردت في القرآن الكريم مبنية على الضم في المواضع التي وردت فيها كلها (٩٩) ، ولم ترد فيها أي قراءة

(٩٦) في النحو العربي نقد وتوجيه ، للدكتور مهدي المخزومي ١٢٩ .

(٩٧) في النحو العربي قواعد وتطبيق للدكتور مهدي المخزومي ٧٩ ، وانظر بحثي الموسوم بـ الفعل المضارع صيغه وأعرابه ، المنشور في مجلة آداب التنصيرية الجزء الأول سنة ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٩٨) في النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي ١٢٣ .

(٩٩) المعجم المفهرس ٢٢١ - ٢٢٢ ، وانظر بحثي الموسوم بـ (الفعل المضارع صيغه وأعرابه =

بالفتح ، وإن وردت قراءة واحدة بالكسر ، وذلك في قواه تعالى :
(سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) (١٠٠) ، وقد أجمع النحاة على
أن فتح (حيث) وكسرها ، مسألة تتصل باختلاف لغات العرب ، قال
السيوطي : « من الظروف المبنية حيث ... و بُنِيَتْ على الضم ... ومن العرب
من بناها على الفتح طلباً للتخفيف ، ومنهم من بناها على الكسر على أصل
التقاء الساكنين » (١٠١) .

فتغير آخر (حيث) إذن مرتبط باختلاف لغات العرب ، فالقبيلة التي
تضمها غير القبيلة التي تكسرها أو تفتحها ، والقبيلة التي تفتحها غير القبيلة
التي تكسرها أو تضمها . أما تغير آخر المضارع بتغير العوامل الداخلة عليه ،
فأمر تشترك فيه عامة العرب ، وليس لغة خاصة بقوم منهم ، وعلى هذا
يسقط حمل تغير آخر الفعل المضارع على تغير آخر (حيث) .

أما قياس تغير حركات آخر الفعل المضارع على تغير حركات آخر
الماضي ، فأمر في غاية البعد أيضاً ؛ وذلك لأن تغير آخره مرتبط بأمور صوتية ،
فاتصاه مثلاً بواو الجماعة أوجب له الضم ، لينسجم آخره مع الواو (١٠٢) ،
ولئلا يحدث نفور صوتي يؤدي إلى الثقل في النطق (١٠٣) ، فمثلاً الفعل
الماضي (كتب) مفتوح الآخر ، فإذا اتصلت به واو الجماعة ، أصبح
(كتبوا) بضم آخره ، وهو الباء ، ولو لم يحرك آخره بالضم لحدث تنافر
في الأصوات ، وهذا التنافر يؤدي إلى الثقل ، والعرب تفر من الثقل . أما

المشور في مجلة آداب المتنصرية العدد الأول سنة ٧٥ - ٧٦ ص ١٤٨ - ١٦٣ .

(١٠٠) التلم ٤٤/ ، وانظر مع المواضع ٢١٢/١ ، والمقتصد ١٣٥/١ .

(١٠١) مع الواضع ٢١٢/١ .

(١٠٢) أوضح المسالك ٢٧/١ ، وشرح الأشيونسي ٥٨/١ .

(١٠٣) انظر (الفعل المضارع صينه وإعرابه) مجلة آداب المتنصرية العدد الأول سنة ٧٥ - ٧٦

الدكتور عدنان محمد سلمان

تسكينه مع (تاء) الفاعل ، ونون النسوة ، في « كتبت » ، وكتبن » ، فهو أمر يتصل بالأصوات لا بالأعراب ، ولهذا لم يقل أحد من النحاة بإعرابه . وقد تنبهوا الى سبب هذا التغير ، وهو الفرار من توالي الأفعال وتعاقب الحركات (١٠٤) ، فلو بقي الفعل (كتب) المتصل بتاء الفاعل أو نون النسوة مفتوح الآخر ، لتعاقبت فيه أربع حركات ، والنطق بهذه الحركات الأربع المتوالية يسبب ثقلاً ، ولهذا فرت العرب منه ، فسكنت آخر الفعل .

ويتضح لنا مما ذكرنا أن هناك فرقاً كبيراً بين تغير آخر الفعل الماضي وتغير آخر الفعل المضارع . فالأول سببه اتصال آخر الماضي بلواحق يقتضي الانسجام الصوتي وطلب الخفة أن يحدث ذلك التغير . أما تغير آخر المضارع ، فليس سببه اتصاله بلواحق معينة ، وإنما سببه كون المضارع مسبوقاً بأدوات معينة ، ثبت بالاستقراء أن دخولها عليه يوجب هذا التغير (١٠٥) . ولو رجعنا إلى حدّ النحاة للأعراب ، لوجدناه ينطبق تمام الانطباق على ما يطرأ على آخر المضارع من تغير ، قال النحاة : « الإعراب لغة » : البيان ، واصطلاحاً : تغير في أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها (١٠٦) .

وحكم النحاة على الفعل المضارع بأنه معرب ، حكم قائم على الاستقراء والتبع ، ويعدّ هذا الحكم من المبادئ النحوية الأولية التي ترسخت في أذهان الدارسين منذ نشأة درس النحوي إلى يومنا هذا ، ولا أرى أية فائدة في نقض مثل هذا الحكم ، باسم تيسير النحو أو تجديده ، أو باسم أيّ شعار آخر ، لأن هذا يؤدي الى اضطراب التعليم ، وزعزعة ثقة الدارسين في كثير من الأحكام النحوية المستقرة في أذهانهم .

(١٠٤) الأشرفي ٥٨/١ ، دارمضح المالك ٢٧/١ ، والأشباه والنظائر ١٨/١ .

(١٠٥) الفعل المضارع صيغة وإعرابه ١٥٥ .

(١٠٦) الفوائد الفيائية ١ / ١٩٠ ، وإسرار العربية ١٩ ، وشرح الأشرفي ١٨/١ المقصد

٩٨/١ و ١٢٠/١ ، ومسائل خلافة نبي الشعر ١١٠ ، والأشباه والنظائر ٧٢/١ .

وبعد أن ثبت عند النحاة أن المضارع «مرب راحوا يتبعون أوجه إعرابه» ،
وهو واضح تلك الأوجه ، فتبين لهم عن طريق الاستقراء أنه يأتي في الكلام
«رفوعاً أو منصوباً أو مجزوماً» ، وتوصلوا إلى أنه إنما ينصب إذا سبقته أدوات
منها أدوات نصب المضارع ، ويجزم إذا سبقته أدوات سموها الجوازم ،
ويرفع إذا لم يسبق بأي من أدوات النصب أو الجزم (١٠٧) .

والأحكام المتصلة بإعراب المضارع أحكام استقرائية قائمة على تتبع
المحض ، وليس فيها أي خلل ، إلا أن باحثاً معاصراً أراد أن يهدم هذا
الاستقراء الوصفي ، القائم على تتبع مواقع الفعل المضارع في كلام العرب ،
ومعرفة عوامل تغير آخره في تلكم المواقع ، فجاء هذا الباحث برأي جديد
خالف فيه إجماع النحاة البصريين والكوفيين فيما يتعلق بإعراب الفعل المضارع ،
فذهب إلى أن المضارع لا ينصب بأدوات النصب ، ولا يجزم بأدوات الجزم ،
إذ ليس للأدوات في الكلام ما ينسب إليها من عمل أو تأثير (١٠٨) وفر
نصب المضارع وجزؤه ورفعه بأنه أثر من آثار تغير دلالة الزمنية ، ويتلخص
مذهبه هذا في أن المضارع يرفع إذا دلَّ على الحال ، وينصب إذا امتحض
للاستقبال ، ويجزم إذا صرف للماضي ، وهذا واضح في صريح قوله الذي
جاء فيه أن : « يفعل وما على مثاله يرفع إذا تجرد مما يدل على الماضي أو
المستقبل ... وينصب إذا اقترن به ما يخلص به للمستقبل ... ويجزم إذا سبقه
ما يخلص به للماضي » (١٠٩) . وقال عند حديثه عن الأفعال الخمسة :
« وإذا لحقت يفعل علامة الشبهة ، نحو : يفعلان أو تفعلان ، أو علامة الجمع ،
نحو : يفعلون وتفعلون ، أو ياء المخاطبة ، نحو : تفعلين ، فإن كان للحاضر

(١٠٧) شرح قطر الندى وبل الصدى ٧٨ .

(١٠٨) في النحو العربي قواعد وتطبيق ٢٥ .

(١٠٩) في النحو العربي قواعد وتطبيق ٢٥ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

ثبتت النون ، نحو : الرجلان يذهبان ، والبنتان تذهبان ، وانتم تذهبون ،
وأنت تذهبين ، وان كان للماضي أو المستقبل حذفت النون ، نحو : لم
يذهبا ، ولم تافرا ، ولم يرجعوا ، ولم تحضري للماضي ، ونحو : لن
يذهبا ، ولن تذهبا ، وان يذهبوا ، أو تذهبوا ، ولن تذهبــــــــــــــــي
« للمستقبل » (١١٠) .

والذي دعا هذا الباحث القاضل إلى هذا القول هو أنه وجد النحاة القدامى
قد نصوا على أن أدوات نصب المضارع تصرف المضارع للاستقبال (١١١) ،
وأنهم نصوا أيضاً على أن بعضاً من هذه الأدوات لا يتصب المضارع بعدها إلا
إذا كان متحضراً للاستقبال ، وخصوصاً بهذا الشرط كُتلاً من (حتى) ،
و (إذن) (١١٢) ، ووجد كذلك أن النحاة قد قرروا أن المضارع الموضوع
للحال أو الاستقبال ، ينقلب معناه فيصير دالاً على الماضي إذا دخلت عليه أدوات
الجزم (ثم) و (لما) (١١٣) ، فأراد أن يعمم ذلك على تغير أحوال آخر
المضارع ، فيربط هذا التغير باختلاف دلالاته الزمنية ، وغرضه من ذلك أن
يهدم نظرية العامل التي بنى النحاة القدامى دراساتهم النحوية عليها .

إن الناظر إلى هذا الرأي لأول وهلة دونما فحص ربما أعجبه ، ووجد
فيه تفسيراً جديداً لإعراب المضارع ، إلا أن من يقاب النظر فيه ويستقري
وظائف الأدوات التي تدخل على الفعل المضارع يجد أن هذا الرأي بعيد عن
الصواب ، ويكتنفه التناقض (١١٤) .

(١١٠) في النحو العربي قواعد وتطبيق ٢٦ - ٢٧ .

(١١١) أسرار العربية ٣٢٨ ، ومع المواضع ٨/١ .

(١١٢) أوضح المسالك ١٧١/٣ .

(١١٣) الكتاب ٦٨/١ ، ٤٤٨ ، وكتاب الأصول في النحو ١٦٢/٢ وشرح الكافية للرضي
١٦٢/٢ .

(١١٤) انظر البحث الموسوم بـ (الفعل المضارع صيغه وإعرابه لكاتب البحث والمشتور في
مجلة آداب المتنصرية العدد الأول سنة ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ص ١٤٨ - ١٦٤) .

إن قواعد اللغة لا توضع بالاستقراء الناقص ، وإن أتيّة قاعدة نحوية لا يمكن أن يركن إليها ما لم تكن شاملة لجميع الجزئيات التي تندرج تحتها تلك القاعدة ، وإن الحكم الفاصل في إقرار أي رأي في النحو إنما هو الاستقراء ، فكأما كان الرأي موافقاً للاستقراء كان مقبولاً ، وكأما كان الرأي بعيداً عن الاستقراء كان مرفوضاً و مردوداً .

ولو كان استقراء هذا الباحث صحيحاً لوجب أن تتكرر ثلاث قواعد ، تنحصر فيها أوضاع اعراب المضارع ، وهي :

١ - لا يرتفع المضارع إلا إذا دلّ على الحال . وينبغي على هذا الأمر أن كل فعل مضارع رفوع فدلالته الزمنية ، منحصرة بالحال .

٢ - لا ينصب المضارع إلا إذا دلّ على الاستقبال ، وينبغي على هذا الأمر أن كل فعل مضارع دالّ على الاستقبال يجب أن ينصب .

٣ - لا يجزم المضارع إلا إذا دلّ على الماضي ، وينبغي على هذا الأمر أن كل فعل مضارع مجزوم يكون منصرفاً للمضي .

ولعلني لا أعدر الحقيقة إذا قلت : إن استقراء أحوال الفعل المضارع ، وموازنته بدلالته الزمنية في ضوء القواعد الثلاث المذكورة آنفاً يجعلنا نقرر أن ما أصّله لا يرسم صورة صادقة لارتباط تغير آخر الفعل المضارع بتغير دلالته الزمنية .

أقد مثلّ هذا الباحث الفاضل لارتفاع الفعل المضارع بقولهم : « الرجلان يذهبان ، والبتان تذهبان ، وأنتم تذهبون ، وأنت تذهبين » (١١٥) ، وليس في هذه الأمثلة دليل قاطع على أن الفعل المضارع هنا للحاضر فقط ، بل هو محتمل للحاضر والمستقبل ، لأنّ المضارع إذا تجرد عما يحدد زمنه كان محتملاً

(١١٥) في النحو العربي قواعد وتطبيق ٢٦ .

للحال والاستقبال ، وان كان الحال فيه هو الراجع (١١٦) ، ولا ينصرف للحال إلا بقرينة ، كأن يكون مقترناً بالظرف الآن ، وما في معناه ، كالحين ، والساعة ، أو كان مثباً بـ (ليس) ، أو (ما) ، لأن هذين اللفظين موضوعان لنفي الحال (١١٧) .

والأمثلة التي أوردتها الباحثة الفاضلة ليستدل بها على أن المضارع ارتفع لدلالته على الحال ، ليس فيها أي قرينة تصرف الفعل إلى الحال ، والفعل فيها يحتمل الحال والاستقبال ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال . وعلى هدى من هذا نستطيع أن نقرر بكل اطمئنان : أن ارتفاع المضارع لا يرتبط بدلالته على الحال ، وما يقوي رأينا هذا ويعززها أننا نجد المضارع مرفوعاً وهو دالٌّ على غير الحال ، كأن يكون دالاً على الاستقبال أو الماضي ، ودليلنا في ذلك الاستقراء ، فقد ثبت بإجماع الكوفيين والبصريين ، والمتقدمين والمتأخرين ، أن حرفي التنفيس (السين) و (سوف) تمحضان المضارع للاستقبال ، لأنهما موضوعان لتخليص المضارع من ضيق الحال إلى سعة الاستقبال ، والفعل المضارع . ومهما مرفوع بإجماع العرب والنحاة ، فلو كان المضارع مرتبطاً بدلالته على الحال لتغيرت حركة آخره بتغير دلالة الزمنية ، وذلك يتمحضه للاستقبال دون الحال .

وربما جاء المضارع دالاً على الماضي ، ولكنه يبقى مرفوعاً ، وذلك إذا دخلت عليه (قد) التي تفيد التحقيق ، قال سيوريه : « وقد تقع (تفعل) في موضع (فعلاً) في بعض المواضع » (١١٩) ، ومثل ذلك يقول الشاعر :

(١١٦) مع المواضع ٧/١ .

(١١٧) مع المواضع ٨/١ .

(١١٨) مع المواضع ٨/١ .

(١١٩) الكتاب ٤١٦/١ .

ولقد أمر على اللثيم يَسْبِي فمضيتُ نُتِّتَ قلتُ: لا يَعْنِينِي (١٢٠)
وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة على ذلك منها قوله تعالى : (قد نَرَى
تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ) (١٢١) ، وقوله تعالى : (قد يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ
عَلَيْهِ) (١٢٢) ، قال القُرْطُبِيُّ : « ويعلم هنا بمعنى علم » (١٢٣) ، ومثل
ذلك قوله تعالى : (قد نَعْلَمُ أَنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ) (١٢٤) :
قال العُكْبَرِيُّ : « قوله تعالى : (قد نَعْلَمُ) أي : قد علمنا ، فالمستقبل بمعنى
الماضي » (١٢٥) . والفعل المضارع في هذه المواضع كلها مرفوع ، وهو
منصرف للماضي ، ومن هنا تقرر بأن رفعه لا علاقة له بالدلالة الزمنية ، فقد
يرُفَع وهو دال على الحال ، كما يرفع وهو دال على غير الحال من مضي أو
استقبال .

وأما ربط نصب المضارع بتمحضه للدلالة على الاستقبال ، فأمر في
غاية الوهن والخطأ . وقد مر بنا الحديث عن رفعه ، وهو دال على الاستقبال ،
وذلك عند اتصاله بحرفي التنفيس (السين) و (سوف) ، وهذا وحده
كافٍ لنقض ما أصّله الباحث الفاضل ، فضلاً عن أننا نجد المضارع خالصاً
للاستقبال وهو مجزوم ، وذلك إذا دخلت عليه (لام) الطلب ، أو (لا) الناهية ،
أو أدوات الشرط الجازمة ، والنحاة يجمعون على أن هذه الأدوات تصرف
المضارع للاستقبال (١٢٦) : ولم نجد أحداً من العرب قد نصب المضارع بعدها .

(١٢٠) الكتاب ١/٤١٦ .

(١٢١) البقرة ١٤٤ ، وانظر املاء ما من به الرحمن للمكبري ١/٦٧ ، وروح المعاني

للألويسي ٨/٢ .

(١٢٢) النور ٦٤ .

(١٢٣) الجامع لاحكام القرآن ١٢/٣٢٣ ، والجنى الداني لمرادي ٢٧٠ .

(١٢٤) الانعام ٣٣ .

(١٢٥) املاء ما من به الرحمن ١/٢٤٠ .

(١٢٦) النهيل ٥ ، وضع المواضع ٨/١ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

وأما جعله جزم المضارع مرتبطاً بانصرافه للمضي فهو منقرض أيضاً ، وقد مر بنا أنه يصرف للمضي مع (قام) الحقيقية ، ولكنه يبقى مرفوعاً ، وأنه يصرف للاستقبال مع كثير من الأدوات التي تجزمه مثل : (لام) الطلب و (لا) الناهية ، وأدوات الشرط ، فهو إذن قد يجزم إذا كان دالاً على المضي ، كما يجزم وهو دالٌّ على الاستقبال ، وقد يرفع وهو منصرف المضي فجزمه ليس مرتبطاً بدلالته على المضي فقط .

ونخلص بعد هذا كله إلى أنه لا علاقة لإعراب المضارع بدلالته الزمنية ، وأن استقرار النحاة لمواضع إعراب المضارع استقرار صحيح ، إذ حكموا بأنه ينصب إذا سبق بأدوات معينة ، ويجزم إذا سبق بأدوات أخرى ، استقروها وأحصوها . ويرفع إذا لم يسبق بأي أداة من أدوات النصب أو الجزم .

ولا بد لي من أن أشير هنا إلى حقيقة يتجاهلها كثير من الباحثين المحدثين ، وهم يتحدثون عن نظرية العامل والمعمول في النحو العربي ، وهي أن النحاة القدماء الذين عولوا على مسألة العامل والمعمول في درسمهم النحو ، قد تنبهوا إلى أن هذه العوامل ، ومنها أدوات نصب المضارع وجزءه ، ليست هي التي تعمل ، فت نصب ، أو تجزم ، أو ترفع ، أو تجر ، وإنما المتكلم هو الذي يفعل ذلك ، وهذا ابن جني المتوفى (سنة ٣٩٢) ، وهو من رواد تلك المدرسة يقول : « وإنما قال النحويون » « عامل لفظي » ، « و عامل معنوي » ، ليسرُّوك أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه ، كمررت بزيد ، وليت عمراً قائم ، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به ، كرفع المبتدأ بالابتداء ، ورفع الفعل لوقوعه مرفوع الاسم . هذا ظاهر الأمر ، وعابه صفحة القول . فإما في الحقيقة ومحصول الحديث ، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم ، إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره ، وإنما قالوا :

الاستقراء في النحو

« لفظي » و « معنوي » لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ ،
أو باشتمال المعنى على اللفظ » (١٢٧) .

ويتضح لنا من نصّ ابن جني أن غرضهم من التأكيد على مسألة العمل
والعامل والمعدول إنما هو غرض تعليمي محض (١٢٨) ، ولا يقلل
من قيمة هذا الغرض . وبالغة النحاة المتأخرين في الاعتداد بتلك المسألة وتعرهم
فيها ، لأن أصل الفكرة سليم ، وهو قائم على وضع أسس مدروسة مستقرة
من كلام العرب ، يستطيع المتعلم أن يضبط بها أواخر الكلام في التراكيب
المختلفة ، إذا ما وضحت في ذهنه العوامل اللفظية والمعنوية التي تؤثر في
الأسماء والأفعال ، فتجلب لها حركات الإعراب المختلفة .

ولم يكتفِ النحاة باستقراء وظيفة الأسماء والأفعال في الكلام ، بل استقروا
أيضاً الحروف ، فقاموا بإحصائها ، ومعرفة معانيها ، ووضوح ورودها في
الكلام ، وربما أفردوا لها كتباً خاصة ، ان فعل الرُّمَّاني المتوفى سنة (٣٨٤ هـ)
في كتابه الحروف ، والمهروي المتوفى سنة (٤١٥ هـ) في كتابه (الأزهية) ،
والمرادي المتوفى سنة (٧٤٩ هـ) في كتابه (الجتنى الداني) .

ولا يخلو كتاب من كتب النحو من التعرض لهذه الحروف ، فقد تناولوها
في أبواب شتى ، مثل باب العطف ، والاستفهام ، والجبر ، وإعراب الفعل
المضارع والنواسخ ، والنداء ، والعرض والتحضيض ، ونصوصهم في هذا
الباب كثيرة ، فمثلاً لما عرضوا لحروف النفي وجدوا أن قسماً منها يدخل
على الجمل الاسمية ، مثل : لات ، ولا النافية للجنس ، ولا المشبهة بليس ،
وقسماً آخر يدخل على الجمل الفعلية فقط ، مثل : لم ، ولما ، وان ، وأن
قسماً ثالثاً يدخل على الجمل الاسمية والفعلية مثل : ما ، وإن ، ووجدوا

(١٢٧) الخصائص ١/ ١٠٩ - ١١٠ ، ومفتاح العلوم ٢٠٥ .

(١٢٨) انظر مقدمة ابن خلدون ٥٤٦ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

عن طريق الاستقراء أن حروف النفي التي تدخل على الأفعال لما ارتباط بالآلة الزمنية للفعل ، ولعل سيويه هو أول من أشار إلى ذلك حيث قال : « لن أضرب نفي لقوله : سأضرب ، كما أن : لا تضرب ، نفي لقوله : أضرب ، ولم أضرب نفي : لضربت » (١٢٩) . وقال في موضع آخر : « هذا باب الفعل ، إذا قال : فعل ، فإن نفيه لم يفعل ، وإذا قال : قد فعل ، فإن نفيه ، لما يفعل* ، وإذا قال : لقد فعل ، فإن نفيه : ما فعل ، لأنه كأنه قال : والله لقد فعل ، فقال : والله ما فعل ، وإذا قال : هو يفعل ، أي : هو في حال فعل ، فإن نفيه : ما يفعل ، وإذا قال : هو يفعل ، ولم يكن الفعل واقعاً ، فنفيه : لا يفعل ، وإذا قال : ليفعلن* ، فنفيه : لا يفعل ، كأنه قال : قال : والله ليفعلن* ، فقلت : والله لا يفعل* ، وإذا قال : سوف يفعل ، فإن نفيه لن يفعل » (١٣٠) .

وقد أحصى النحاة الحروف التي تنفي الفعل ، فوجدوا أنها ستة أحرف ، هي : لم ، ولما ، وما ، وإن ، ولا ، ولن ، وتبين لهم أن هذه تنقسم ثلاثة أقسام ، أحدها : ينفي الماضي ، والثاني : ينفي الحال ، والثالث : ينفي الاستقبال ، قال السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) : « حروف النفي ستة ، إثنان لنفي الماضي ، وهما : لم ، ولما ، وإثنان لنفي الحال ، وهما : إن* وما ، وإثنان لنفي المستقبل ، وهما : لا ، ولن » (١٣١) .

وفي كتاب سيويه وحده* نصوص كثيرة تتصل بالحروف والادوات التي تقوم مقامها ، أضع بين يدي البحث نصين منها : أحدهما يتصل بقسم من الحروف المختصة بالأفعال ، ويتصل الآخر بالفرق بين (إن) و (إذا)

(١٢٩) الكتاب ٦٨/١ .

(١٣٠) الكتاب ٤٦٠/١ .

(١٣١) الاشياء والظواهر في النحو ١١٥/٢ ، وقد نقل السيوطي هذا النص عن الاندلسي (المتوفى سنة ٦٦١ هـ) صاحب شرح المفصل انظر ترجمته في بنية الوعاة ٢/٢٥٠ .

الشرطيتين ، قال في الأول : « هذا باب الحروف التي لا يليها إلاّ الفعل ... فمن تلك الحروف (قد) ، لا يفصل بينها وبين الفعل بغيره ، وهو جواب لقوله : (أفعل ؟) كما كانت (ما فعل) ، جواباً لـ (هل فعل) ؟ ، إذا أخبرت أنه لم يقع ، ولما يفعل ، وقد فعل إنما هما لقوم ينتظرون شيئاً ، فمن ثمّ أشبهت (قد) (لما) ، في أنها لا يفصل بينها وبين الفعل . ومن تلك الحروف أيضاً سوف يفعل ، لأنها بمتزلة السين ، التي في قولك : سيفعل ، وإنما تدخل هذه السين على الأفعال ، وإنما هي إثبات اقترانه : ان يفعل ، ... ومن تلك الحروف ربّما ، ... جعلوا (ربّ) مع (ما) بمتزلة كلمة واحدة هيئوها ليذكر بعدها الفعل ، لأنه لم يكن لهم سبيل الى : ربّ يقول ... فألحقوها ما ، ... ومثل ذلك : هلاّ ، ولا ، وألاّ ، ألزموهن (لا) وجعلوا كل واحدة مع (لا) بمتزلة حرف واحد ، وأخلصوهن للفعل حيث دخل فيهن معنى التحضيض » (١٣٢) .

وقال في النص الثاني : « (إذا) تجيء وقتاً معلوماً ، ألا ترى أنك لو قلت : آتيك إذا احمرّ البُسْرُ ، كان حسناً ، واو قات : آتيك إن احمرّ البُسْرُ ، كان قبيحاً . فإنّ أبدأً مبهمّة » (١٣٣) وعلى هدي من نصّ سيويّه هذا قرر النحاة أنّ (إذا) تأتي للأمر المقطوع به ، وأنّ (إن) تأتي للأمر المظنون والمتوقع (١٣٤) .

وهناك أمر يتصل بالحروف شغل النحاة أنفسهم به كثيراً ، وهو معرفة الأثر الاعرابي لهذه الحروف ، فيما بعدها من أسماء وأفعال . فقد تتبعوا ذلك وجاؤوا بأحكام نحوية سليمة قائمة على الاستقراء ، فبين لهم مثلاً أن الحروف

(١٣٢) الكتاب ١ / ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(١٣٣) الكتاب ١ / ٤٣٣ .

(١٣٤) المقتضب ٢ / ٥٦ ، والفوائد الفيّاتية ٢ / ٢٥٦ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

تقسم قسمين ، حروف عاملة ، وحروف غير عاملة (١٣٥) ، ووجدوا بالتبع والاستقراء أن الحروف غير العاملة لا تختص بأحد القبيلين ، الأسماء والأفعال ، بل تكون مشتركة ، فتدخل على كل منهما ، فمثلاً حرف الاستفهام (هل يدخل على الأفعال ، نحو : هل أتى زيد ؟ ، ويدخل على الأسماء ، نحو : هل أخوك منطلق ؟ ولكنه لا يؤثر في أيّ منهما (١٣٧) .

ووجدوا بالاستقراء أن الحروف العاملة تكون مختصة بأحد النوعين : الأسماء والأفعال ، وأن الحروف التي تعمل في الأسماء لا تعمل في الأفعال ، وأن الحروف التي تعمل في الأفعال لا تعمل في الأسماء ، فمثلاً حروف الجر عملها خاص بالأسماء ، وهي لا تعمل في الأفعال شيئاً ، وحروف الجزم ينحصر عملها في الأفعال وهي لا تعمل في الأسماء شيئاً ، قال سيوييه : « واعلم أن حروف الجزم لا تجزم إلا الأفعال ، ولا يكون الجزم إلا في هذه الأفعال المضارعة للأسماء ، كما أن الجر لا يكون إلا في الأسماء ، والجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء ، فليس للاسم في الجزم نصيب ، وليس للفعل في الجر نصيب » (١٣٨) .

وإذا كان النحاة قد قرروا أنه لا يعمل من الحروف إلا الحروف المختصة فانهم لم يقصدوا أن كل حرف مختص يجب أن يكون عاملاً بالضرورة ، لأنهم تنبهوا إلى أن هناك حروفاً مختصة ولكنها لا تكون عاملة ، فمثلاً أداة التعريف (أل) حرف مختص بالأسماء ، ولكنه غير عامل فيها شيئاً (١٣٩) ، وأداة التحضيض (هتلا) حرف مختص بالأفعال ، ولكنه غير عامل فيها شيئاً (١٤٠) .

(١٣٥) المرتجل في شرح الجمل ٢٤ . (١٣٦) كتاب الأصول في النحو ٥٩/١ .

(١٣٧) سر صناعة الأعراب ١٤٥/١ ، المرتجل ٢٤ . (١٣٨) الكتاب ٤٠٩/١ .

(١٣٩) كتاب الأصول في النحو ٦٠/١ ، سر صناعة الأعراب ١٤٥/١ .

(١٤٠) الكتاب ٤٥٩/١ .

وما استقراء النحاة مما يتصل بالحروف عمل واسع ومتشعب ، ولم يكن غرضي أن أعرض لذلك كله ، بل كان غرضي هو أن ألتقط نماذج أضعها بين يدي الباحثين المعاصرين لأبين لهم أن النحاة قد أفادوا من المنهج الاستقرائي الوصفي إيساً إفادة ، وأنهم أسدوا للعربية في ذلك فضلاً كبيراً ، إذ قدموا لنا دراسة قيمة ، ستبقى منار الكل من يريد أن يفهم قوانين العربية وأحكامها .



وإذا كان النحاة قد شغلوا أنفسهم باستقراء أحوال الكلم في التراكيب وما يطرأ على المفردات من إعراب وبناء حتى سموا النحو : « إعراباً » (١٤١) ، فإن ذلك لم يحل دون تتبعهم المعاني المختلفة التي تتظمها التراكيب ، ولم يحل كذلك دون استقراءهم أساليب الكلام ، فجاءت كتبهم حافلة في دراسة موضوعات تتصل بتلك المعاني والأساليب ، مثل : الأمر والنهي ، والاثبات والنفي ، والاستفهام ، والخبر ، والطلب ، والدعاء ، والنداء والاستثناء ، والحصر ، والتوكيد ، والقسم ، والتخصيص ، والعرض ، والاغراء ، والتحذير ، والاختصاص ، والمدح ، والذم ، والتعجب ، والشرط ، والجزاء ، والحذف ، والذكر ، والتقديم ، والتأخير ، والإيجاز ، والانساع .

وأعتقد أن النحويين كانوا أسبق من علماء البلاغة في استقراء تلك المعاني الأساليب ، بل هم الذين مهدوا لهم سبيل ذلك ، ولا أريد هنا أن أضع بين يدي البحث جميع ما قدمه النحاة في هذا الباب ، بل سأكتفي بعرض نماذج من ذلك ، أستقيها من كتاب سيويه الذي يعد رائد هذا النوع من الدراسة .

فقد تحدث مثلاً عن التقديم والتأخير في باب الفاعل والمفعول به ، فذكر أن الأصل هو تقديم الفاعل ، نحو : قولك : ضرب عبدالله زيداً ، « وإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول ،

الدكتور عدنان محمد سلمان

وذلك قولك : ضرب زيداً عبدُ الله ، لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً .. فمن ثمَّ كان حد النقط فيه أن يكون الفاعل مقدماً ، وهو عربي جيد كثير ، كأنهم إنما يتكلمون الذي بيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم (١٤٢) .

وفي باب الأمر والنهي ذكر أن هذين الأسلوبين إنما هما خاصان بالأفعال ، وشبههما بالاستفهام ، إلا أن صلة الأمر والنهي بالفعل أقوى من صلة حروف الاستفهام به ، فقال : « ... الأمر والنهي إنما هما بالفعل ، كما أن حروف الاستفهام بالفعل أولى ، وكان الأصل فيها أن يبدأ بالفعل قبل الاسم ، فكذا الأمر والنهي ، لأنهما لا يقعان إلا بالفعل ، مظهراً أو مضراً ، وهما أقوى في هذا من الاستفهام ، لأن حروف الاستفهام قد تستعمل وليس بعدها إلا الأسماء ، كقولك : أزيد أخوك ، رمتي زيد منطلق ، وهل عمرو ظريف . والأمر والنهي لا يكونان إلا بفعل ، وذلك قولك : زيداً اضربه ، وعمراً أمر به ، ... وقد يكون في الأمر والنهي أن يبنى الفعل على الاسم ، وذلك قولك : عبدُ الله اضربه ، ابتدأت عبد الله ، ورفعت بالابتداء ، ونهيت المخاطب له ليعرفه باسمه ، ثم بنيت الفعل عليه ، كما فعلت ذلك في الخبر (١٤٣) . وتحدث سيويه عن الدعاء فقال : « واعلم أن الدعاء بمتزلة الأمر والنهي ، وإنما قيل دعاء ، لأنه استعظم أن يقال : أمر ونهي ، وذلك قولك : اللهم زيداً فاغفر ذنبه » (١٤٤) .

وتحدث عن الاتساع والاختصار والايجاز في مواضع متفرقة من الكتاب ، منها قوله : « وما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى

(١٤١) الايفساح في علل النحر للزجاجي ٩١ .

(١٤٢) الكتاب ١٤/١ - ١٥ .

(١٤٣) الكتاب ٦٩/١ .

(١٤٤) الكتاب ٧١/١ .

(واسأل القرية التي كنا فيها ، والعرير التي أقبلنا فيها) (١٤٥) ، إنما يريد : أهل القرية ، فاختصر ... ومثله : (بل مكر الليل والنهار) (١٤٦) ، وإنما المعنى : بل مكركم في الليل والنهار ، وقال تعالى : (والكنّ البرّ من آمن آمن بالله) (١٤٧) ، إنما هو : والكنّ البرّ برّ من آمن بالله ، ومثله في الاتساع قوله عز وجل : (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً) (١٤٨) ، فلم يشبهوا بما ينعق ، وإنما شبهوا بالمنعوق به ، وإنما المعنى : مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ، ولكنه جاء على سعة الكلام والايجاز اعلم المخاطب بالمعنى ، ومثل ذلك من كلامهم : بنو فلان يطؤون الطريق ، وإنما يطؤون أهل الطريق (١٤٩) . وأعتقد أن في هذه النصوص دليلاً كافياً على عظيم اهتمام النحاة باستقراء معاني الكلام واساليه وأنهم لم يشغلوا أنفسهم بالشكل بل اهتموا به كما اهتموا بالمضمون والمعنى .

ولم يكتف النحاة باستقراء اوضاع المفردات العربية في التراكيب ، وما يطرأ عليها من تغيير يتصل بإعرابها أو بنائها ، بل قاموا أيضاً باستقراء الجملة في العربية ، وكيف يتألف الكلام ، وعلام يعتمد ؟ وماذا ينبغي أن يترفر في التركيب ليكون كلاماً ؟ فدلّتهم الاستقراء والتبع الى ان الكلام هو التركيب الذي يحسن السكوت عايه (١٥٠) ، المشتمل على فائدة يقدمها المتكلم بين يدي المخاطب ، فليس كل تركيب يعد كلاماً ، فشرط الكلام أن تتوفر فيه الفائدة (١٥١) ، ويعد سيوريه أول من تنبه الى

(١٤٥) يوسف / ٨٢ .

(١٤٦) سبأ / ٢٣ .

(١٤٧) البقرة / ١٧٧ .

(١٤٨) البقرة / ١٧١ .

(١٤٩) الكتاب / ١ - ١٠٨ - ١٠٩ .

(١٥٠) الفوائد الضيائية ١ / ١٧٥ والمرتل في شرح الجمل ٢٤٠ .

(١٥١) المنتصد في شرح الايضاح ١ / ٩٢ ، ومعني اليب عن كتب الأعراب ٢ / ٤٢ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

هذه المسألة ، حيث قال : « واذا قلت كان رجل ذاهباً ، فليس في هذا شيء تعلمه كان جهله [يعني المخاطب] ، ولو قلت : كان رجل من آل فلان فارساً ، حسن لأنه قد يحتاج الى أن تعلمه أن ذاك في آل فلان ، وقد يجهله ، واو قلت : كان رجل في قوم فارساً ، لم يحسن ، لأنه لا يستكر أن يكون في الدنيا فارس ، وأن يكون من قوم » (١٥٢) .

وتوصل النحاة عن طريق الاستقراء الى أن الكلام لابد أن يبنى من ركنين هما المسند والمسند اليه ، وأن المسند اليه لا يكون الا اسماً . أما المسند ، فقد يكون اسماً ، وقد يكون غير اسم . قال سيويه : « هذا باب المسند والمسند اليه ، وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدءاً ، فمن ذلك : الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك : عبدالله أخوك ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك قولك : يذهب زيد ، فلا بد للفعل من الاسم ، كما لم يكن للاسم الأول بدءاً من الآخر في الابتداء » (١٥٣) .

وثبت عند النحاة بالاستقراء أن الاسم لا يمكن أن تخلو منه الجملة ، أما الفعل فقد يستغني عنه في الكلام (١٥٤) . وذلك أن الاسم قد يبنى منه ومن اسم آخر تركيب يؤلف كلاماً ، ولا يشترط في هذا التركيب أن يضم فعلاً ، نحو : « هذا أخوك » ، أما الفعل فلا يؤلف منه كلام إلا إذا أسند إلى اسم ، إذ لا يمكن أن يسند الفعل إلى فعل آخر (١٥٥) ، ومن هنا قرر النحاة أن الفعل لا يخاو من اسم مرفوع مسند إليه . قال سيويه : « الفعل لابد له من فاعل » (١٥٦) ، وقال في موضع آخر : « لا يخاو الفعل من مضمير أو مظهر مرفوع من الأسماء » (١٥٧) .

(١٥٢) الكتاب ١/ ٢٧ - ٢٨ .

(١٥٣) الكتاب ١/ ٢٧ - ٢٨ .

(١٥٤) الكتاب ١/ ٦ .

(١٥٥) كتاب المختصر في شرح الايضاح ١/ ٩٥ ، والمرتل ٢١ والفوائد الفصيائية ١/ ١٨٨ .

(١٥٦) الكتاب ١/ ٤١ .

(١٥٧) الكتاب ١/ ٤٠ .

واستقرى النحاة بعد سيويه أنماط التراكيب التي تأتلف فتكون كلاماً تاماً ، وكان أبو علي الفارسي المتوفى سنة (٣٧٧ هـ) من أقدم الذين تعرضوا لذلك ، فقد قال في الإيضاح : « فالاسم يأتلف مع الاسم ، فيكون كلاماً مفيداً كقولنا : عمرو أخوك ، وبشر صاحبك ، ويأتلف الفعل مع الاسم فيكون كذلك ، كقولنا : كتب عبدالله ، وسُرَّ بكرٌ ، ومن ذلك : زيد في الدار ، ويدخل الحرف على كل واحد من الجملتين فيكون كلاماً كقولنا : إنَّ عمراً أخوك ، وما بشر صاحبك وهل كتب عبدالله ، وما سُرَّ بكرٌ ، ولعل زيدا في الدار ، وما عدا ما ذكر مما يمكن إيتلافه من هذه الكلم فمطروحٌ إلا الحرف مع الاسم في النداء (١٥٨) ، نحو : يا زيد ، ويا عبدالله ، فإن الحرف والاسم قد ايتلف منهما كلام مفيد في النداء » (١٥٩) .

وبعني أبو علي بالتراكيب المطرحة هذه التراكيب الثلاثة : « الفعل مع الفعل ، والفعل مع الحرف ، والحرف مع الحرف » (١٦٠) ، فهذه الأنماط من التراكيب لم يأت منها شيء في العربية ، وذلك ثابت بالاستقراء . وهذا الذي ذكره أبو علي الفارسي يمثل أقل ما يمكن أن يأتلف منه الكلام ، وهو استقراء سديد وصادق (١٦١) .

وقد توسع النحاة المتأخرون في تتبعهم أنماط التراكيب التي يأتلف منها الكلام ، ويأتي ابن هشام المتوفى سنة (٧٦١ هـ) في مقدمة هؤلاء النحاة ، فقد ذكر أن صور تأليف الكلام ست : « وذلك لأنه يتألف من اسمين ، نحو :

(١٥٨) جمهور النحاة ومنهم أبو علي يذهبون إل أن النداء جملة فعلية أحسن فعلها انظر الكتاب ١٤٧/١ ، والمسائل العسكرية لأبي علي ٨٧ ، ومع الخواص ١٧١/١ .
(١٥٩) الإيضاح الفسدي ٩ وانظر المختصر في شرح الإيضاح ٩٤/١ .
(١٦٠) المرتجل في شرح الجبل ٥٧ والمختصر في شرح الإيضاح ٩٤/١ ، والفوائد الضيائية ١٧٧/١ .
(١٦١) شرح قطر الندى وبل الصدى ٤٥ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

زيد قائم ، أر من فعل واسم ، نحو : قام زيد ، وضرب زيد ، أو من جملتين ، وذلك في باب الشرط والجزاء ، نحو : إن قام زيد قمت ، وباب القسم وجوابه ، نحو : أحلف بالله لزيد قائم . أر من فعل واسمين ، نحو : كان زيد قائماً ، أو من فعل وثلاثة أسماء ، نحو : علمت زيدا فاضلاً ، أو من فعل وأربعة أسماء ، نحو : أعلمت زيدا عمراً فاضلاً ، (١٦٢) .

وهذا الذي ذكره ابن هشام إنما يخص الجمل الصغيرة التي يكون فيها المسند مفرداً ، اسماً أو فعلاً ، ولا يشمل الجمل التي يكون فيها المسند جملة ، وهي التراكيب التي يبنى فيها الكلام على اسم مبتدأ ، ثم يؤتى بخبره جملة اسمية ، نحو : « زيد أبوه قائم » ، أو جملة فعلية ، نحو : « زيد يقوم » أو « زيد يقوم أبوه » ، وسمى ابن هشام هذا النوع من التراكيب « الجمل الكبرى » (١٦٣) ، لأنها تحتوي على إسنادين .

وللنحاة مباحث كثيرة تتصل بالجملة قائمة على الاستقراء ، فقد قسموا الجمل الى جمل اسمية وجمل فعلية ، وتتبعوا نواسخ الجمل الاسمية ، وتحدثوا عن الجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي لا محل لها من الإعراب ، وثبت عندهم بالاستقراء أن الجمل التي لها محل من الإعراب لا بد أن يكون فيها رابط يربطها بما قبلها ، فتبعوا رابط جملة الخبر بالمبتدأ ، ورابط جملة النعت بالمنعوت ، ورابط جملة الحال بصاحبه ، قال ابن الخشاب (المتوفى سنة ٥٦٧ هـ) : « وأعلم أن هذه الجمل التي وقعت موقع المفردات ، فحكم لها بإعرابها في الموضع ، لا تعرى من ذكر يرجع الى المذكور الذي كان ذلك المفرد الذي ثابت هذه الجملة منابه تابعاً له ، وثانياً ، كخبر المبتدأ ، فمثلاً في قولك : « زيد أبوه خارج » ، فالهاء في قولك (أبوه) هي

(١٦٢) شرح قطر الندى وبل العدى ٤٤ .

(١٦٣) مفتي القليب عن كتب الأعراب ٥/٢ .

الذكر العائد . ولو قلت : زيد عمرو منطلق ، لم يجز ، لتعري الجملة من الذكر ، (١٦٤) .

وثبت عندهم بالاستقراء أن جملة الخبر قد تكون نفس المبتدأ في المعنى وعندئذ لا تحتاج الى رابط يربطها بالمبتدأ (١٦٥) ، نحو قولنا : «نطقي الله حسي» ، لأن المراد بالنطق المنطوق به (١٦٦) ، وهو الخبر (الله حسي) .

وتبين لهم بالاستقراء أيضاً أن رابط الجملة الحالية إما أن يكون ضميراً عائداً على صاحب الحال . وإما أن يكون واواً سموها (واو الحال) ، وقد يجمع بين الواو والضمير في جملة الحال (١٦٧) ، نحو : خرج زيد وتحت فرس جواد ، والواو هنا ليست لازمة ، إذ تستطيع أن تقول : خرج زيد تحت فرس جواد ، فيكون الذكر العائد على صاحب الحال هو الضمير الهاء في جملة الحال «تحت فرس جواد» . ولكن إذا خلت جملة الحال من ذكر يرجع الى صاحب الحال عندئذ تكون الواو لازمة لربط جملة الحال بجملة صاحب الحال ، نحو : «خرج زيد وعمرو قائم» . ولا يصح أن تسقط الواو من مثل هذا الكلام لخلو الجملة الثانية «عمرو قائم» من أي رابط يربطها بالجملة السابقة (١٦٨) ، والأصل في الكلام أن يكون آخره مرتبطاً بأوله .

والرابط لا يختص بالجمل التي لها عمل من الإعراب ، بل قد يشترط وجوده في بعض الجمل التي لا عمل لها من الإعراب ، مثل جملة الصلة ، إذ لا بد لها من أن تحتوي على ضمير يعود على الاسم الموصول ، وهذا الضمير

(١٦٤) المرتجل في شرح الجمل ٣٤٣ .

(١٦٥) المنتخب ١٢٨/١ ، والمقرب لابن عصفور ٨٣/١ .

(١٦٦) أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ١٣٩/١ .

(١٦٧) المرتجل في شرح الجمل ٣٤٣ .

(١٦٨) المرتجل في شرح الجمل ٣٤٣ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

هو الرابط الذي يربط جملة الصلة بالاسم الموصول ، والأصل في هذا الضمير أن يكون مذكوراً ، ولكن قد يحذف (١٦٩) ، وعلى هذا جاء قوله تعالى : (فاقض ما أنت قاض) (١٧٠) ، أي : فاقض ما أنت قاض به .

وحذف الرابط ليس منحصراً في جملة الصلة ، فقد يقع في جملة الصفة ، وعلى هذا فر قوله تعالى : (وَاَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا) (١٧١) ، ومعناها : لا تجزي نفس فيه عن نفس شيئاً . وقد يقع حذف الضمير الرابط في جملة الخبر أيضاً ، نحو قولهم : « السمن متّوان يدرهم » ، أي « متّوان منه يدرهم » (١٧٢) .

إن هذه المباحث المتصلة بالجملة وما يتعلق بها كلها قائمة على الاستقراء وحده ، وليس للعلوم الكلامية أي أثر فيها ، والأحكام التي أوردتها النحاة في هذا الباب كلها أحكام صادقة وسديدة وشاملة ، ولا أظن أن هناك من الباحثين المعاصرين من يستطيع أن يستدرك عليهم فيها شيئاً .

لقد كان استقراء كلام العرب همّ النحاة ، واستطاعوا عن ذلك الطريق أن يثروا المكتبة العربية بذلك التراث الضخم من المؤلفات التي سطوروا فيها قواعد العربية وأحكامها ، وكانت كل طبقة منهم تكمل عمل الطبقة السابقة لها ، فجاء استقراؤهم كلام العرب مكماً بعضه بعضاً . فإذا فات أحد النحاة شيء ما ، نرى نحويّاً آخر أو أكثر من نحويّ يستدركون عليه ما فات ، والناظر في كتب النحو كثيراً ما يرى أن بعض النحاة يستدرك على بعض آخر ، إذ من المتعذر على أيّ عالم أن يتربّع اللغة كلها ، ولهذا لم يسلم نحويّ من

(١٦٩) الكتاب ٤٤/١ - ٤٥ .

(١٧٠) طه ٧٢ وانظر أوضح المسالك اللفية ابن مالك ١٢٣/١ .

(١٧١) البقرة ٤٨ وانظر الكتاب ١٩٣/١ والبيان في غريب أعراب القرآن ٨٠/١ .

(١٧٢) الفوائد الفيثائية ٢٨٣/١ ومع المراجع ٩٦/١ - ٩٧ .

الاستدراك عليه وخاصة النحاة المتقدمين ، أمثال : سيويه ، والفراء ، والمبرد .

ولعل أول استقراء ناقص وردت الإشارة إليه ، هو ذلك الاستقراء الذي أجراه أبو الأسود الدؤلي والمتعلق بالأحرف المشبهة بالفعل ، فقد ذكرت الأخبار أنه لما أراد أن يضع صحيفة في النحو تتبع هذه الأحرف فيما تتبع من مبادئ النحو الأولية ، ثم عرضها على الإمام علي ، رضي الله عنه ، فوجد أنه ذكر خمسة من هذه الأحرف ، وهي : إن ، وأن ، وكأن ، وليت ، ولعل ، وأغفل ذكر (لكن) ، فقال له الإمام علي : لِمَ تركتها ؟ فقال له أبو الأسود الدؤلي : لم أحسبها منها . فقال له : إنها منها ، فزدها فيها (١٧٣) .

ومن النحاة الذين استدرك عليهم سيويه ، فقد فاته مثلاً أن يذكر (أيتان) في أدوات الشرط ، واقتصر في إيرادها ضمن أدوات الاستفهام (١٧٤) فجاء النحاة من بعده فاستدركوها عليه ، فذكروها في باب الشرط ، قال السيوطي : « ومن لم يحفظ الجزم بها سيويه ، لكن حفظه أصحابه » (١٧٥) .

ولما عرض سيويه لحرف الجر (من) ذكر أنها تدخل على المكان ، ولم يذكر أنها تدخل على الزمان (١٧٦) ، وهذا غريب منه ، فقد جاءت في القرآن الكريم والشعر داخلة عليه ، قال تعالى : (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) (١٧٧) ، وقال النابغة :

تُخَيِّرُنْ مِنْ أَرْزَاقِ يَوْمٍ حَكِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبْتُ كُلَّ التَّجَارِبِ (١٧٨)

(١٧٣) الأشباه والنظائر في النحو ٧/١ .

(١٧٤) الكتاب ٣١٢/٢ .

(١٧٥) مع المراجع ٥٧/٢ .

(١٧٦) الكتاب ٣٠٨/٢ .

(١٧٧) اثوبة / ١٠٨ .

(١٧٨) المتنبي الغيب عن كتب الاعراب ١٤/٢ .

وقد نص كثير من النحاة غير سيويه على أنها لا تخص بالمكان فقط ، بل تدخل عليه وعلى الزمان (١٧٩) . وهو الصحيح اورودها كثيراً في كلام العرب داخلة على الزمان ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

وفات سيويه أن يذكر النصب بـ (حاشا) على الاستثناء ، فلم يشر إلا إلى الجر بها ، وجاء النحاة من بعده ، فذكروا أنها تجر الاسم بعدها كثيراً ، وتنصبه قليلاً ، وهي في كلا الحالين تفيد الاستثناء . وهي حرف جر إذا جر الاسم بعدها ، وفعل جامد إذا نصب الاسم بعدها (١٨١) .

وفات الفراء المتوفى سنة (٢٠٧ هـ) أن يذكر لفظة (هن) ضمن الأسماء التي تعرب بالواو رفعاً ، وبالألف نصباً ، وبالياء جراً (١٨٢) ، فاقصر على ذكر هذه الأسماء : « أبوك ، وأخوك وحموك ، وفوك » ، فهي عنده خمسة أسماء ، ولم يحفظ في لفظة (هن) إلا الإعراب بالحركات ، فجاء النحاة من بعده ، فذكروا أن هذه الأسماء ستة (١٨٣) ، وجعلوا لفظة (هن) منها ، ومن هنا شاع في كتب المتأخرين مصطلح الأسماء الستة (١٨٤) .

وزعم المبرد المتوفى (٢٨٥ هـ) أنه لم يرد في كلام العرب مثل «لولاي ، ولولاك ، ولولاه » ، وقرّر أنه لا يأتي من الأسماء بعد (لولا) إلا ضمير الرفع المنفصل . مثل « لولا أنتم ، ولولا أنا ، ولولا هو » ، أو اسم ظاهر مرفوع ، مثل : « لولا زيد » (١٨٥) ، واعتمد المبرد في ذلك على ما استقراه

(١٧٩) الفوائد الغيائية ٣٢٠/٢ ، والتسهيل ١٤٤ ، ومع المواقع ٣٤/٢ .

(١٨٠) الكتاب ٣٥٩/١ .

(١٨١) مغني اللبيب عن كتب الأعراب ١١٠/١ والتسهيل ١٠٥ .

(١٨٢) شرح الأشونسي ٦٩/١ .

(١٨٣) القح في العربية ٦٧ .

(١٨٤) أوضح المسالك ٢٨/١ ، وشرح الأشونسي ٦٨/١ ، ومع المواقع ٣٨/١ .

(١٨٥) الكامل ٣٤٥/٢ - ٣٤٦ ، وانظر المختضب ٧٣/٢ ، و٧٧ .

في القرآن الكريم من استعمال (لولا) . اذ لم يرد فيه مجيء ضمير الجر بعد (لولا) . وما استقراء المبرد في القرآن صحيح ، اذ لم يرد فيه بعد (لولا) ضمير سوى ضمير الرفع المنفصل ، ومنه قوله تعالى : (لَوْلَا اَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) (١٨٦) ، ولكن عدم ورود شيء من العربية في القرآن الكريم ، لا يعني أبداً أنه غير وارد في غيره من كلام العرب ، فمثلاً لم يرد في القرآن الكريم استعمال (أيتان) أداة شرط ، إذ اقتصر استعمالها فيه على الاستفهام ، ومنه قوله تعالى : (يَسْأَلُكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) (١٨٧) ، فهل يعني هذا أنها لم تستعمل أداة شرط في العربية ؟ والصحيح أنها استعملت (١٨٨) ، ومنه قول الشاعر :

إذا النعجة العشاء كانت بقررة

فأيتان ما تعدل بها الريح تنزل (١٨٩)

ولم يرد في القرآن الكريم استعمال (لدن) إلا مسبوقه بحرف الجر (من) ، ومنه قوله تعالى : (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً) ، ولكن هذا لا يمنع استعمالها مجردة من حرف الجر (من) ، فقد جاءت على هذا النمط من الاستعمال في قول القطامي :

صريع غنوان راقهن ورقنه

لدن شب حتى شاب سود الذائب (١٩١)

فاحتجاج المبرد إذن قائم على استقراء ناقص ، لم يشمل أنماط كلام

(١٨٦) سبأ / ٣١ .

(١٨٧) الأعراف / ١٨٧ .

(١٨٨) أرنج المسك ١٨٩ / ٣ .

(١٨٩) شرح عدة الحفاظ رعدة اللفظ ٣٦٣ والبيت في ديوان المذللين برواية مقاربة ١٩٤ / ٢ .

(١٩٠) الكهف / ٦٥ .

(١٩١) شرح الأشونني ٢٦٣ / ٢ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

العرب كلها ، بل اقتصر على نمط واحد وهو ما ورد في التزليل ، وما ورد فيه لا يع استعمال جميع المفردات العربية ، ولا صيغها المختلفة مع أنه بلا ريب ، يعد نموذجاً فريداً لأساليب العربية وصيغها وتراكيبها ، فضلاً عن أنه أوثق نص صيغت ألفاظه بلغة العرب الخالدة . ومن هنا أثبت غير المبرد من النحاة صحة استعمال مثل (لولاك ، ولولاي ، ولولاه) ، فجاءوا بشواهد من كلام العرب تصحح مذهبهم ، ومنها قول يزيد بن أم الحكم :

وكم مرطن لولاي طحت كما هوى

بأجرامه من قلّة النّيقِ مُنْهَوِي (١٩٢)

فاذا كان سيويه والفراء والمبرد وغيرهم من النحاة قد فاتهم شيء من كلام العرب ، فأصدروا أحكاماً ناقصة أو غير سديدة ، فإن الله تعالى قد قيّض للعربية من استطاع أن يكمل ما فات أولئك الأعلام على سعة حفظهم وكثرة تتبعهم ، فجاءت أحكام العربية في غاية السداد والكمال والشمول .

★ ★ ★

ويتضح مما أوردته في ثنايا هذا البحث أن النحاة قد اعتمدوا المنهج الوصفي القائم على الاستقراء ، فبنوا أحكامهم النحوية على ما استخلصوه من ذلك الاستقراء الواسع لمختلف أنماط الكلام العربي ، واستطاعوا أن يضبطوا قوانين النحو العربي وقواعده الكلية والجزئية ، سواء أكان ذلك متعلقاً بمفرداتها أم كان متعلقاً بتراكيبها ، وأنهم استوعبوا نظم العربية ولم يفتهم من أحكامها شيء ذو بال . ولم يكن للعلوم الكلامية أي أثر في وضعهم تلكم الأحكام والضوابط والقواعد التي بنوا عليها صرح النحو العربي ، وسيبقى عملهم هذا من الأعمال العظيمة التي تعتز بها الأمة طبقة بعد طبقة . فجزاهم الله عنا وعن العربية خير الجزاء .

(١٩٢) الكتاب ٢٨٨/١ ، وانظر كتاب الأزهية ١٨٠ ، ومفني اللبيب ٢١٦/١ وشرح الأشرفي

ابن السيرة في

كتاب اصلاح المنطق لابن السكت

الدكتور محمد صالح التكريتي

جامعة بغداد - كلية التربية

ابن السكت (ت ٢٤٤ هـ) : هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق ،
والسكت لقبُ أبيه اسحاق ، وكان من أصحاب الكاشي عالماً بالعربية
واللغة والشعر ؛ (١) .

شارك يعقوب أباه في مهنة التأديب ، وكانا يؤدبان الصبيان في درب
القطرة ببغداد ، واحتاج الابن الى الكسب ناتجاً الى تعلم النحو .
كان اسحاق رجلاً صالحاً ، حكى عنه : « أنه حج ، وطاف بالبيت ،
وسعى بين الصفا والمروة ، وسأل الله تعالى أن يُعلم ابنه النحو ، قال : فتعلم
النحو واللغة ؛ (٢) .

أخذ يعقوب عن مشاهير الكوفيين كأبي عمرو الشيباني والفرّاء وابن
الأعرابي ، وروى عن مشاهير البصريين كالأصمعي وأبي عبيدة ، وشاه
الأعراب الثقات ، وحكى عنهم .

وتفّلت من العلم والتحصيل ، وبلغ فيهما منزلة رفيعة ، يقول أبو الطيّب

(١) معجم الادباء ٣٠٠/٧ ، ياقوت ، مرجليوث ط ٢ ، مطبعة هندية ، مصر .
(٢) نزعة الالباء ١٢٣ ، أبو البركات الانباري ، تحقيق ابراهيم السمراني بغداد ١٩٥٩ م

الدكتور محمد صالح التكريتي

اللغوي : « وانتهى علم الكوفيين الى أبي يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب » (٣) .

ويشهد الأخير بعلو مكانة ابن السكيت ، ورفيع منزلته حيث يقول : « أجمع اصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أحدٌ أعلم باللغة من ابن السكيت » (٤) .

وقادته شهرته الى تأديب أولاد الخليفة المتوكل ، اكن تلك المهمة كانت وبآلاً عليه ، حيث انتهت به الى حنفة ، تاركاً ثروة علمية طائلة ، متمثلة بالعديد من المؤلفات (٥) ، لعل أشهرها كتاب « اصلاح المنطق » الذي نحن بصددده ، ذلك أن غير واحد من المترجمين والمؤرخين عرّفوا يعقوب به ، فقالوا : « صاحب كتاب اصلاح المنطق » (٦) ويعد « الاصلاح » من أشهر كتب اللغة وأجودها بشهادة العلماء ، قال فيه المبرد :

« ما رأيت للبغداديين كتاباً خيراً من كتاب يعقوب بن السكيت في المنطق » (٧) .

وروى ابن خلكان عن بعض العلماء قوله :

« ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل إصلاح المنطق » (٨) .

(٣) مراتب النحويين ١٥١ ، ابو الطيب اللغوي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٤ م .

(٤) انباء الرواة ٥٦/٤ ، القفطي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ١٩٧٣ م .

(٥) عد له الدكتور رمضان عبد الثواب في مقدمة تحقيقه كتاب « الحروف » للمترجم اكثر من ستين كتاباً . انظر : الحروف لابن السكيت ، مقدمة المحقق ١٧ - ٢٦ .

(٦) انباء الرواة ٥٠/٤ ، وانظر الحروف ، المقدمة ١٨ .

(٧) نزهة الالباء ١٢٤ .

(٨) وفيات الاعيان ٤٠٠/٦ ، ابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧١ م .

ابن السيرافي وكتاب « إصلاح المنطق »

وبالنظر الى مزايا الكتاب صار محط أنظار المتخصصين ، وموضع اهتمامهم وعنايتهم ، يقول حاجي خليفة فيه :
 « وهو من الكتب المختصرة الممتعة في الادب ، ولذلك تلاعب الادباء بأنواع من التصرفات فيه ، فشرحه أبو العباس أحمد بن محمد المُرِّي المتوفى في حدود ٤٦٠ هـ ، وزاد ألفاظاً في الغريب ، وأبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروي المتوفى ٣٧٠ هـ . وشرح أبياته أبو محمد يوسف بن الحسن ابن السيرافي النحوي المتوفى ٣٨٥ هـ ورتبه أبو البقاء عبدالله بن الحسن العكبري المتوفى سنة ٦١٦ هـ على الحروف . وهدّيه أبو علي الحسن بن المظفر النيسابوري الضرير المتوفى سنة ٤٤٢ هـ ، والشيخ أبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي المتوفى ٥٠٢ هـ ، وسماه : التهذيب » (٩) الى غير أولئك ممن تناولوه من جوانب آخر .

إنّ ما يُهمنا في النص السابق هو ذكر ابن السيرافي في جملة من عُنُوا بإصلاح المنطق ، وألقوا في جانب من جوانبه ، ألا وهو شرح أبياته .
 أما ابن السيرافي فهو أبو محمد يوسف بن الحسن ، أبوه هو الحسن بن عبدالله السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) النحوي المشهور ، وأبرع من شرح كتاب سيويه .

ولد أبو محمد في بغداد سنة ٣٣٠ هـ ، ونشأ في كنف والده ، ولم يكن في مستهل حياته متجها نحو الدراسة ولا متطعاً إليها ، بل كان سَمَاناً ، إلّا أن حادثة معينة وقعت بحضوره في مجلس أبيه غيرت مجرى حياته ، فترك من ساعته بيع السمن واشتغل بالعلم الى أن برع فيه ، وبلغ الغاية ، فعمل شرح شواهد إصلاح المنطق ، قال أبو العلاء المعري : وحدّثني من رآه وبين يديه أربعمئة ديوان وهو يعمل هذا الكتاب » (١٠) .

(٩) كشف الظنون ١٠٨ ، حاجي خليفة . استبول ١٩٤١ م .

(١٠) وفيات الاعيان ٧٣/٧ .

الدكتور محمد صالح التكريتي

ولست هنا بصدد إبراز أهمية كتاب ابن السيرافي وتعداد الفوائد التي قدمها للاصلاح ، لان تلك الامور كنت يبتتها مفصلة في دراستي هذا الكتاب الذي قمت بتحقيقه .

إن ما يعني هنا إبراز أهمية جانب واحد مما قدمه شرح الأبيات للاصلاح ، ألا وهو تقديم مواضع كثيرة في الاصلاح المطبوع المحقق ، تلك المواضع بعضها أغلاط مطبعية ، وبعضها من أوهام النسخ ، وقسم يرجع الى مؤلف الاصلاح نفسه ، وقسم آخر يعود الى المحقق ، وهي أمور لا تيسر معرفتها ، ولا يُتنبّه لها لولا كتاب ابن السيرافي ونذكر فيما يأتي تلك التصحيحات .

أ - تصحيح الاغلاط المطبعية :

طبعة الاصلاح المعتمدة في هذا البحث هي الثالثة ، التي أراد لها المحققان الفاضلان أن تكون الاجود ، بيد أنها خرجت وهي محتاجة الى ما سأورده من تصحيحات لاسيما خوار الطبعة من قائمة بتصحيح أوهام الطباعة الامر الذي يجعل إبراد هذه التصحيحات ضرورياً .

١ - جاء في الاصلاح (ص ١٨٢) البيت الآتي :

أقامت به حدّ الربيع وجارها - أخر سلوة مشى به الليل أملح

وردت كلمة « مشى » بالشين كما ترى ، وليست كذلك ، وصوابها :

« مسى » بالسين كما في الطبعة الثانية من الاصلاح نفسه (ص ١٨٢) ، ويؤكد ما نص عليه ابن السيرافي قال :

« وقوله : مسى به الليل ، يريد أنه يجيء مع المساء لانه يسقط بالليل » (١١)

٢ - وجاء فيه (ص ٢٤٣) بيت ابن احمر :

وتراحت أخفاقها طبقاً والظل لم يفضل ولم يكر

(١١) شرح أبيات اصلاح المنطق - قسم التحقيق - ص ٢٨٥ الشاهد ٣٩٥ (مل الالة الكاتبة)

ابن السيراني وكتاب « اصلاح المنطق »

وردت « أخفاقها » بانقاف ، وصوابها « أخفافها » بالفاء .

٣ - وجاء فيه (ص ٢٤٥) ثلاثة أشطار من الرجر ، أولها :

يُلْحِنُ من أصواتٍ حادٍ شَيِّظَم

ووردت الكلمة الاولى بضم الياء وسكون اللام وكسر الحاء كأنها مضارع : ألحن . والصواب : يُلْحِنُ (١٣) بضم الياء وكسر اللام وسكون الحاء مضارع : ألح ، يُقال : ألح : يُلِحُّ إلحاً ، اذا أشفق كما ورد في الشاهد الذي قبله من الصحيفة نفسها .

٤ - وفيه (ص ٢٤٦) ورد قول الكميث :

ولا يصادفن سِرْباً آجناً أبداً

والصواب : سِرْباً بانشين (١٤) .

٥ - وجاء فيه (ص ٢٦٤) عجز بيت لا يرى القيس بالصورة الآتية :

بلاثن خُضراً ، اُزهن قليص

وصوابه : بلاثن (١٥) بانشاء ، كما في الصحيفة ذاتها من طبعة الاصلاح

الثانية .

٦ - وجاء فيه (٣١٠) الشاهد الآتي :

تعرف في أوجهها البشائر

آسان كل أفقٍ مشاجر

(١٢) انظر الاصلاح ط ٢ ص ٢٤٣ تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٥٦ ، والجمهرة لابن دريد ٣٠٧/١ تحقيق كرنكو وزميله . حيدر آباد ١٣٤٤ واللسان : وفق ، كرا .

(١٣) انظر : شرح ابيات الاصلاح ٣٥٠ ، ٣٥١ الشاهدين ٤٩٠ ، ٤٩١ .

(١٤) انظر الاصلاح ط ٢ ٢٤٦ ، وشرح ابيات الاصلاح ٣٥٢

الدكتور محمد صالح الشكريتي

وضُبُطت كلمة (أفق) بضم الحزرة وكسر الفاء ، والصواب

(أفق) (١٦) على زنة فاعل . كما في الطبعة الثانية

٧ - وفيه : (٣٦٥) وإذا نسبت إلى العِضَاءِ قلب عِضَاهِي .

والصواب : ... قلت عِضَاهِي (١٧) :

٨ - وجاء فيه (ص ٤٣١) : « وسمعت نَغِيَّةً من كذا وكذا ، أي شيئاً من خير » .

والصواب : أي شيئاً من خبر (١٨) بالباء .

ب - تصحيح أوهام النسخ :

١ - جاء في الاصلاح (٤١) :

« والنفس : أن تتشر الابل بالليل فترعى ، وقد أنفشتها إذا أرسلتها

بالليل ترعى بلا راع ، وهي ابل تُنْفَاش ، قال الله عز وجل : « إذ نقشت فيه

غنم القوم » . وقال الراجز :

أجريس* لما يابن أبي كيباش* وتنتهي المادة :

ويلاحظ أن البيت الشاهد خال من موضع الاستشهاد ، فليس فيه

كلمة تتصل بالمادة اللغوية التي سبقته ، بيد أن شرح ابن السيرافي يسد النقص

بان يورد أربعة أبيات أولها البيت السابق ، والثاني هو :

فما لما الليلة من* إنقاش (١٩)

(١٥) البلاغ : المياه الكثرة . (١٦) [الآفق : البارع التام .

(١٧) انظر شرح أبيات الاصلاح ٤٧٧ ، الشاهد ٧٠١ .

(١٨) المصدر السابق ٢٧٧ الشاهد ٨٠٤ .

(١٩) انظر : يوسف بن السراي وآثاره اللغوية والنحوية محمد صالح الشكريتي قسم الدراسة ١٠٧ (عل الآلة الكتابة)

ابن السيرافي وكتاب « اصلاح المنطق »

وهذا هو الشاهد ، اكن النسخ اسقطوه ، فلم يظهر في المطبوع .

٢ - وجاء فيه (٥٢) :

« والعَبَلُ : هَدَبُ الأَرطَى اذا غلظ في القيظ ، واحمر ، وصلح أن يُدْبَغَ به ، يُقَالُ : قد أُعْبِلَ الأَرطَى ، قال ذو الرقة :

اذا غابت الشمسُ اتقى صقراتيها بأفتانِ مربع الصَّريمة مُعْبِلٍ »
ويبدو ان معنى البيت يناقض بعضه بعضاً ذلك أن الشمس اذا غابت لا يكون لها صقرات ، ولا يُحتاج الى اتقاء شدة حرها بالغصون ، إن اللبس حاصل من وهم في اول البيت ، وصوابه كما اورده الشارح ، قال :

« اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها »

ذابت الشمس : اشتد حرها ، ويُقال : ذاب لعاب الشمس ، وذلك في أشد ما يكون الحر ، يكون في الشمس مثل اللعاب ، وقال :
وذاب للشمس لعاب فتزل » (٢٠)

٣ - وجاء فيه (٥٤) :

« والقَرَنُ أيضا : الحَبْلُ يُقَرَنُ به البعير المقرون بآخر ، قال الشاعر :

رغا قَرَنٌ منها زكاس عثير »

والنص فيه اضطراب لأن القرن يراد به الحبل والشاهد ليس عليه ، والصحيح ما جاء في الشرح ، قال ابن السيرافي :

« قال يعقوب : القَرَنُ : البعير المقرون بآخر ، وأنشد للاعرور النبهاني :

أقول لها أُمي سايحاً بأرضها - فبئس مناخ النازلين جرير

فلو عند غسان السليطي عرسست رغا قرن منها وكاس عثير » (٢١)

(٢٠) المصدر السابق ١٠٨

(٢١) انظر : يوسف بن السيرافي وآثاره ١٠٨ ، وشرح الشاهد ١٣٨ .

٤ - وجاء فيه (٢٤٨) :

« وَيُقَالُ : قَدْ أَرْهَنْتُ لَحْمَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِذَا أَدَمْتَهُ ، وَيُقَالُ : رَهْنَتُهُ أَيْضاً ، إِذَا أَدَمْتَهُ لَحْمٌ ، وَهُوَ طَعَامٌ رَاهَنٌ » ، رَوَاهُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو ،
رَأَشَدُ لِلْأَعَشَى :

لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا وَهِيَ رَاهِنَةٌ إِلَّا بِهَاتِ وَإِنْ عَدُّوا وَإِنْ نَهَارُوا »

والنص السابق فيه تحريف في أكثر من موضع ، وهو عند ابن السيرافي كالآتي : « قَالَ يَعْقُوبُ : قَدْ أَرْهَنْتُ لَحْمَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، إِذَا أَدَمْتَهُ لَحْمٌ ، وَقَدْ أَرْهَيْتُهُ أَيْضاً عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ إِذَا أَدَمْتُ ، وَهُوَ طَعَامٌ رَاهَنٌ » وَرَوَاهُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو ، رَأَشَدُ لِلْأَعَشَى (٢٢)

[البيت]

ونص الشارح أتم وأضبط ذلك أنه صحح التحريف في النص الأول وهو : رَهْنَتُهُ ، والصواب : أَرْهَيْتُهُ ، وقوله : وَهُوَ طَعَامٌ رَاهَنٌ رَوَاهُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو ، والصواب طعام رَاهَنٌ وَرَاهٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍو . . .

ويؤكد صحة نص ابن السيرافي ما رواه الجوهري ، قال في مادة ، رها : « وَأَرْهَيْتُ لَحْمَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِذَا أَدَمْتَهُ لَحْمٌ ، حَكَاهُ يَعْقُوبُ ، مِثْلُ أَرْهَنْتُ ، وَهُوَ طَعَامٌ رَاهَنٌ وَرَاهٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَي دَائِمٌ . وَأَشَدُّ لِلْأَعَشَى :

لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا وَهِيَ رَاهِيَةٌ [البيت]

ويروى : رَاهِنَةٌ ، يعني الخمر (٢٣) .

(٢٢) شرح أبيات اصلاح المثلث ٣٥٦ ، الشاهد ٥٠١

(٢٣) المصالح ٢٣٦٦/٦ . وانظر : المان : رها .

٥ - وجاء فيه (٢٨٦) :

« وتقول في المثل : « تسمع بالمُعَدِّي لا أن تراه » (٢٤) وهو تصغير مُعَدِّي ، إلا أنه إذا اجتمعت الياء الشديدة في الحرف ، وتشديدة ياء النسبة خُفِّف الحرف المشدد مع ياء التصغير .

وجاء نص يعقوب السابق في اللسان بالشكل الآتي :

« . . . وقال ابن السكيت : هو تصغير مُعَدِّي إلا أنه إذا اجتمعت تشديدة الحرف وتشديدة ياء النسبة خُفِّفَت ياء النسبة » (٢٥) .
ويُفهم من نص الاصلاح أن في مُعَدِّي ياءين مُشَدَّدَتين .
ويُفهم من نص اللسان ان المخفف ياء النسبة في مُعَدِّي .

وليس الامر كما ورد في ذينك النصين ، فلنقرأ النص كما ورد عند ابن السيرافي :

« قال يعقوب : وتقول في المثل ، وهو تصغير مُعَدِّي ، إلا أنه إذا اجتمعت التشديدة في الحرف ، وتشديدة ياء النسبة مع ياء التصغير خُفِّفَت التشديدة » (٢٦) .

هذا هو الصواب ، لان الدال المشددة في مُعَدِّي هي المقصودة بالتشديدة في الحرف ، اجتمعت هي وياء النسبة مع ياء التصغير ، فَخُفِّفَت ، أعني الدال المشددة ، فصارت : مُعَدِّي .

٦ - وجاء فيه (٣٥٧) :

(٢٤) المثل في جمهرة الامثال ٢٦٦/١ لابي هلال العسكري ، تحقيق محمد ابراهيم الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٧٣ م والمتقى في امثال العرب ٣٧٠/١ لزمخشري ، حيدر آباد ١٣٨١ هـ .
ومجمع الامثال ١٢٩/١ ، لبيداني تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مصر ١٣٧٩ هـ .
(٢٥) اثنان : مد .

(٢٦) شرح أبيات الاصلاح ١١٢ ، الشاهد ٥٨٧

« والطريقة أطول ما يكون من النخل بلغة اليمامة ، والجمع طرائق ، قال الأعشى :

طريق وجبار^{٢٧} رواية أصوله عليه أبيابيل من الطير تنعب ،
والشاهد لا ينجم والمادة اللغوية التي سبقتة ، فليس فيه موضع استشهاد ،
مما يدل على وجودهم فيه ، وإنه كذلك ، وهذا نص ابن السيرافي يَصْصَحُه ،
قال :

« قال يعقوب : الطريقة والجمع طريق ، قال الأعشى [البيت] (٢٧)
ويؤكد ورود (طريق) في الشاهد ، وورود النص عند الجوهري ،
قال « قال أبو عمرو : الطريقة أطول ما يكون من النخل بلغة اليمامة ، حكاه
عن يعقوب والجمع : طريق » ، قال الأعشى (٢٨) البيت .
٧ - وجاء فيه (٣٥٩) بيت لأبي ذؤيب بالصورة الآتية :

يراني ناصحاً فيما بدا وإذا خلا فذلك سكين على الخلق حاذق
وأول الصدر فيه انكسار الوزن ، والصواب : يرى ناصحاً ... كما
رواه ابن السيرافي وغيره (٢٩) .

٨ - وجاء فيه (٤٠٦) :

« وافعل بحدائث ذلك الامر ، وبربآن ذلك الامر ... »
وعبارة (بحدائث) إيت صوابا ، يَصْحَحُها نص ابن السيرافي ،

(٢٧) المصدر السابق ٤٦٩ ، الشاهد ٦٨٥ .

(٢٨) الصحاح ١٥١٣/٤ . طرق . تحقيق احمد عبد النفور عطار ، دار الكتاب العربي بدمشق .

(٢٩) انظر : شرح أبيات الاصلاح ٤٧١ الشاهد ٦٨٨ ، وديوان أبي ذؤيب ٢١ نشر يوسف هل

هانوفر ١٩٢٦ م .

وشرح أشعار المذلين ١٥٦ للكري تحقيق عبد الشاراحمد فراج ، القاهرة ١٣٨٤ هـ

والاشتقاق لابن دريد ١٦٩ تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٨ م واللسان : سكن

وهو : « قال يعقوب : افعل ذلك بحيد ثان ذلك الامر وبربانه » (٣٠).
ويؤيده ما أورده الجوهرى ، قال :

« ابن السكيت ، يقال : افعل ذلك الامر بربانه — مضمومة الراء —
أمي بحيد ثانه وجيدته وطراءته ... » (٣١) .
ج — تصحيح الرواية

١ — جاء في الاصلاح (٢٣٢) :

« ويقال : ما أنقر عنه ، أي ما أقلع عنه ... قال الشاعر :

وما أنا عن أعداء قومي بمنقير

وأورد الشارح المادة السابقة وشاهدها ، ثم قال :

« وهذا البيت أنشده أبو زيد لذؤيب بن زئيم الطهوي :

لعمرك ، ما وثيت في ودطسيء وما أنا عن شيء عتاني بمنقير » (٣٢)

٢ — وجاء فيه (٢٤٧) :

« قد أسجد الرجل والبعر إذا طأطأ رأسه ، وانحنى ، قال حميد بن
ثور :

فضول أزميتها أسجدت سجود النصارى لأربابها » (٣٣)

وعقب الشارح على البيت السابق بقوله :

« كذا أنشده : لأربابها بالباء ، والقصيدة رائية ، وقبل هذا البيت :

(٣٠) شرح أبيات الاصلاح ٥١٨ ، الشاهد ٧٨٠ .

(٣١) الصحاح ١٣١/١ : رب

(٣٢) شرح أبيات الاصلاح ٣٣٠ الشاهد ٤٦٣ ، وانظر : نوادر أبي زيد ١١٩ تحقيق سعيد
الشرتوني ، بيروت ١٣٨٧ هـ ، واللان : نقر

(٣٣) على هذه الرواية في الصاجي ٤٦ ، ابن فارس المكتبة السلفية ، القاهرة ١٣٢٨ هـ

فلما لَوَيْنَ على مِعْصَم وكَف خُضِب وأَسوارها
فُضُولَ أَزْمِيَتِهَا أسْجَدَتْ* سَجُودَ النَّصَارَى لأَحْبَارِهَا (٣٤)
هذا هو الرواية . وهذا سهوٌ وقع منه عند الانشاد : (٣٥) .

٣ - وجاء فيه (٣٠٨) :

« وقد أَتَّهَمَ القَوْمُ ، إذا أَتَّروا تِهَامَةً ، قال العبدى :
وإن تُتَّهِمُوا أنْجِدْ خِلافاً عَلَيْكُمْ وإن تُعْمِدُوا مستحقبي الحرب أَعْرِقْ »
وأورد الشارح المادة وأعقبها بيتين ، أولهما :
أَكَلْتُني أدواء قومٍ تَرَكْتُهم فإِلا تَدَارَكُنِي مِنَ الْبَحْرِ أَغْرَقِ
والثاني : الشاهد : فإن تُتَّهِمُوا أنْجِدْ

وقال بعدهما : « الذي أنشِد في كتاب المنطق : فإن تُتَّهِمُوا على
الخطاب ، والذي في شعره :
فإن يُتَّهِمُوا أنْجِدْ خِلافاً عَلَيْهِم . والمعنى عليه » . (٣٦) .

٤ - وقال يعقوب (٣٩٦) :

« الفرجان : سَجْستان وخراسان ، قال حارثة بن بدر الغُداني :
..... على أحد الفرجين كان مؤمري »
في نسبة الشاهد ، وفي روايته غلط ، صحَّحه ابن السيراني ، حيث
أعقب النص السابق بقوله :
« هذا البيت لأنس بن زُئيم ، وهذا الذي أنشده يعقوب بعض بيتين ،
وفي هذا الانشاد فاد ، قال أنس بن زُئيم :

(٣٤) البيتان في ديوانه ٩٦ تحقيق عبد الميزانيني ، القاهرة ١٣٨٤ هـ والانتخاب ١٨٦
لابن السيد البطليوسي ، بيروت ١٩٧٣ م
(٣٥) شرح أبيات الاصلاح ٣٥٤ ، الشاهد ٤٩٧ .
(٣٦) المصدر السابق ٤٢٨ ، الشاهد ٦١٠ .

ابن السيرافي وكتاب « اصلاح المنطق »

بَعَدَتْ اُتْرَضِي عَنْ جِهَادٍ وَصَاحِبِ مُوَاسٍ قَدِيمِ الْوُدِّ كَانَ مُؤْمَرِي
عَلَى أَحَدِ الْفَرَجِينَ ثُمَّ تَرَكْتُهُ وَقَدْ كُنْتُ فِي تَأْمِيرِهِ غَيْرَ مُشْتَرِي (٣٧)
وَعَرَّجَ الشَّارِحُ بَعْدَ الْبَيْتَيْنِ إِلَى ذِكْرِ مَنَاسِبَتِهِمَا .
وَقَدْ فَصَّلَ الْأَصْفَهَانِي الْقَوْلَ فِي مَنَاسِبَةِ الشَّاهِدِ (٣٨) ، مِمَّا يُوثِّقُ رَوَايَةَ
ابْنِ السِّيرَافِيِّ وَتَصَحِيحَهُ النَّسَبَةَ .

٥ - وَجَاءَ فِي الْإِصْلَاحِ (٤٠٧) :

« وَقَدْ جَهَّجَهُ بِالسَّبْعِ ، وَقَدْ هَتَّجَهُجَ بِالسَّبْعِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُقَالُ ، قَالَ
لَيْدٌ :

أَوْذِي زَوَائِدَ لَا يُطَافُ بِأَرْضِهِ يَغْشَى الْمُهْجَاجَ كَالَّذِي نَوَّبَ الْمُرْسَلِ
قَالَ الشَّارِحُ بَعْدَ تَفْسِيرِهِ الْبَيْتَ :

« وَرَأَيْتُهُ فِي كِتَابِ الْمَنْطِقِ ، وَفِي شِعْرِ لَيْدٍ : أَوْذِي ، بِالْجَرِّ ، وَقَبْلَ
هَذَا الْبَيْتِ :

أَوْ كَانَ شَيْءٌ خَالِدٌ لَتَرَأَيْتَ عَصْمَاءَ مَوْلَانَا ضَرَّاحِي مَأْسَلٍ
بِظُلُوفِهَا وَرَقُ الْبَشَامِ وَدُونَهَا صَعْبٌ تَزَلُّ سَرَاتُهُ بِالْأَجْدَلِ
أَوْ ذِي زَوَائِدَ لَا يُطَافُ بِأَرْضِهِ يَغْشَى الْمُهْجَاجَ كَالَّذِي نَوَّبَ الْمُرْسَلِ
وَعِنْدِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ : أَوْ ذُو عَطْفًا عَلَى عَصْمَاءَ ، يَقُولُ : لَوْ كَانَ
شَيْءٌ نَاجِيًا لَنَجَّتْ عَصْمَاءُ أَوْ ذُو زَوَائِدَ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْطَفَ عَلَى الْأَجْدَلِ
لِفَسَادِ الْمَعْنَى » (٣٩) .

(٣٧) شرح أبيات الاصلاح ٥٠٣ الشاهد ٧٥٢ .

(٣٨) انظر : الاغانى ١٥/٢١ - ١٦ ، ابر الفرج الاصفهاني ، تصحيح الشنيطي ، مطبعة
التقدم ، مصر ١٩٠٥ م

(٣٩) شرح أبيات الاصلاح ٥١٨ - ٥١٩ الشاهد ٧٨٢ .

الدكتور محمد صالح التكريتي

وجدير بالذكر ان رواية الاصلاح : أو ذي ، بالجـر ، كما ذكر الشارح ،
ويبدو أن الرواية صُحِّحَتْ بعد ابن السيرافي ، فقد وردت على الصحة في
أكثر من موضع (٤٠) .

د - تصحيح النسبة

١ - جاء في الاصلاح (١٥٣) :

« يُقال : قد زَنَّا : يَزْنَا زَنًّا إذا صَعِدَ في الجبل ... قالت امرأة
من العرب وهي تُرقصُ بَنِيًّا لها :
أشبهُ أبا أمك أو أشبه عمك » [الأبيات] .

وصحَّح ابن السيرافي نسبة الأبيات ، قال :

« ذكر يعقوب أنه لامرأة ، وإنما هو لرجل رأى ابناً له ترقصه أمه ،
فأخذه من يدها ، وقال : أشبه أبا أمك . يخاطب ابنه ، وكان أبو أمه شريفاً
سيّداً ، يقول : أشبه أبا أمك أو أشبه عمي . والرجل هو قيس بن عاصم
المنقري ، وكان أخذ صبيّاً يرقصه وأمّ ذلك الصبيّ منقوسة بنت زيد الفوارس
ابن حصن بن ضيرار الضبيّ ، فجعل قيس يقول :
أشبه أبا أمك ... » (٤١) .

٢ - وأورد صاحب الاصلاح (٢٧٣) عجز بيت لعبدة بن الطيب وهو :

عن قائي لم تخزنه الأحاليل

وروى ابن السيرافي البيت كاملاً ، وهو :

نُمرٌ مثل عسيب النخل ذا خُصَلٍ عن قائي

(٤٠) ورد البيت بالتصحيح ، أو ذر زوائد في شرح ديوان لبيد ٢٧٢ تحقيق احسان عباس
الكويت ١٩٦٢ م وحاشية البحري ١١٨ ، تحقيق كمال مصطفى ، مصر ١٩٢٩ م واللسان :
مجهج .

(٤١) شرح أبيات الاصلاح ٢٥٤ الشاهد ٣٤٤ ، وانظر : نوادر أبي زيد ٩٢ . واللسان : زناً .

وفتره ، ثم قال :

« وأنشده يعقوب لعبدة ، وهو لكعب بن زهير » (٤٢) .

والصحيح نسبه الى كعب كما ذكر صاحبنا ، فالبيت في ديوانه ، وهو الثاني والعشرون من قصيدته المشهورة في مدح الرسول (ص) ، وهي بآنت سعاد (٤٣) .

٨ - إكمال النقص في التحقيق

١ - جاء في الاصلاح (٤٩) :

« والنَّكْدُ : أكلٌ في الضَّيْرُس ، ويكون في القرن أيضا ، واستشهد له يعقوب بيت صخر النفي الحللي :

تيسٌ تُيُوسُ إذا يناطحُها يالم قرنا أرومهُ نقيـد
وضُبطت كلمة (تيس) بالرفع في الاصلاح ، وضبطها الشارح بالنصب وقال بعد تفسير البيت :

« تيسٌ تَيُوسٌ منصوب على الذم ، وقبل هذا البيت :

في المزنِي الذي حششتُ به مالَ ضريك تِلادُهُ نَكِيدُ (٤٤)

وكان قتل رجلا من مزينة ، فلامه قومه ، فقال قصيدة يهجو فيها المزنِي » (٤٥) ويبدو أنه لم يرجع الى المعجم في ضبط الشاهد ، فالكلمة مقيدة بالنصب عند الجوهري ، وقال بعد البيت :

(٤٢) شرح أبيات الاصلاح ٣٩٩ ، الشاهد ٥٦٤ .

(٤٣) ديوان كعب بن زهير ١٣ مصور عن طبعة دار الكتب ، نشر الدار القومية القاهرة ١٣٨٥ هـ ، وانظر : اللسان : حل .

(٤٤) يقال : حششت ماله بـمال فلان اي كثرت به . الضريك : الفقر الجائع . التلاد : المال القديم الموروث عن الآباء . النكد والنكد والنكد : الشرم والمسوم وكل شيء جر على صاحبه شراً فهو نكد . انظر : اللسان : حشش . ضرك . تلد . نكد .

(٤٥) شرح أبيات الاصلاح ٩٩ الشاهد ١١٩

الدكتور محمد صالح التكريتي

« ونصب تيسر على الذم » (٤٦) وهو ما نص عليه ابن منظور أيضاً (٤٧) .
 ٢ - وجاء فيه (٢١٤) :
 « ويُقال : سيري الرجل يري ، ولا : يرو ، وسرو : يرو كله
 غير مهموز ، قال :

..... وابن السري إذا سري أسراهما »

أورد يعقوب عجز البيت ، وضبطت (السري) في المطبوع بضم السين
 المشددة . وعليه يكون البيت من الرجز ، ويؤيد ذلك ان المحقق اورد الشاهد
 في فهرس الرجز (٤٨) .

أما عند ابن السيرافي فقد ورد البيت بتمامه ، وهو :
 إن السري هو السري بنفسه وابن السري إذا سري أسراهما (٤٩)
 فالصواب إذن : وابن السري بفتح السين المشددة وكسر الراء وتشديد
 الياء ، وعليه يكون البيت من البحر الكامل لا الرجز ، وصدره يثبت ذلك .
 ٣ - واستشهد يعقوب (٢٣٢) لقولهم : أداله : يادو له أدوا إذا ختله
 باليت الآتي :

أدوت له لآخذه فبهات الفتى حذرا

وقال بعد البيت : « نصبه على الحال » .
 وضبطت الكلمة الأخيرة في البيت (حذراً) بفتح الدال ، على
 المصدرية وليس الامر كذلك ، لان المراد الوصف .
 وضبطت عند ابن السيرافي بضم الدال (حذراً) قال :

(٤٦) الصحاح ١٨٦٠/٥ : أرم .

(٤٧) القام ٢٨٠/١٤ أرم .

(٤٨) انظر : اصلاح النطق ٥١٢ .

(٤٩) شرح أبيات الاصلاح ٣١٤ ، الشاهد ٤٤٢ .

ابن السيرافي وكتاب «اصلاح المنطق»

« هذا البيت أنشده يعقوب بنصب حذراً ، وعلى ذلك أنشده جماعة من اهل اللغة والرواة ، وأنشده المفضل بن سلمة :
فهيئات الفتى حذر »

وحكاية عن الاصمعي ، وحكي عن أبي زيد النصب : حذراً ، نصب على الحال ، والعامل فيها : هيئات ، (٥٠) .

هذا يضم الذال وضبط عند القالي (٥١) والجوهري وصاحب السط (٥٢) بكسر الذال . قال الجوهري بعد البيت :

« ونَصَبَ (حذراً) بفعل مضمر ، اي لا يزال حذراً ، ويجوز نصبه على الحال ، لان الكلام قد تم بقوله : هيئات ، كأنه قال : بَعُدَ عني وهو حذِرٌ » (٥٣) .

وضبط في اللسان بكسر الذال أيضاً ، فمن أين جاءت فتحة الذال في الاصلاح المطبوع ؟ ولماذا الفتحة ؟ الضم والكسر كلاهما صواب . قال ابن منظور : « رر رجل حذِرٌ وحذُرٌ ... متيقظ شديد الحذر والفرع » (٥٤) .
٤ - وجاء فيه (٢٧٣) :

« جاء في الحديث : « كان رسول الله (ص) يتَخَوَّنَا بالمرعظة » أي يُصلحنا بها ، ويقومُ علينا بها ، وكان الاصمعي يقول : يتَخَوَّنَا اي يتعهدنا . »

وآخر النص عند الشارح : « وكان الاصمعي يقول : فلان

(٥٠) المصدر السابق ٣٣١ ، الشاهد ، ٤٦٤

(٥١) الأمالي ٢٧٤/٢ ، دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ (٥٢) سطر اللال ٣٦٩ ، ٩١٤ ،

أبو عبيد البكري تحقيق عبد العزيز الميني ، لجنة التأليف والترجمة ١٣٥٤ هـ .

(٥٣) الصحاح ٢٢٦٥/٦ : أدا .

(٥٤) اللسان ٢٤٨/٥ : حذر .

الدكتور محمد صالح التكريتي

يَتَخَوَّنَا » (٥٥) . بنونين ، ويبدو أن مجيء الفعل في الحديث باللام كان السبب في إيراد قول الاصمعي باللام أيضاً . لكن الذي يؤيد صحة رواية ابن السيرافي ما ذكره الجوهري قال :

« ... والتخوّل : التعهد ، وفي الحديث (كان النبي (ص) يتخوّلنا بالموعظة مخافة السّامة ، وكان الاصمعي يقول : « يتخوّننا » بالنون ، أي يتعهدنا » (٥٦) ونجد الأخير قد نص على النون دفعا لما يُتَوَهَّم أنه باللام مثل ما حصل في الإصحاح المطبوع .

٥ - وجاء فيه (٢٩١) :

« وتقول للرجل اذا استزدته من حديث أو عمل : إيه ... فاذا أسكتته وكففته قلت : إيهأ عنا ، فاذا أغريته بالشئ قلت : ويّهأ يا فلان » . وأورد يعقوب شواهد على ذلك منها :

وهو إذا قيل له ويّهأ قل
فانني أحجربه أن يتنكل

وفيما سبق تصحيفان أحدهما في نص يعقوب ، والآخر في البيت الاول اما النص ففيه : فاذا أغريته بالشئ . . . والصواب فاذا أغريته (٥٧) وفرق بين الاغواء والاغراء .

واما الشاهد ففيه ... قيل له ويها قل . والصواب : ويها قل بالفاء ،

(٥٥) شرح أبيات الإصحاح ٣٩٧ .

(٥٦) الصحاح ١٦٩٠/٤ : خول .

(٥٧) قال ابن السيرافي نقلا عن يعقوب :

« وتقول اذا أغريته بالشئ : ويها يانلان . . . » شرح أبيات الإصحاح ٢١ : ويمززه

قول الجوهري : « . . . » وإذا أغريت إنسانا بشئ قلت : ويها يانلان » الصحاح

٢٢٥٧/٦ : ويه ، وانظر اللسان ١٧/٦٠ : ويه .

(٥٨) شرح أبيات الإصحاح ٢٢ : الشاهد ٦٠٢ وانظر : الصحاح واللسان السابقين .

ابن السيرافي وكتاب « اصلاح المنطق »

قال ابن السيرافي : « ... وقوله : فُل : يريد يا فلان وحذف حرف النداء ،
والعرب تجعل في النداء خاصة فل موضع يا فلان ... » (٥٨) .
٦ - وجاء فيه (٣٦٠) :

« والعمل يذكر ويؤنث ، قال الشماخ :
كَانَ عَيُونُ النَّاظِرِينَ تَشَوْفُهَا بِهَا عَكْلٌ طَابَتْ يَدَا مِنْ يَشُورِهَا
قوله : بها يعني بالمرأة ، أي تشوفها العيون .
وعبارة (تشوفها) في البيت وبعده تصحيف ، والصواب : تشوقها
بالتفاف في الموضعين ، قال ابن السيرافي :
« والمعنى : كان عيون الناظرين الى هذه المرأة تشوقها عَكْلٌ ، فهذه
المرأة تشوق عيون الناظرين لينظروا إليها ... » (٥٩) .
وعلى الصحة ورد البيت في مصادر تخريبه (٦٠) .
وبعد : فرب سائل يسأل : لِمَ تُنشر مثل هذه التصحيحات ، وما
قيمتها ؟ فنجيب :

نشرها لأهمية إصلاح المنطق اللغوية ، فهو من أمات كتب اللغة ، ونواة
المعجم العربي ، ولانه محقق على أربعة اصول قيّمة من قبل اثنين من رواد
التحقيق وعلمائه المعاصرين هما الاسناذان عبدالسلام محمد هارون واحمد
محمد شاكر .

وطبيعي أنهما لم يألوا جهداً في تصحيحه ، وضبطه وتنقيحه ، لكنه
على الرغم مما بذلاه - مشكورين - من جهد ، يظل الكتاب في حاجة الى
ما قدمنا من تصحيحات . آمليْن أن يُفاد منها في المستقبل .

(٥٩) شرح أبيات الاصلاح ٤٧٣ ، الشاهد ٦٩١ .

(٦٠) انظر : ديوان الشماخ ١٦٣ تحقيق صلاح الدين الهادي ، دارالمعارف بدمشق ١٩٦٨ م
والمحكم ٣٠١/١ ، واللان : عل .

كتاب «المذكر والمؤنث»

لأبي حاتم الجستاني

الدكتور طارق عبيد بن الجناي

كلية بغداد / جامعة الموصل

الرجل :

هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجستاني (١) ، (ت ٢٥٥ هـ) البصري الراوية اللغوي (٢) المقرئ المفسر المحدث النحوي (٣) . أخذ عن طائفة من شيوخ عصره المروقيين ، وفيهم : أبو زيد الأنصاري ، والأصمعي ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي ، والاختش الأوسط . وتلمذ له ابن قتيبة وابن دريد ، وسواهما . وقد أحصى له عدد من الباحثين ما ترك من آثار ، وكان أولاهم صنيعاً محقق كتاب (نعت وافتت) حيث انتهت عنده إلى ثمانية وأربعين كتاباً (٤) .

الكتاب :

هو أجل كتب أبي حاتم وأخطرها أثراً في الدرس اللغوي ، وأوسع

(١) النبة إلى سبستان في أطراف غرمانان ، وهو من قبيلة جشم النخيلة من بني لؤي .

(٢) أعد بحثاً لكشف هذا الجانب .

(٣) زعم ابن خلكان (التوقيعات ٢/٤٣١) أنه لم يكن حادقاً في النحو ، وكان إذا اجتمع باللائق تشاغل أو غادر المجلس عشة أن يسأله في النحو . وهذا القول مقبول بما أورده السمراني (أخبار النحويين البصريين ٥٥) والنزيدي (الطبقات ١٠٠) من أن له كتاباً في النحو ، وقد عدّه الأول في الطبقة الثانية من النحويين البصريين ، وسلّكه الثاني فيهم ، وزعم أنه روى علم سيوريه عن الاختش . وأنه قرأ الكتاب مرتين ، وكانت تقرأ عليه كتب الاختش فيردّها حياً .

(٤) ينظر : مقدمة (نعت وافتت) ص ٣ فما بعدها .

الدكتور طارق عبد عون الجناحي

كتب التذكير والتأنيث الأُمّات لمعاصريه .

ولم يعرف بنسخته النفيسة الفريدة التي لا ثمانية لها في العالم سوى الدكتور نهاد جتين (٥) ، والدكتور رمضان عبدالتراب ، وهي ضمن مجموع رقمه ٢٩٥ تحتفظ به مكتبة (يوسف أغا) بقونية ، وعدد صفحاتها ثمان ومثا صفحة ، في كل صفحة ثلاثة عشر سطراً ، متوسط كلمات كل سطر تسع كلمات (٦) .

تحقيق نسبة الكتاب :

أجمع اصحاب التراجم والطبقات المتقدمون أن لأبي حاتم كتاب « المذكر والمؤنث » لم يشذّ على هذا الإجماع أحد ، وورد في « مجالس العلماء » للزجاجي (٧) أن أبا حاتم اجتمع هو والتوزي عند الأخفش الأوسط ، فقال له التوزي :

ما صنعت في كتاب المذكر والمؤنث ؟ فأجابه أبو حاتم : قد عملت في ذلك شيئاً . ومن ثمة كان العلماء المعاصرون لأبي حاتم يعرفون يقيناً انصرانه الى تصنيف كتاب في التذكير والتأنيث ، وليس من المنطق في شيء أن يكون كتاباً يسيراً صغيراً ، كما صار شأن ما صنّفه كثير من اللغويين فيما بعد ، وشأن الرسالة المختصرة المنسوبة إليه خطأ .

وقد أصبح الكتاب حقاً مصدراً خطيراً الأثر في كتابين هما أجل الكتب المصنّفة في هذا الميدان هما : كتاب المذكر والمؤنث لأبي بكر بن الأنباري ،

(٥) أطلعني الدكتور نهاد جتين عليها محققة حين زرته أنا والمديق الدكتور حاتم الفاضل في معهد الدراسات الشرقية باستانبول صيف عام ١٩٧٥ ، وأغارني مشكوراً بصورة لها ، كانت ملط هذا البحث ، وآخر سيأتي ، وينظر : مجلة الشرقيات ١/٩٣ - ٩٧ .

(٦) مقدمة مختصر المذكر والمؤنث لطفيل بن سلة ٢٤ ، وأعاد الإشارة إليه في كتب تالية ، وهو يتحدث عن تراث العربية في التذكير والتأنيث .

(٧) المجلس ٢١ / ص ٥٠ .

كتاب المذكر والمؤنث

وكتاب المخصص لابن سيدة ، فقد نقلنا عنه نصراً كثيرة (٨) ، وجدها كلها في كتاب أبي حاتم حذو النسخة بالقدرة أحياناً ، وبغير طفيف أحياناً أخرى (٩) . لعل مراد ذلك الى أنهما اعتمدا على نسختين أخريين غير النسخة التي بين أيدينا .

أمّا إذا عدنا الى النسخة المخطوطة من الكتاب ، وهي موضوع بحثنا لفحصها فحسباً داخلياً ، فإننا نجد :

١ . أنه كتب على صفحة العنوان :

« كتاب المذكر والمؤنث تأليف أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني » ،
والنبة واضحة صريحة ، والاسم واضح صريح .

٢ . وأن الكتاب ، مقابل على أصل ، وقد تمت المقابلة بتاريخ يلي سنة ثلاث مئة وأظنها سنة ست وثمانين على أبعد احتمال ، فقد ورد في ختام الورقة الأخيرة عبارة كان واضحاً منها :

« تمت المقابلة في ربيع الآخر من سنة وثلاثمائة » .

وقد وجدت في الصفحة الأخيرة من كتاب سابق من المجموع ،
بالخط الذي كتب به هذه العبارة ما يأتي :

« و فرغت من قراءتي هذا الكتاب علي أبي الحسين علي بن أحمد بن محمد

(٨) الذي اراد ان صاحب المخصص قد نقل ما نقله من كتاب أبي حاتم عن طريق كتاب ابن الانباري ، للتائل الذي يصل أحياناً الى حد التطابق بين عبارتي ابن الانباري وابن سيدة المنسوبين الى أبي حاتم والاختلاف بينهما وبين عبارة أبي حاتم في نسخة كتابه التي بين يدي ، ان تكون النسخة التي اعتمدها ابن سيدة منسوخة عن نسخة ابن الانباري ينظر على سبيل التمثيل : المذكر والمؤنث لابن الانباري ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، والمخصص ١١٩/١٧ .

(٩) ينظر المذكر والمؤنث ومواضع على سبيل التمثيل : ص ١٤٣ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ . والمخصص ١٠٠/١٦ ، ٣٥/١٧ ، ٤٨ ، ١١٩ ، ١٢٦ .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

ابن جعفر بن محمد المهلبّي (١٠) في رجب من سنة أربع وأربعين وثلثمائة ... ، وهذا دليل على وثاقة النسخة من حيث مقابلتها وضبطها وقدها ، ومن حيث خطها النفيس الواضح الذي يرقى الى القرن الرابع الهجري .

٣ . وأن الكتاب برواية أبي الحسن (لعله الأخفش الصغير علي بن سليمان اذ جاء فيه ما نصه (ق ١٣٦ ب) .

قال أبو الحسن : انشدنا أبو العباس المبرد عن الزيادي عن الأصمعي في تأنيث البعير :

لا تبتغي ابن البعير وعندنا عرق الزجاجة
ومعلوم أن كثيراً من رواة الكتب يقحمون فيها شيئاً من أقوالهم أو من رواياتهم وهو ما فعله الأخفش نفسه في روايته لرواد أبي زيد ، وكامل المبرد .
٤ . وقد ذكر أبو حاتم أخذه عن أبي زيد الأنصاري (١١) ، والأصمعي (١٢) والأخفش الأوسط (١٣) ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (١٤) ، وتتفق الكتب التي ترجمت لأبي حاتم ، أو ترجمت لهم على اتصاله بهم .

أما كتاب « المذكر والمؤث » المنسوب الى أبي حاتم ، وقد نشره أستاذنا الدكتور إبراهيم السامرائي في مجلة « رسالة الاسلام » العدد ٧ ، ٨ ، ثم نشرته الدكتور ابتسام مرهون الصفتار في مجلة « البلاغ » .

(١٠) تنزيل مصر ، كان أدبياً لغوياً نحويّاً ، دوى عنه المصريون واكثروا ، وتنافسوا في خطه والرواية عنه (الإنباه ٢/٢٢٢) .

(١١) المذكر والمؤث ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،

١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ،

١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ .

(١٢) ١١٧ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ،

١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٥ .

(١٣) ١٥٧ ، ١٧٩ .

(١٤) ١٧٨ .

كتاب المذكر والمؤنث

أقول : أما هذا الكتاب ، فإن الشك يخترم نسبه إلى أبي حاتم السجستاني لما يأتي :

١ . لم يذكر من ترجم له أن له كتاباً مختصراً في التذكير والتأنيث بإزاء كتابه « المذكر والمؤنث » .

٢ . وأن ما كتب على صفحة العنوان هو « كتاب التذكير والتأنيث للعلامة أبي حاتم رحمه الله تعالى وثقنا بركاته آمين » . هو محمد شمس الدين أبو حاتم السجستاني رحمه الله ، وثقنا بركاته . آمين . وعلى هذا العنوان كله ملاحظ :

٣ . أن العنوان هو (كتاب التذكير والتأنيث) لا المذكر والمؤنث وتسمية الرسالة المحققة باسم (المذكر والمؤنث) تصرف بالعنوان غير مباح .

ب . لم يعرف المترجمون ولا غيرهم لأبي حاتم لقباً هو (شمس الدين) ولم يكن اسمه محمداً ، بل هو سهل بن محمد .

ج . أن العبارة برمتها هي عبارة المتأخرين .

٣ . وحين نعود إلى النص المنشور ، ووصف مخطوطته — على ما ذكر المحققان — وعلى اللوحين المنشورين منه ، نجد غفلاً من اسم الناسخ وتاريخ النسخ ، كما أن ناسخه قد أمعن في العناية بإخراجه منسوخاً بخط الثلث الجلي ، وهو خطأ يتأخر كثيراً عن تاريخ نسخ مخطوطة (المذكر والمؤنث) التي ندرسها .

ويلى البسملة في مطلع الرسالة عبارة : (اختصار التذكير والتأنيث) وهذه العبارة مختلفة عن عنوان الغلاف ، وعن العنوان الذي وضعه المحققان .

وبعد ، أفهذا النص : هو مختصر لكتاب أبي حاتم (المذكر والمؤنث) ؟ من اختصره ؟ أم هو كتاب آخر له أو لغيره ؟

الدكتور طارق عبد عون الجناحي

حين عدت الى الاختصار والكتاب أوازن بينهما ، وقفت على :

- ١ . اختلاف في ترتيب المواد المذكورة والمؤنثة بين الاختصار والكتاب .
- ٢ . وورود ألفاظ في الاختصار ليس لها ذكر في الكتاب .
- ٣ . واحتواء الكتاب على الفاظ شتى خلا منها الاختصار .
- ٤ . وأن الاختصار ليس اختصاراً ، بل هو التقاط هيئ يسير .

ومن ثمة رجح عندي أن الاختصار ليس لأبي حاتم ، لم يضعه وضعاً منفصلاً ، ولم يجرّده من كتابه ، كما لم يختصره أحد من كتاب أبي حاتم .

ولعله من وضع شخص لا يعرف من اسمه إلا (محمد شمس الدين) فأضاف إليه النسخ اسم (أبي حاتم السجستاني) وهماً أو جهلاً أو ترويحاً له . وعلى هذا ، فإن ما ذكره الدكتور رمضان عبدالقوّاب من (أن منه مختصراً مخطوطاً بدار الكتب) ، وهو يشير إلى الاختصار ، قول مرسل إرسالاً بلا قرينة ، وهو معتمد على فرض لم يتحقق من صدقه ، إذ إن إشارته إلى وجود مخطوطة كاملة من كتاب « المذكر والمؤنث » بقونية (١٥) مستفادة - في تقديري - مما كتبه الدكتور نهاد جتن (١٦) ، ولم يتسنّ له أن يوازن بين الكتابين ، ولووازن إذن اكان له قول آخر .

وقد تحدث الدكتور رمضان بعدُ عن الاختصار ، فقال : « وكتب تحته : « هو محمد شمس الدين أبو حاتم السجستاني » ، وهو تحريف عجيب ، صوابه : (سهل بن محمد أبو حاتم السجستاني) » .

وليس الأمر كما ذكر ، وقد بينت البب واضحاً ، وإذا عرف البب بطل العجب ، كما يقولون .

(١٥) مقدّمه لمختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلة ص ٢٤ .

(١٦) مجلة الشرقيات / العدد ٨٧/١ - ١١٨ .

مصادره :

تجدد مصادر أبي حاتم في كتابه :

آ . فيما سمعه هو أو رواه عن العرب .

ب . فيما سمعه أو رواه عن اللغويين البصريين : أبي زيد الأنصاري والأصمعي : والأخفش الأوسط ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، ويونس ابن حبيب (١٧) .

وكانت روايته عنهم ، سوى يونس ، بقوله : (سمعت) و (سمعت من) و (أخبرني) و (حدثني) و (زعم) و (قال) و (سألت) و (أنشدني) و (أنشدنا) .

وسأذكر فيما يأتي جميع ما أفاده من هؤلاء منسوقاً على الصفحات محققاً ومعارضاً على النظائر :

أولاً : أبو زيد الأنصاري .

- ١ . « وحدثنني أبو زيد الأنصاري أن رؤية بن العجاج كان يقول للبرذون قرب ذلك الدابة ، لأن الدابة للذكر والانثى . » (١٧)
- ٢ . « وأخبرني أبو زيد أن العرب تقول صبي يتيم للذي مات أبوه وأما اليتيم من الدواب فالذي مات أمه . » (١٨)
- ٣ . « وحدثنني أبو زيد الأنصاري أنه سمع من بعض العرب : وكيلات ، وحرّيات وعدلات . » (١٩)

(١٧) ١١٦ أ ، في الأصل (قرد) موضع (قرب) ، تعريف . وفي المان (دب) ٣٥٧/١ أنه ذكر عن رؤية أنه كان يقول : قرب ذلك الدابة لبرذون له . وذكر أنه يقع على الذكر والمؤنث وحقيقته الصفة .

(١٨) ١١٨ ب ، وفي المان (يتم) عن ابن السكيت أن اليتيم في الناس من قبل الأب . وفي البهائم من قبل الأم .

(١٩) ١٢٢ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الأثير ١٤٩ : « وقال أبو زيد الأنصاري : سمعت العرب تقول : وكيلات ، فهذا يدل على وكيلة . » وفي المختصر ٣٦/١٧ : =

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

- ٤ . « فقالوا : هذا كم » ، وهذان كآن ضحمان ، وهذه ثلاثة اكثر ، قال ابو زيد الأنصاري : من العرب من يقول للواحدة والجمع بالماء وكذلك الجبأة للكمأة الحمراء ، يقال : هذا جبؤ ، هذان جبآن وثلاثة اجبؤ ، والجمع الجبأة ، وقالوا للكمى الايض : هذا فيقّع وثلاثة أفقّع ، وهو الفقعة . قال ابو زيد : وربما قالوا للجميع الفقّع . » (٢٠)
- ٥ . « وقصّ الخاتم مفتوح ، وزعم ابو زيد أن الكسر لغة ، وكذلك كان يقول في حجر المرأة انه قد يقال : حِجر . » (٢١)
- ٦ . « والعنق مذكر ، وزعم الاصمعي انه لا يعرف التأنيث فيه ، وذلك الكلام المشهور ، ورغم ابو زيد انه يؤنث ويذكر » (٢٢) .

- « وربما ادخلوا الهاء فأضافوا ، فقالوا : فلاة اميرة بنتي فلان ، وكذلك وكيلة وسرية ووصية ، وسع من العرب وكيلات . فهذا يدل عل وكيلة ... وقال : هي عديلي وعديلتي بدليل ما حكاه ابو زيد من قولهم : عديلات . »
- (٢٠) ١٢٩ ب ، ١٣٠ أ ، وفي التكملة لفارسي ٣٥٩ : قال ابو عمر (يعني الجرمي) سمعت يونس يقول : هذا كم* ، كما ترى لواحد الكمأة فيذكرونه فإذا ارادوا جمعه قالوا : هذه كأة . قال ابو زيد : قال متجع : كم* واحد ، وكأة لجمع ، وقال ابو خيرة : كأة للواحدة ، وكم* للجميع ، فسر رؤبة بن العجاج ، فألوه ، فقال : كم* وكأة ، كما قال متجع . وفي اللسان (كآ) : وحكى عن ابي زيد ان الكمأة تكون واحدة وجمعا . وفي الصحاح : تقول هذا كم* ، وهذان كآن ، وهؤلاء اكثر ثلاثة . .. وقيل : الكمأة هي التي ال النبرة والسواد ، والجبأة ال الحرة ، والفقعة البيض .
- (٢١) ١٣٩ ب ، وفي اللسان (نصص ٢٣٤/٨) : وقص الخاتم نفسه بالفتح والكسر وفيه . (حجره ٢٣٩) : وحجر الانسان وحجره بالفتح والكسر ... يقال : حجر المرأة وحجرها حفنها .
- (٢٢) ١٤٠ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٢٩٢ : « وقال الجستانی : زعم الاصمعي انه لا يعرف التأنيث في العنق ، وزعم ابو زيد انه يؤنث ويذكر قال الجستانی : والتذكير الغالب عليه . » وفي المذكر والمؤنث لفراه ٧٣ ، انها مؤنثة في قول اهل العجاز ، وهي كذلك عند ابي موسى الخامس (ما يذكر ويؤنث من الانسان والحيوان) ، ويجوز فيه التذكير والتأنيث عند ابن الانباري ٢٩٢ ، وابي البركات في البلغة ٧٢ .

٧ . « وانشدنا ابو زيد لأبي الاخزم التيمي :

مقلصاً بالدرع ذي التفضن (٢٣)

٨ . « والفردوس مذكر ، سمعت ابا زيد يذكر ذلك . » (٢٤)

٩ . « والذراع مؤنثة ، وقد ذكره بعضهم ، واللغة الجيدة التأنيث ،

سمعت اللغتين من ابي زيد . » (٢٥)

١٠ . « وأما ابو زيد فكان يقول لنا كثيراً : في الجسد اربعة اشياء

تؤنث وتذكر الذراع والقفأ والعنق واللسان . » (٢٦)

١١ . « وانشد ابو زيد في أحجية معاينة ، وهو يعني الاسنان :

وسرب ملاح قد رأينا وجوهه إناث أو انه ذكوراً أو اخره . » (٢٧)

١٢ . ويقال مؤنثان ، فإذا ترعوا حرف التأنيث ذكروا ، فقالوا :

وانشدنا ابو زيد :

(٢٣) ١٤٦ ب ، وذلك هل تذكر الذراع ، وهو لغة تميم ، وثمة خلاف فيما نقله ابن الانباري

٣٥١ ٣٥٢ عن الجبثاني ، اذ قال : « وقال الجبثاني : انشدنا ابو زيد والاصمي

لابي الاخزم الحماني : وذكر الرجز ، غير ان ابا حاتم نسب ال ابي الاخزم في ص ١٢١ ،

والذراع عنده مؤنثة .

(٢٤) أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٧١ : « وقال الجبثاني : سمعت ابا زيد

يذكر الفردوس ، ويحتج بقولهم : الفردوس الأعل . » وهو كذلك عند ابن جني في

المذكر والمؤنث له ١٤ ، ويذكر ويؤنث عند ابن الانباري ٣٧ ، ومعناه البثان ذو الكرم ،

معرب عند أغلب أهل اللغة ، عربي عند القراء وابن الانباري .

(٢٥) ١٤٩ ب ، وفي : ابن الانباري ٣٠٢ : « وحكى الجبثاني عن أبي زيد انه قال :

الذراع يذكر ويؤنث . »

(٢٦) ١٥٤ أ ، وفي : ابن الانباري ٣٠٨ : « وقال الجبثاني : كان ابو زيد يقول

كثيراً : في الجسد اربعة اشياء تذكر وتؤنث : الذراع ، واللسان ، والعنق ، والقفأ . »

(٢٧) ١٥٤ ب ، وفي المخصص ١٥/١٧ : « قال ابو حاتم : وانشد ابو زيد في أحجية

وزاد : وأراد الاسنان ، لأن أذانها اثنية والرابعة مؤنثان ، وبتني الاسنان مذكر مثل

الناجذ والفرس والناث .

وأنشد : يرتجج ألياه ارتجاج الوطْبِ » (٢٨) .

١٣ . « وسمعت أبا زيد يقول : سمعت من العرب من يقول : (لاسلم

فاجنح له) مضموم النون ، وذكر ، فقال : له ، ولم يقل : لها . » (٢٩) .

١٤ . « وأما النور من الأنوار فواحد مذكر ، وسمعت أبا زيد يقول :

تصغير النور جماعة النار : نويرات ، وأنير ، مهموز وغير مهموز ، لأنك

تقول : ثلاث أنور فتهمز ولا تهمز . » (٣٠) .

١٥ . « وهو مثل العناق مؤنثة ، وثلاث اعتق : والعنوق ، وأنشدنا أبو زيد :

أنشد من أمّ عَنوقٍ حِمِّحِمِ » (٣١) .

١٦ . « وبما قالوا للجميع : ضُبُع ، مضموم الاول ، أنشدنا أبو زيد

عن المفضل :

يا ضُبُعاً اكلت آيارَ أحمرَةٍ ففي البطونِ وقد راحت قراقرُ

هل غير همزٍ ولمزٍ للصديق ولا تنكي عدوكم منكم أظافيرُ

وأما أبو زيد فأنشدنا : ضُبُعاً ، على لفظ الواحدة » (٣٢) .

(٢٨) وذهب أبو علي الفارسي في (التكملة ٢٤٨) إل غير هذا إذ جعلها حرفين فادريين لا تلحقها التاء في التثنية ، وأنشد الرجز بتأنيث الفعل : ترتجج ... وفي نوادر أبي زيد ٣٩٣ على التذكير ، وينظر هراشه .

(٢٩) ١٥٦ ب ، وفي : ابن الأنباري ٣٦١ ، ٣٦٢ عن السجستاني : « سمعت أبا زيد الاتصاري يقول : ... (وإن جشعوا للسم فاجنح له) فبضم النون ، و (له) على التذكير ... قال أبو بكر : وضم النون لغة معروفة . »

(٣٠) ١٥٨ ب ، ونقل ابن الأنباري ٤٠٨ عن أبي زيد : النور جمع النار ، يقال في تصغيرها : نويرات ، والأنور ، يقال في تصغيره : أنير وأنير ، وأنير وهذه العبارة أوضح .

(٣١) ١٦٢ أ ، ١٦٣ ب ، ونقله ابن الأنباري ٣٩٣ عن السجستاني ، وزاد بعده بروايته منه : سوداء دهاء كلون المظلم .

والعناق : الأنثى من أولاد المزمز ، إذا أتت عليها سنة (الناج / عتق) وجعلها على (عنوق) فادر : والغالب جعلها على (أعتق) .

(٣٢) البيتان في : ابن الأنباري ٩٣ عند أبي زيد عن المفضل وفي ٩٤ : « قال السجستاني : »

- ١٧ . وه الصقر مذكر والانثى صقرة وأنشدنا أبو زيد :
والصقرة الأنثى تبيض الصقراء : (٣٣) .
- ١٨ . قال أبو زيد : يقال للبراة والشواهين ، وغيرها مما يصيد الصقور
قال العجاج : البازي من الصقور . (٣٤) .
- ١٩ . والقليب مذكر ، وثلاثة اقلية ، وهي القلب ، وقد يؤنث
القليب ، أنشدنا أبو زيد .
- وإن أبي (٣٥) كانت لنا القليب . (٣٦) .
- ٢٠ . الصاع مذكر ، وثلاثة اصواع ، وهي الصيعان ، وأنشد أبو زيد :
شريت غلاماً بين حصن ومالك بأصواع تمر إذ خشيت المهالكا (٣٧)
- ٢١ . السلاح مؤنثة ومذكورة . حدثني بذلك أبو زيد عن العرب (٣٨) .
- ٢٢ . السكين مذكر ، لا اختلاف فيه ، سألت أبا زيد والاصمعي

- أنه يانصباً بضم الفصاد والباء ، يزيد الجمع وقد أنكر ابن الأنباري روايته على الجمع ،
لأن الرواية على الواحد ، وهو قد يغني عن الجمع .
- (٣٣) ١٦٦ أ ، وفي المذكر والمؤنث لأحمد بن فارس ٥٩ ، وابن الأنباري ٢٩٣ : « والصقر
ذكر ، وأنشاء صقرة . » وأورد الرجز عن أبي زيد ، وبعده : ثم تغير وتخلي الوكر .
- (٣٤) ١٦٦ أ ، وفي المسان (صقر ١٢٦/٦) عن ابن سيدة : « والصقر كل شيء يصيد من
البراة والشواهين . »
- (٣٥) وست في الأصل : أبا .
- (٣٦) ١٦٧ أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٣٣٥ : « وقال الجستاني : القليب يذكر
ويؤنث ، ويقال في جمعه : أئلة ، والكثيرة القليب ، وقال أنشدني أبو زيد :
- اني اذا شاربني شريب
نلي ذنوب وله ذنوب
وإن أبي كانت له القليب

فأنت ، وهي لغة . »

- (٣٧) ١٦٧ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٣٥٧ : « قال الجستاني : أنشدنا
أبو زيد : ... وذكر البيت
- (٣٨) ١٧١ ، وفي ابن الأنباري ٣٤٩ : « حكى الكسائي والفراء وأبو عبيد ويعقوب أن السلاح
يذكر ويؤنث وقال الجستاني : أخبرني بالتذكير والتأنيث أبو زيد وغيره . »

الدكتور طارق عبد عون الجناحي

وغيرهما ممن أدركنا ، فكلمتهم يذكره وينكر التأنيث ، (٣٩) .

٢٣ . « والعوى ، مقصور ، نجم من النجوم . وحدتني أبو زيد أنه اسم مقصور . » (٤٠)

٢٤ . « وقسا اسم بلد ، مقصور مؤنث ، أخبرني بذلك أبو زيد . » (٤١)

٢٥ . « الأرض مؤنثة ... وسمعت أبا زيد يقول في الجمع عن العرب : أراض . » (٤٢)

٢٦ . « قال أبو زيد : هذا رداي ، وهذه رداتي بآباء . » (٤٣)

٢٧ . « قال أبو زيد : يقال : هو الجر ، وهي الجرّة . » (٤٤)

(٣٩) ١٦٨ أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٣١٤ : « قال الجناحي : هو مذكر ، قال وسألت أبا زيد الأنصاري والاصمعي ... » ، وعن النحائي (قه ٣٢٥) أنه يذكر ويؤنث . وفي نوادر أبي سهل ٤٩٢/٢ : « هذه سكين ، وهذا سكين ، والتوجه التأنيث . » وقال أنفراء ٩٦ : ربما أنث . وفي التاج (سكين ٢٣٨/٩) : وربما ألحقوا فيها آباء ، فقالوا : سكين وفي مجالس العلماء ١٢٩ : أن المازني لا يرى غير التذكير

(٤٠) ١٧٥ أ ، وفي مجالس العلماء ١٩٣ : « قال أبو حاتم : حدثني أبو زيد قال : المواء ، مقصور مؤنث . » ، وفي المقصور والمدود للقال ١٠٧ أنها أربعة أنجم تشبه كافاً غير مشقوقة أو القاء مردودة الأسفل . وفي ابن الأنباري ٤٢١ : والمواء مؤنث مقصور ، اسم كوكب . وينظر : المختص ٨/١٧ .

(٤١) ١٧٥ ب ، وقسا : قيل موضع بالعالية ، وقرية بفسر ، وقارة ببلاد تميم ينظر : معجم البلدان ٤ / ٣٤٤ ، ٣٤٥ . وفي المقصور والمدود للقال ٧ : أن (قسا) عل (فعل) اسم جبل . وفي معجم ما استعجم ١٠٧٣/٣ أن المطرزي حكاه في باب المقصور المدود (قسا) ، كما ذكره في المفرد المدود . وذكر ابن الأنباري أن ذا الرمة قصره وأما (قسا) بتضعيف السين ، فهو من بلاد فارس . وسيأتي .

(٤٢) ١٧٢ آ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١٨٨ : « قال أبو زيد : سمعت العرب تقول في جمع الأرض : أراض ، وأروض . » وهو عن الاختص الأكبر أراض كما في الكتاب ١٩٩/١٢ .

(٤٣) ١٧٨ ب ، وفي المختص ١٧٨/١٦ : والأزار والأزاراة . ما انتزعت به وهو الرداء والرداءة .

(٤٤) ١٨٠ آ ، وفي المختص ١٧٩/١٦ : وقالوا جر رجرة .

- ٢٨ . « الأشدّ يذكر ويؤنث عن أبي زيد ، يقال : هو الأشدّ . » (٤٥)
 ٢٩ . « وحروف المعجم ، أخبرني الأصمعي وأبو زيد النحوي أنها
 تؤنث ، وذلك أكثر ، وتذكر . » (٤٦)
 ثانياً : الأصمعي :

- ١ . « قال لي الأصمعي : أنشدني أعرابي من شق اليمامة بغير هاء :
 يا جارتا بيني فإنك طالق
 فجعله بيناً غير مصرّع ، وأراد : أنك قد طلقت . » (٤٧).
 ٢ . « والعنق مذكر ، وزعم الأصمعي أنه لا يعرف التأنيث فيه ، وذلك
 الكلام المشهور . » (٤٨)
 ٣ . « سألت الأصمعي عن قول طفيل :
 إذ هي أحوى من الربيع حاجبه والعين بالإثمد الحاري مكحول »

- (٤٥) ١٨١ ب وفي المذكر والمؤنث لابن الأنبار ٤٣٥ : « وقال الجستانی قال أبو زيد :
 الأشدّ يذكر ويؤنث ، من قولهم بلغ الرجل أشده . يقال هو الأشدّ وهي الأشدّ ، والأشدّ ،
 أربعون سنة على مثل الأقوال : قال تعالى : « حتى إذا بلغ أشده ، وبلغ أربعين سنة . »
 (٤٦) وفي (المذكر والمؤنث) لابن الأنباري ٤٥٠ : « وقال الجستانی : أخبرني أبو
 زيد والأصمعي أن حروف المعجم تذكر وتؤنث ، والتأنيث أكثر وأعرف . » وقال
 الفراء ١١٠ : « كل شيء من حروف أب ت ث يقع عليه المعجم فهو مؤنث وما لم يقع
 عليه المعجم فهو مذكر . » وقال في ١١١ : « وحروف المعجم كلها إناث ولم نسمع في
 شيء منها تذكيراً في الكلام ، وقد يجوز تذكيرها في الشعر .
 (٧) ١١٧ أ ، ب ، وهو صدر بيت للاعشى :

- يا جارتا بيني فإنت طالقة كذاك أمور الناس غاد وطارقه
 وقد وردت (طالق) لتأنيث ، لأنها على (تطلق) ، وقال الفراء ٥٨ : « وربما أتى بعض
 هذا بالهاء في الشعر ، وليس ذلك يحسن في الكلام . » وفي ابن الأنباري ١٤٢ : « وقال
 الجستانی : حدثني الأصمعي ، قال : أنشدني أعرابي من شق اليمامة بغير هاء : بيني
 فبانك طالق . جملة ... »
 (٤٨) ١٤٠ ب في ابن الأنباري ٢٩٢ : « وقال الجستانی : زعم الأصمعي أنه لا يعرف
 التأنيث في العنق . » وفي التكملة للفارسي ٣٩٢ : « والعنق يذكر ويؤنث عن أبي زيد ،
 وقال الأصمعي : لا أعرف فيه التأنيث . » وينظر الفقرة (٥) فيما كتبت عن أبي زيد .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

فقال : اراد : حاجبه مكحول ، والعين . (٤٩)

٤ . « ويقال : عجيزة المرأة ، قال الاصمعي : ولا يقال للرجل ، الا على التشبيه . » (٥٠)

٥ . « وقال لي الاصمعي : القفا مؤنثة ، ولا يذكرها أحد (٥١) ، فعجبت منه ، وحكى لي عن الحللي قوله :
« هي قفا غادر شر »

ثم انشد مرة اخرى :
و هل جَهِائَتْ يا قُفَيَّ التَّفُلَّةُ

فقلت : ألا قال : يا قفية (٥٢) ؟ ألم ترعم ان القفا مؤنثة ؟
فقال : دع ذا ، كأنه يقول : الرجز ليس بعثيق ، كأنه من قول
لخاف (٥٣)

(٤٩) ١٥٢ ، وفي ابن الأنباري ٢٨٣ : « وقال يعقوب : قال الاصمعي : ذكر (مكحولا) ، لان المعنى : حاجبه مكحول ، والعين ايضاً . » ويظهر : التكلفة للفارسي ٢٩٧ فقد نقل عن المازني وغيره عن الاصمعي انه كان يتأوله على « اذ هي احوى ، حاجبه مكحول ، والعين بالاشد . » وجعل الفراء ٨١ تذكير العين ضرورة ، لان العرب « تجترى » قل تذكير المؤنث اذا لم تكن فيه الهاء .

(٥٠) ١٥٣ أ ، وفي ابن الأنباري ٢٠٤ : « ويقال : هي عجيزة المرأة ، قال الاصمعي : لا يقال للرجل الا على التشبيه . » ولم يزل النقل الى أبي حاتم .

(٥١) والقفا يذكر ويؤنث عند الفراء ١٠٣ وابن الأنباري ٢١٩ وقال : « والتذكير اغلب عليه » : وعند أبي البركات في البلغة ٧٢ ونقل انكار الاصمعي لتذكير . وفي التاج (قفا ١٠/٢٢٩) : وقال أبو حاتم : زعم الاصمعي ان القفا مؤنثة لا تذكّر . « ومر أن أبا زيد يميز الوجهين .

(٥٢) لان التاء تلتحق بمصدر المؤنث الثلاثي ، الا في الفاظ معدودة ، وعدم لحاق التاء ، هنا ، دليل تذكيرها ، كما زعمنا ، وقد وهم الرجلان معا : الاصمعي وأبو حاتم ، فـ (قفي) ، هنا مرغمة بحذف التاء .

(٥٣) يقصد به خلف الاحمر البصري الراوية .

أو بعض الموالدين . (٥٤) .

٦ . « والضرس مذكر ، وربما أنثوه (٥٥) ، زعموا على معنى السن ،
وانكر الأصمعي تأنيثه ، فأنشدنا قول دكين الراجز :

فُتِثت عين وطنت ضرس

فقال : إنما هو (وطن الضرس) ، فلم يفهمه الذي سمعه ، خطأ
سمعه . (٥٦) .

٧ . « الخمر مؤنثة ، وقد يذكرها قوم فصحاء (٥٧) ، سمعت ذلك
ممن أثنى به منهم وكان الخمر المدام من الأسفط ممزوجة بماء زلال (٥٨)
وكان الأصمعي ينشده بحذف نون (من) في الإدراج :
وكان الخمر المدامة ميل أسفط (٥٩) ممزوجة بماء زلال
على التأنيث . (٦٠) .

(٥٤) ١٥٣ ب ، ١٥٤ أ ، وفي ابن الأنبار ٢٩٩ : « وقال الأصمعي : لا أعرف في التقا
الا التأنيث ، وقال : فسميت من قوله ، قال : وحكي عن الهذلي في حديث : « هي تقا
غادر شر » .

وهو في المتصور والمدود لقالي : باختلاف يير والمعنى عليه .
(٥٥) وقال الفراء ٨٩ : « والاسنان كلها إناث . . . إلا الأنياب والأخراس » ، فأنها ذكران .
وينظر : ابن الأنباري ٢١٤ ، وإليه ذهب الخامس ٢٦ .

(٥٦) ١٥٤ ، وفي ابن الأنباري ٢١٤ : « وقال الجستاني : ربما أنثوه على معنى السن ،
قال : وانكر الأصمعي تأنيثه ، قال : فأنشدناه . . . وفي القسطن (خرس) أن ابن
سيدة يذكر الضرس ويؤنثه .

(٥٧) وذهب الفراء ٨٣ إلى أن الخمر أنثى ، وربما ذكرها .

(٥٨) في المذكر والمؤنث للفراء ٨٣ ، وابن الأنباري ٣٣٨ : (العتيق) موضع المدام ، قال
الفراء : وقد ذكرها الأعشى ، فقال (العتيق) ، ثم رجع إلى التأنيث ، فقال : ممزوجة ،
وقد تأولها هو وابن الأنباري على أن (عتيق) بمعنى (قليل) أي : معتقة ، لأنها من الأوزان
التي يستوي فيها المذكر والمؤنث .

(٥٩) في الأصل : مل الأسفط .

(٦٠) ١٥٥ ب ، وفي ابن الأنباري ٣٣٨ : « وقال الجستاني : الخمر مؤنثة ، وقد يذكرها »

٨ . « حدثني الأصمعي عن يحيى بن يعمر ، قال : ضرب بعض الولاة اعرابيا في شيء استودعه ، ألفا ، فقال : والله ما هذا الا أثياب في أسفاط . » (٦١)

٩ . « وانشدنا الأصمعي لبعض الخوارج ، وقال : ليس لامية بن ابي ابي الصلت :

مَنْ لَا يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا أَلَمُوتْ كَأْسٌ قَالِمُهُ ذَائِقُهَا
قال : لا يقال : للموت كأس ، انما هو الموت كأس ، وقطع الف الوصل ، لانها في مبتدأ النصف الثاني ، فاحتمل . » (٦٢)

١٠ . « قال الأصمعي : قال بعض الأعراب : موسى خذمة ، في جزور سينمة ، في غداة شبية ، الخذمة : القاطعة ، والسينمة : العظيمة السنام ، والشبمة : الباردة . » (٦٣)

بعض الفصحاء ، قال : سمعت ذلك من أئق به منهم ، قال : وكان الأصمعي ينكر التذكير ، فأنشده قول الاعشى وكان الأصمعي يحذف ثون (من) في الإدراج ، وتلك لغة مشهورة معروفة .

(٦١) ١٥٩ أ ، ينسب القول إل عيسى بن عمر الثقفي ، وقد كان صاحب تغيير في كلامه :

والروائي هو يوسف بن عمر . ويعني : بألف ألف سوط . ينظر معجم الادباء ١٤٨/١٦ .

(٦٢) ب ، وفي ابن الأنباري ٤١٣ : « قال السجستاني : لا يقال : للموت كأس انما هو :

الموت كأس : قال : وقطع الف الوصل لانها في مبتدأ النصف الثاني وهذا محتمل . انشدناه

الأصمعي لبعض الخوارج ، وقال : ليس لامية بن أبي الصلت . » وقد وهم ابن الأنباري

في النقل مرتين : الاول في نية المقالة ال السجستاني وهي للأصمعي برواية السجستاني ،

والثانية : انه روى (لكأس) بفتح اللام عل الابتداء ، وهي عند السجستاني بكسر

عل الجر على معنى الاضافة . وينظر اختلاف الاقوال والتخريج في هامش ابن الأنباري

ص ٤١٣ .

(٦٣) ١٦٠ ب ، والقول شاهد عل تأنيث موسى ، وفيه تفصيل . ينظر : ابن الأنباري ٣٢٧ -

٣٢٩ ، والمختصر ١٧/١٧ ، ١٨ فقد ذكر فيه التأنيث والتذكير ، ونقلنا عن الاموي

انفراده بإيراد التذكير حسب ، وهي عند القراء ٨٦ انثى ، وينظر اللسان (موسى) .

١١ . « السكين مذكر ، لا اختلاف فيه ، سألت أبا زيد والاصمعي وغيرهما ممن أدركنا فكلهم يذكّره وينكر التأنيث ، وأنشد الاصمعي للهذلي :
يُرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا فذلك سكتين على الحلقِ حاذقُ » (٦٤)
١٢ . « وأما قولُ رؤبة بن العجاج :

أجز بها (٦٥) أطيّب من ربيع الميسك .

فإنه احتاج فحرك السين ... وأما الاصمعي ، فقال : الميسك ، ففتح السين وجعلها جمعاً مؤنثاً كقولك : سيدة وسيدر ، وخيرقة وخيرق . » (٦٦)
١٣ . « وقال الاصمعي : قال فلان : كان كثير عزّة كربجاً ، يعني أنه كان له حانوت يبيع فيه الخبيط (٦٧) ، والعلف ، فظن أنه هو الكريج . » (٦٨)

١٤ . « وأنشدنا الاصمعي لابن احمر :

- (٦٤) ١٦٨ ب ، وينظر فقرة (٢١) عن أبي زيد ، وحاشه ، وفي ابن الأنباري ٣١٤ : « قال : وأنشدني الاصمعي للهذلي : ... »
(٦٥) في الأصل : احرها ، تحريف .
(٦٦) ١٦٩ أ ، وفي ابن الأنباري ٣٨٥ نقلاً عن الجستاني : « وقال في قول رؤبة بن العجاج : أجز بها أطيّب من ربيع الميسك .
كسر السين اضطراراً . . . قال : وكان الاصمعي يشد بفتح السين : الميسك ويقول : هي جمع مسكة ، كقولك : خرقه وخرق ، وقربة ، وقرب .
وقول الجوهري والمصاغاني : إنما حركها بالفتح اضطراراً . (التاج / مك) ١٧٧/٧ .
(٦٧) الورق الساقط ، تلف به الأيل . (: اللسان / خبط)
(٦٨) ١٦٩ ب ، وفي ابن الأنباري ٣٣١ : « وقال الاصمعي : قال فلان الاعرابي : كان كثير عزّة كربجاً ، وزعم أنه كان يبيع الخبيط والثوى والعلف في طريق مكة في حانوت ، والكريج هو البقال ، أو الحانوت ، ذكر ذلك الجستاني ، وفي الألفاظ الفارسية المربة لادي شير ١٢٤ : القريج : الحانوت مربب كربة .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

- ثمل رمته المنجنون بهمها — ورمى بهم حريمة لم يصطد (٦٩)
 وانشدنا الأصمعي : ومنجنين كالأتان الفارق . (٧٠)
 ١٥ . وثبير اسم جبل ، مذكر ، قال الأصمعي : هي أربعة اثيرة : ثبير
 عيناء وثبير كدا ، فأربعة تدل على تذكير الواحد . (٧١) .
 ١٦ . « وانشدني الأصمعي :
 من اهل فسا ودرا يجرد
 وهما من بلاد فارس ، وقال الأصمعي : الدرا وردى منسوب الى درا يجرد
 وان اصلها منها . (٧٢)
 ١٧ . « وقال أبو عبيدة (٧٣) هذا ازاري ، وهذه ازارتي ، بالتاء (٧٤) .
 وانشدنا :

- (٦٩) ١٧٢ أ ، واليت في ابن الأنباري ٤١٧ والمخصص ١٧/١٧ عن الأصمعي
 (٧٠) ١٧٢ أ ، ومناطه ان (المنجنين والمنجنون) نعتان ، وهي التولاب ، قال به الفراء
 وأبو حاتم ورواه ابن الأنباري ٤١٨ والصاغاني في : ما انفرد به بعض ائمة اللغة ٢٢
 عن الفراء .
 (٧١) ١٧٤ ب ، وفي ابن الأنباري ٤٨٠ : « وقال أبو حاتم : سمعت الأصمعي يقول ،
 هي : أربعة اثيرة : ثبير عيناء ، وثبير الاعرج ، وثبير الاحدب ، وثبير كداء .
 فقوله أربعة ، يدل على التذكير . »
 (٧٢) ١٧٥ ب ، في الأصل : فسا ودرا يجرد ودرا وردى ، بالزاي ، تصحيف وفسا انزه
 مدينة بفارس ، ودرا يجرد كورة منها فسا ، وإن كانت هذه أكبر من تلك (ينظر :
 معجم البلدان ٤٤٦/٢ ، ٢٦٠/٤ ، ٢٦١ ، مراد الاطلاع ٥١٩/٢) وفي المعجم
 ٤٤٦/٢ : « قال الزجاجي : النبة اليها على غير قياس . يقال درا وردى (والشاهد
 في المخصص ١٨٥/١٥ .
 (٧٣) أحد موضعين نقل فيها أبو حاتم عن أبي عبيدة .
 (٧٤) ١٧٨ ب وفي ابن الأنباري ٣٦٣ : « وقال أبو عبيدة : هذا ازاري وهذه ازاري ،
 وانشد . . . » ولا يتقم هذا مع انشاد البيت ، لانه كان ينبغي ان يقول :
 وهذه ازارتي ، ولعله وهم وقع لناسخ .

كتبت الشوان ير فل في البقرة والإزارة (٧٥)
والاصمعي يرد هذا الشعر قال : القصيدة مصنوعة ، ولا يعرف الأزار الا
مذكراً . (٧٦)

١٨ . وحروف المعجم ، اخبرني الاصمعي وابو زيد النحوي انها تؤنث ،
وذلك اكثر وتذكر ، قال الراعي : قال الاصمعي : وهو من افصح الناس :
أشاكك آيات أبان قديمها
كما بينت كاف تلوح وميمها
فأنث . (٧٧)

ثالثاً : الاخفش

١ . واما الصفات فلا تصغر بالهاء ، نحو : امرأة عدل ورضاً
وخلق ، فإنها مما زعم الاخفش صفات مذكرة ، وصف بها المؤنث كما
يوصف المذكر بالمؤنث في قولك : رجل ربة وراوية ونسابة . (٧٨)
٢ . قال الاخفش : الانعام تؤنث وتذكر . (٧٩)

(٧٥) وقال ابن الأنباري ٣٦٤ : « وانشدناه عبد الله ، قال انشدناه يعقوب : في البقرة وفي
الإزارة . »

(٧٦) وفي ابن الأنباري ٣٦٤ : « وقال الجستاني : رد الاصمعي هذا الشعر وقال : هو مصنوع ،
وقال : لا يعرف الأزار الا مذكراً . » وفي المخصص ٢٢/١٧ :

« وقد قالوا : إزارة ، وأبأها الاصمعي ، واحتج عليه بيت الاعشى :
كتابت الشوان ير فل في البقرة وفي الإزارة . »

فيقال : هو مصنوع .

(٧٧) ١٨١ ب ، وينظر : الفقرة ٢٨ من أبي زيد ، وفي ابن الأنباري ٤٥٠ : « وانشدنا الاصمعي

الراعي ، وقال : الراعي افصح الناس : أشاكك آيات . » ، وينظر ابن السيرافي ٢٧٥/٢ .

(٧٨) ١٥٧ أ ، وذهب القراء الى انه من باب تغيير المصدر ، لأن الأصل فيه الا يصغر ، قال :

« تصغر الخلق وان كان نعتاً لمؤنث بغير هاء ، وكذلك الجديد ، وما كان من نعت

ليس فيه الهاء ، مثل تركك : عربية محض ، ومضرية قلب ، فيبني ألا تصغر المصدر ،

فان نعت تركته غل حاله بغير هاء ، نقلت : انها لعربية محض من العرب . » ابن

الأنباري ٧٠٧ .

(٧٩) ١٧٩ ب ، وفي ابن الأنباري ٣٤٦ : « قال الجستاني : قال يونس والاخفش :

والانعام تذكر وتؤنث ، فيقال : هو الانعام ، وهي الانعام وينظر ٣٤٧ . »

الدكتور طارق عبد عون الجناحي

رابعاً : أبو عبيدة

١ . « سمعت أبا عبيدة يقول (وريت بك زنادي) ، وهذا مثل يتكلم به هكذا . » (٨٠)

٢ . ينظر الفقرة ١٧ من الاصمعي .

يتبين لنا في ضوء ما عرضنا مما أخذ أبو حاتم :

١ . إن ما أخذه مما يتصل بالالفاظ المذكورة والمؤنثة عن أبي زيد هو ثمانية عشر موضعاً ، وثلاثة مواضع لغوية ، وثلاثة في الدلالات ، واثنان في الجموع ، وواحد في اللغات وآخر في التصغير ، استشهد عليها بأحد عشر شاعداً من الشعر ، وشاهد قرآني واحد .

وما أخذه عن الاصمعي سبعة في الفاظ التذكير والتأنيث ، وأربعة في اللغة ومسألة في النحر ، واستشهد بأربعة عشر شاعداً من الشعر ، ورد واحد ، كما استشهد بأربعة اقوال .

٢ . يبدو لنا أبو زيد أكثر تساهلاً في قبول اللغات ، واختلاف التذكير والتأنيث ، والروايات ، وكان الاصمعي مترمماً قاسياً في القبول أو الرفض والانكار ، فطعن على روايات ، واتهم شعراً بالوضع على الظن بلا تمحيص أو تحقيق ، وتتردد عنده اقوال من نحر : « انه لا يعرف التأنيث » ، « ولا يذكره أحد » ، و « فلم يفهمه الذي سمعه » ، « خطأ سمعه » و « القصيدة مصنوعة » .

وفي ٣٤٨ : « وانكر السجستاني عل أبي الحسن الاخفش وعلم يونس قولهما : الانعام تذكر وتؤنث وقال : تذكير الانعام لا يعرف في الكلام ، ولكن ان ذهب ال النعم لجاز . »

(٨٠) ١٧٦ أ ، وفي ابن الانباري ٣٩٠ : « وقال السجستاني : سمعت أبا عبيدة يقول في مثل : وريت بك زنادي ، وذلك اذا علم الرجل وعلم شيء كان يجهله فأخبر به اثنان فيقول له : وريت بك زنادي ، أي : وضع لي الامر من قبله . »

وغير ذلك . وانكر شعرا استشهد به هو وهما على تأنيث العنق ، ثم ازور عنه بعد ان اتضح له انه شاهد على التذكير ، والتذكير عنده مدافع منكر .

ومن ذلك ان ابا زيد ذهب الى تأنيث (العنق) وتذكيره ، على حين ان الاصمعي يزعم انه لا يعرف التأنيث فيه .

يؤيد ذلك ان ابا حاتم نفسه قال ، وهو يتحدث عن ابي زيد والاصمعي ، وتفاوت مذهبيهما في الرواية : « سمعت ابا زيد يقول : اهل نجد يقولون : اكننت اللؤلؤة والجارية فهي بكنته ، وكنت الحديث وكل صواب ، وكان يتسع في اللغات حتى ربما جاء بالشيء الضعيف فيجري ذلك مجرى القوي » ، وكان الاصمعي « ولما بالجيد المشهور ، وبضيق فيما سواه . » (٨١) ، وانه « كان مولعا بأجود اللغات ، ويرد ما ليس بالقوي » . (٨٢)

واغلب الظن ان ابا حاتم يعني بمصطلح (الضعيف) ما يعنيه النحويون بالقليل ، ويعني بالقوي ما يعنونه بالكثير ، وهو عنده غير منكر ولا مدافع ، دلياه ما ذكره بعد من ايلاع الاصمعي بالجيد الذي هو المشهور ، الكثير وهكذا يبدو فرق ما بين الرجلين : الاصمعي وابي زيد في التضييق ، وهو لون من يئس الاصمعي ، والاتساع في الرواية وقبول اللغات ، وهو لون من مرونة ابي زيد وتسمحه .

٣ . وان ابا حاتم متأثر - غالباً - بأبي زيد اكثر من تأثره بالاصمعي ، فهو اذن ميال - في الأكثر - الى احترام المسموع لا يطرح منه إلا يسيراً ، فلا يضيق في قيود الفصاحة ، وبذلك كان أقرب من الاصمعي الى فهم اللغة وطبيعتها وظواهرها .

٤ . وأن كتاب ابي حاتم كان كتاباً موثوقه أخباره ورواياته ، يعزوها

(٨١) فلت وانكلت لأبي حاتم ٨٨ .

(٨٢) مجالس العلماء ، المجلس ٩٥ ص ١٩٦ .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

الى أصحابها كما كان كتاباً علمياً يجنح الى التفصيل والاحاطة ، فلم يكن إذن كتاباً تعليمياً يسير المأخذ او مقصوداً به المتعلمون المبتدئون .

هـ . وأنه أفادنا في أن ليس ثمة قاعدة مطردة ، ولا سياقاً واحداً في التذكير والتأنيث ، فما نجده مذكراً عند قوم يكون مؤنثاً عند آخرين ، وما جاز فيه وجهها التذكير والتأنيث عند لغوي بناء على السعة والمرونة ، أنكر لغوي آخر أحدهما وارتضى الثاني ، فيما وجدناه في هوامش البحث ، وفي هذا كله دلائل على أن اللغة تجري على رسلها وفق منطقتها هي لا منطق اللغويين .

منهج الكتاب : (٨٣) .

١ - التعلييل .

ابو حاتم السجستاني بصري المذهب ، لما نعلمه من شدة عصبية لم على الكوفيين ، وهو في هذا الباب ينحو منحاتهم ، ويعال لمائل اللغة كما يعالون ، لا ينفك عن ذلك البتة ، وحين يجبهه سر من اسرار اللغة فيه اغماض ، او هو محتاج الى فر فزع الى العقل يستعين به في ازالة هذا الاغماض وتفسيره ، ومن هنا ، غالى في التعلييل ، يصيب حيناً ، ويعثر احياناً ، لما نعرفه عن التعارض كثيراً بين المنطق العقلي الذي سلك سبيله اللغويون وبين المنطق اللغوي ، وهو منطق خاص ، لا يخضع الا لمأماً للمنطق العقلي او الفلسفي . ومن اسس تعليقاته :

أ - الخفة والثقل

يعتد ابو حاتم كثيراً بمسألة الخفة والثقل ، وربط ذلك . فيما يلوح لي - بالاستعمال ، فما كان سائراً شائعاً خف ، وما كان قليل السيولة والشيوع

(٨٣) لم أشأ ان أشير الى موضوعات الكتاب ، فقد اوضحت ذلك في الدراسة التي عقدتها لكتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري والموازنة بينه وبين الكتب النظائر . ينظر من

ثقل ، وتعاور الحركات على حرف مّا دليل ثقل ، وقلتها دليل خفة ، ومن هنا كان الممنوع من الصرف أخفّ من المنصرف ، ولأنّ المذكر أخفّ من المؤنث انصرف الاول في الأعلام ، ولم ينصرف الثاني ، ليكون ثمّ لون من التوازن بين خفيف وثقيل ، وثقيل وخفيف ، قال : (واعلم أنّ المذكر أخفّ من المؤنث ، لأنّ التذكير قبل التأنيث ، ولذلك صرف أكثر المذكر العربي ، وترك صرف المؤنث العربي) (٨٤) وذهب الى أنّ المؤنث النكرة منصرف فإذا سميت به المذكر علماً لم ينصرف ، لأنّ النكرة أخفّ من المعرفة . (٨٥)

ومن ذلك ذهب الى أنّ (العدل نظير الثقل ، فلم يصرف المعدول .) (٨٦) وعالّل عدم لحاق تاء التأنيث للنعوت التي لاحظت للذكر فيه ، نحو : حائض ، وطامث ، وطاق ، بأنّ التاء قد حذفت (٨٧) ، كما حذفت في جمع الأنثى (٨٨) ، لأنّ المؤنث ثقيل ، فيكون ذلك أخفّ له .

ومنه أنّ حذف التاء في (أخ) و (أب) مدّ جاء استخفافاً ، اذ حقّ المؤنث ان يكون (أخة) أو (أخاة) على وزن (قطاة) (٨٩)

ب - الكثرة والتثنية

ويربط ابن حاتم ربطاً شاملاً بين الخفة والكثرة ، الثقل والقلّة ، ويجعل ذلك ذا شبيهة قوية بمسألة الحذف ، فقد زعم أنّ الحذف الذي يلحق المفرد ، كما في الأخ والأب ، إنما يلحق طلباً للخفة ، ذلك لأنّ الواحد

(٨٤) (٢) المذكر والمؤنث ٩٨ ب .

(٨٥) ينظر : المذكر والمؤنث ١٠١ أ .

(٨٦) المذكر والمؤنث ١١٠ ب .

(٨٧) نفسه ١١٦ ب .

(٨٨) نفسه ١٠٩ ب .

(٨٩) نفسه ١٨٨ ب ، وزعم ان (بث) بناء على غير بناء (ابن) .

الدكتور طارق عبد عون الجناحي

الفرد أكثر في الكلام من المثنى والجمع ، فهو أحوج الى الخفة ،
والمثنى والجمع أقل في الكلام فكان الأقل احمل للثقل والأكثر أحوج الى
الخفة ، (٩٠) .

وزعم أبو حاتم أن علة صرف العلم المؤنث الثلاثي اذا سمّي به المذكر
هي قلة حروفه ، فاذا كثرت حروفه لم ينصرف . أمّا المؤنث المختوم
المقصورة فهو لا ينصرف مؤنثاً كان أو مذكراً مستقلاً . (٩١)

ومن ذلك ذهبه الى أن علة عدم احتياج نعت المؤنث الذي لا مذكر له
الى التاء (٩٢) ، ليكون اللفظ أقل وأخف ، (٩٣) وذلك في نحو : حائض
وطامث وقاعد ، وهذا - فيما يبدو لي - وهم وقع لأبي حاتم ، اذ لا ضرورة
لهذه التاء الفارقة بين المذكر والمؤنث . اذ لم يكن ثمة ضرورة للتفريق لاقتصار
هذا النعت على الاناث دون الذكور ، وذلك بمألوف متداول ، ودلياه أن
أبا حاتم نفسه ذكر في موضع آخر أن نعت المذكر الذي لا نظير له في
الاناث غير محتاج الى التاء أيضاً (٩٤) . كما تحذف في كثير من النعوت مما
كان على زنة (فعول) بمعنى (فاعل) ، و (فعيل) بمعنى (مفعول) من

(٩٠) نفسه ١٨٨ ب ، ١٨٩ أ .

(٩١) نفسه ١٠٣ ب .

(٩٢) ريسها أبو حاتم الهاء .

(٩٣) المذكر والمؤنث ١١٦ ، ومن ذلك أيضاً قوله في علة عدم لحاق التاء لبنات الاربعة عند
التصنيف لكثرة الحروف ، ولحاقها بنات الثلاثة حرصاً على بيان التأنيث ، فهذا يعني
أن الميل الى قلة الحروف عند اول من ايفاح التأنيث فيها . (١٣٦ أ ، ١٥٠ أ) .

غير أن أبا حاتم لم يشبه الى انه ذكر ان تصنيف (حرب) و (قوس) ، وهما مؤنثان
ثلاثيان يكون بلا تاء ، فيقولون (حريب) و (قويس) . (١٥٧ أ) ثم علل لها بقوله
(ولا يقال : الفرد الا من النوق ، والتصنيف (ذويد) ، لانها أشبهت المصادر ،
كما اشبهتها حرب وقوس) (١٦١ ب) .

(٩٤) المذكر والمؤنث ١٢١ ب ، ١٧٦ ب ، قال : (ومن صفات الحس العالب والنافض
بنير هاء ، لان هذا المعنى لا يكون في شيء ذكر مثل الحس) .

كتاب المذكر والمؤنث

نحو : شكور وجسور ، سلب وصريع ، وذكر أيضاً انّ نعوتاً هي من من حفظ المؤنث لحقتها التاء ، وحذفها قليل (٩٥) ، نحو : حلوبة ، وركوبة ، قال : (وربما طرحوا أيضاً فقالوا : شاة رغووث وحلوب) واستشهد بقول كعب الغنوي :

بيت الندى يا أمّ عمرو ضجيعته إذا لم يكن في المنقيات حلوب
ويقوله تعالى : (... فمنها ركوبهم ومنها يأكلون .) وقد وردت في مصحف ابن مسعود وأبي (فمنها ركوبتهم) بالتاء ، (٩٦)

وقد علّل أبو حاتم لذلك تعليلاً غريباً إذ جعل نعت المؤنث بالمذكر ونعت المذكر بالمؤنث لوناً من تبادل النعوت قصد فيه العرب الى الموازنة . ولا أرى ثمة ضرورة للافتراض والتحكم التسري بالمنطق اللغوي .

وعلل أيضاً لانفاق نزع الحاء في النعوت التي هي على وزن (فعول) و (فاعيل) بتثاريهما . (٩٧)

ويؤيد ذلك ان ابا حاتم قد ذكر أن الاستغناء عن التاء يأتي حين يكون للمؤنث لفظ خاص ، والمذكر لفظ آخر ، نحو : حمار وأتان ، فاذا كان ثمة شركة بينهما ازم لحاق التاء للمؤنث ، مثلما قالوا : حماراة (٩٨) ومما يرد به عليه أيضاً ما رواه من قولهم : (اذا اتاكم كريمة قوم ناكموه ، وكذلك كريم قوم .) (٩٩)

(٩٥) نفسه ١٢٤ ب .

(٩٦) نفسه ١٢٣ أ .

(٩٧) نفسه ١٢٤ ب .

(٩٨) المذكر والمؤنث ١٣٠ ب . كما قالوا (ضج) للأنثى ، ولم يلحقوا التاء ، لان المذكر

(ضمان) ولو لم يكن الضج مؤنثاً لقالوا (ضجانة) تفريقاً ، ولم يشنوا عن التاء .

(١٣١ ب) ومثله (المقرب الارنب) ، (النسي ، الليل) ١٧٢ .

(٩٩) نفسه ١٢٩ ب .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

ومسألة الخفة والثقل التي وقفنا عندها كانت سائرة في تحليل ما يطرأ على اللغة من تبدلات ، وارتضاها الدارسون حتى العصر الحديث ، غير أن هذه المسألة ليست مطردة لما نجده في اللغة من الظاهرة وعكسها (١٠٠) وفي ظاهرة المنوع من الصرف أمور واضحة في هذا الباب .

٢ - القياس والسمع

أبو حاتم راوية من الرواة (١٠١) ، وهو بصري في الاتجاه العام متعصب شديد العصبية ، وهو من ثمة يلتزم بالمنهج البصري في اعتداده بالقياس ، ولكنه يشرع إلى المنوع ، فإذا لم يجد فيه ما يعضد قوله جرد القياس (١٠٢) ومضى عليه من ذلك :

أ - قال فيما يسميه الصرفيون بتصغير الترخيم ، نحو تصغير ما كان على وزن (أفعل) من الصفات ، مثل : أسود ، على (سويد) بحذف (الالف) .
ب - إذا كان النعت مما يختص به المؤنث لم ينع لحاق التاء به ، وكذا التعرّت التي يشترك فيها المذكر والمؤنث مما كان على (فعيل) ، وفعلول ، ومفعّال ، ومفعيل) وأوزان أخرى وما سوى ذلك دخلت فيه التاء فرقاً بين المذكر والمؤنث ، وهو القياس ، وقد سُمع : رجل عاقر وامرأة عاقر ، وجمل بازل وضامر ، وثاقة بازل وضامر ، لم تلحقها التاء في التأنيث ، لأنها ليست من هاتيك . قال أبو حاتم : (وكان القياس الفصل) (١٠٤) بعلامة التأنيث .

(١٠٠) ينظر : اللغة العربية عبر القرون ٣٧ .

(١٠١) وقد كتب السيد الزبيدي رساله للجشير وعنوانها : أبو حاتم السجستاني الراوية .

(١٠٢) خطبة المذكر والمؤنث ٩٦ ب .

(١٠٣) المذكر والمؤنث ١٧١ .

(١٠٤) المذكر والمؤنث ١٩١ أ .

ج - ويفهم من كلامه أن الخطاب بالفعل (هاء) يكون بلفظة للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع ويقال قياسا على ما في القرآن : (هاؤم اقرأوا كناية) للجميع ، وتقول للواحد الذكر : هاء ، فتفتح الهمزة التي في (هاء) ، وللاثنتين : هاؤما بضم الهمزة ، وتدخل الميم ، كما تقول : عليك وعليكما (١٠٥)

ومن دلائل ترجيحه السماع على القياس أن العرب لم تقل (فرسة) في تأنيث الفرس ، وهو القياس ، قال : (إلا أن كلام العرب لا يخالف إلا ما حكى عن يونس : فرسة وعجوزة) (١٠٦) ، ولأنه لم يكن مطمئنا الى هذه الحكاية كل الاطمئنان ، زعم أن التاء هنا ليست للتأنيث ، وإنما هي لتوكيد التأنيث (١٠٧) ، اذ التأنيث موجود في الاصل لمخالفة لفظ المؤنث لفظ المذكر ..

٢ - الاستطراد

لم يكن كتاب ابي حاتم وقفنا على ظاهرة التذكير والتأنيث ، بل كان يستطرد الى كل ما يتصل بالظاهرة من اللغات (١٠٨) ، ومسائل النحو (١٠٩) والتصريف (١١٠) والدلالات (١١١) ، ولحق العامة (١١٢) ، ووجوه القراءات (١١٣) وسواها بتفصيل واف ،

(١٠٥) نقه ١٩٩ .

(١٠٦) ، (١٠٧) نقه ١٣١ .

(١٠٨) ينظر مثلا : ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٧ ب ، ١٦٨ ب ، ١٧٧ ب ، ١٩٠ ب ، ١٩١ ب ، ١٩٣ ب .

(١٠٩) ينظر : ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٣ ب ، ١٥٢ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ب .

(١١٠) ينظر ١٠٣ ، ١١١ ، ١٤٣ ، ١٧٣ ، ١٨٧ .

(١١١) ينظر : ١١٦ - ١٢١ ب ، ١٦٦ ، ١٧٧ .

(١١٢) ينظر : ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٧ .

(١١٣) ١٢٣ ، ١٤١ ، ١٦٠ ، ١٦٩ .

وسيكون لذلك كله بحث مستقل آت أدرس فيه نحو الجبثاني ولغته .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

مع غزارة الاستشهاد .

٣ - رعايته للقراءات

لأبي حاتم كتاب في القراءات كان يفخر به أهل البصرة ، لأنه كان أجّل كتاب صنف فيها الى زمانه ، وكان من مصادر ابن جنّي في كتابه (المحتسب) (١١٤) ومن ثمة كان أبو حاتم يعتدّ بالقراءات سبعة كانت أم شاذّة ، لا ينكر منها شيئاً ، وهي - عنده - مناط للاستشهاد والتأييد .

من ذلك :

أ - ما كان على زنة (فعول) بمعنى (مشعول) من الصفات تلحقه التاء فرقا بين المذكر والمؤنث ، وقد تحذف ، وفي القرآن الكريم (فمنها ركوبهم ، وما يأكلون .) (١١٥) : (وفي مصحف ابن مسعود وأبي : فمنها ركوبهم .) (١١٦)

ب - ونقل قراءة الحسن في تذكير اللسان : (اللسان الذي يلحدون اليه أعجمي) (١١٧)

ج - وقال تعالى : (بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين) (١١٨) ونقل أبو حاتم قراءة عبد الله بن مسعود : (صفراء لذة) وضع (بيضاء) (١١٩) .

(١١٤) خطبة المحتسب ٣٥ ، ٣٦ .

(١١٥) سورة ياسين ٣٦ / آية ٧٢ .

(١١٦) المذكر والمؤنث ١٢٣ ، وهي قراءة عائشة . وقرأ الحسن والاعشى : (فمنها ركوبهم) بضم الراء ، كما في مختصر ابن خالويه ١٢٦ .

(١١٧) ١٤١ أ ، سورة النحل ١٩ / آية ١٠٣ : « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » ، وقراءة الحسن لا على تذكير اللسان بل على تحليته بالالف واللام . ينظر : مختصر ابن خالويه ٧٤ .

(١١٨) الصفات ٣٧ / آية ٤٥ .

(١١٩) ١٦٠ أ ، وهي قراءة ابن مسعود والحسن والضحاك ، كما في المختصر ١٢٨ .

د - وفي القرآن الكريم : (أولياؤهم الطاغوت يُخرجونهم) (١٢٠)
على أن (الطاغوت) جمع ، ونقل أبو حاتم قراءة الحسن البصري :
(أولياؤهم الطواغيت) على أفراد الطاغوت (١٢١) ، كما نقل قراءة
(أبي) : (يخرجونهم) ، على الجمع المؤنث . (١٢٢) وكل عند أبي حاتم
صحيح صواب .

شواهد :

ناهزت شواهد القرآنية سبعا وسبعين آية ، وشواهد من الحديث
والأثر اثني عشر شاهدا ، ومن الشعر ثلاثة وسبعين ومئة ، أنكر
واحدا منها ، ومن الأرجاز تسعة وخمسين استشهد بإحدا مرتين ،
وكانت شواهد الأخرى أربعة وعشرين قولاً ومثلاً وأحجية ودعاء .
وحين عرضت لشواهد من الشعر والرجز ، وجدت أنه نسب
منها جميعاً خمسة وعشرين ومئة ، ولم ينسب ستة شواهد ومئة ، وقد
بان لي وأنا أنظر في شواهد النسوبة ما يأتي :

١ - أنه نسب خمسا وأربعين شاهدا لشعراء جاهلين هم ، على
التوالي ، حسب عدد مرات ورود اسمائهم .

الاعشى (٩) ، زهير (٧) ، أوس بن حجر (٥) ، النابغة الذبياني
وطفيل الخيل الغنوي (٤) الشماخ (٣) ، امرؤ القيس وعلقمة بن
عبد (٢) ، وطرفة بن العبد ، والعباس بن مرداس ، وليد وحيد
ابن ثور ، واعشى باهلة وأبو الأخزم التميمي والأيادي (لعله لقيط)
وأمية بن أبي الصلت وسلامة بن جندل (١) .

(١٢٠) البقرة ٢/ آية ٢٥٦ .

(١٢١) ينظر : المختصر ١٦ والبحر المحيط ٢/ ٢٨٣ ، وينظر في معنى الطاغوت : تفسير

الطبري ٥/ ٤١٧ - ٤١٩ ، ومجمع البيان ٢/ ٣٦٤ .

(١٢٢) ١٦٩ أ ، ليست من الشواهد .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

٢ - ونسب سبعة شواهد الى شعراء مخضرمين : جاهليين اسلاميين ، هم : الحطيئة (٣) ، النابغة الجعدي ، وحسان بن ثابت وكعب بن زهير (١) .

٣ - ونسب سائر الشواهد ، وعددها ثمانية وستون شاهداً الى شعراء اسلاميين وأمويين ، هم العجّاج (١٢) الراعي وأبو النجم العجلي (٦) ، ذو الرمة ورؤبة (٥) الفرزدق وجريير والاختل (٤) ، الهذلي (٩) وابن مقبل (٣) ، وأبو الاخضر الحيماني ومساعدة بن جؤية (٢) ، ابن همام اللولي ، وبشر بن ابي حازم وكعب الغنوي وعبد الرحمن بن حسان والقطامي ردكين وأبو كبير الهذلي ، والحرثي ، وابن ام صاحب ومعتز وابن احمر الباهلي وعوف بن الاحوص الكلابي (١) .

وثمة شاهدان نسب اولهما للخنسعي وثانيهما لأعرابية .

٤ - وانكر أبو حاتم شاهداً لعمارة بن عقيل ، وهو عباسي ، متابعه للأصمعي ، وان كان عمارة من علماء اللغة والنحو .

٥ - مضى أبو حاتم على ما مضى عليه اللغويون من اقتصارهم في الاحتجاج على شعر شعراء العصر الاولى : الجاهلي فصدر الاسلام فالاموي ، وانكار ما سواه ، مثل انكاره بيت عمارة .

٦ - وأن نسبة الرجز المستشهد به عالية علواً ينبىء بأنّ اللغويين يميلون الى شعر البداوة ، وهو واحد من مقاييسهم في اصالة الشعر وفصاحته .

٧ - ويبدو ان الشعر الذي لم يُعنّ أبو حاتم بعزوه ، هو مما شاع ، وجرى به الاستشهاد عند العلماء ، وبذلك وقع موقع المعزوة من حيث روايته عن الثقات الاثبات .

الر الكتاب فيما نلاه : -

اشرت فيما مضى الى ان لكتاب ابي حاتم أثراً واضحاً في كتاب « المذكر والمؤنث » لابي بكر بن الانباري (١٢٣) ، وكتاب « المخصص » لابن سيدة .

(أ) كتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري :

افاد ابن الانباري من كتاب ابي حاتم افادة مباشرة صريحة في واحد وسبعين موضعاً ، ناقش ابا حاتم في ثمانية منها ناقضاً ما ذهب اليه وناقلاً في ثلاثة وستين موضعاً من غير اعتراض او رد .

وسأذكر ثمة المواضع الاولى ، لبيان وجه المناقشة ، ومثيراً الى ما سواها متبعاً مراضعها من الكتابين (١٢٤) .

١ . قال ابن الانباري : « وقال السجستاني : العرب لا تقول : عجوزة بالهاء ، وهذا خطأ منه ، لأن ابا العباس احمد بن يحيى اخبرنا عن سلمة عن القراء ، قال : قال يونس : سمعت العرب تقول : فرسة وعجوزة ... » (١٢٥)

(١٢٣) ينظر : المذكر والمؤنث ٤١ .

(١٢٤) ينظر الصفحات الآتية من كتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري ، ومراضها :

' ٢٨٩	' ٢٨١	' ٢٨١	' ٢١٤	' ١٤٣
' ٣٠٠	' ٢٩٩	' ٢٩٧	' ٢٩٦	' ٢٩٢
' ٣١٧	' ٣١٤	' ٣١٠	' ٣٠٩	' ٣٠٢
' ٣٢٣	' ٣٢١	' ٣٣٠	' ٣٢٣	' ٣٢٢
' ٣٤٥-٣٤٤	' ٣٤١	' ٣٣٩	' ٣٣٨	' ٣٣٥
' ٣٥١	' ٣٥٠	' ٣٤٩	' ٣٤٨	' ٣٤٦
' ٣٦٢	' ٣٦١	' ٣٥٧	' ٣٥٥	' ٣٥٣
				' ٣٦٤

(١٢٥) المذكر والمؤنث ٨٩ ' ١٠٨ ، وقول القراء في المذكر والمؤنث له ٨٨ .

وقد وقع لابن الانباري من الهم ما لا يجوز أن يقع منه ، وقد فاته أن أبا حاتم قد نقل عن يونس ما نقله هو عن الفراء عن يونس ، ذلك أن أبا حاتم كان يرى أن القياس هو لحاق التاء الفارقة للمؤنث .

ولم يسمع مثل ذلك عن العرب ، إلا أن ما حكاه عن يونس عضد به قياسه ويبدو أن ابن الانباري قد اجتزأ بأول الكلام عن آخره ، قال أبو حاتم :

« وفرس ذكر ، وحجر للأنثى ، وفرس أنثى ، ولم يقولوا فرسة ، وكان القياس أن يقال ، إلا أن كلام العرب لا يخالف ، إلا ما حكى عن يونس : فرسة وعجوزة ، والتاء فيهما تأكيد للتأنيث » (١٢٦) . وهذا يعني أن أبا حاتم قد اعتدّ بالسماع الكثير ، فلم تكن التاء فارقة للتأنيث وهو لم ينكر حكاية يونس للاعتداد بالمسموع أيضا ، فهذه منطقته إلى أن التاء هنا تؤكد للتأنيث المنصوي ، وتحقيق له ، (١٢٧) .

٢ . قال ابن الانباري : « وكان السجستاني يروي بين كليل وأمير وهذا غلط منه ، لأن الأمانة لا تكاد تكون في النساء ، والكفالة تكون في الرجال والنساء ، وقال أبو زيد الانصاري : سمعت العرب تقول : وكيلات ، فهذا يدل على وكيلة . » (١٢٨)

يبدو أن الخلاف هنا آت من خلافهما المذهبي ، فابن الانباري قاس على القليل في مثل (وكيلة) ، فيما نقله عن يونس ، على حين

(١٢٦) المذكر والمؤنث ق ١٣١ .

(١٢٧) المخصص ١٠٠/١٦ .

(١٢٨) المذكر والمؤنث ١٤٨ وينظر : المخصص ١٠٠/١٦ قد ذهب ابن سيده مذهب ابن الانباري ، وانكر ابن سيده أيضا فرسة ١٠٥/١٦ .

كان مذهب ابي حاتم القياس على الشائع والكثير ، غير ان ابا حاتم لم ينكر مقالة ابي زيد ، وانما قبلها ، واستدرك بها اطلاقه القول في التسوية بين المذكر والمؤنث فيما كان من الاوصاف على (فاعل) بمعنى (مفعول) ، وقد رد ابن الانباري على ابي حاتم بما ذكره ابو حاتم نفسه صنيعة في المسألة الاولى ، ثم ان ابا حاتم حكّم القياس في الامر : فهداه ذلك الى ارتضائه ، وان كان قليلا ، قال ابو حاتم : « تقول : فلانة وصي فلان ، وهي كفيلى وعديلى ... لأن الغالب على هذا الباب ، المذكور .

وكذلك فلانة شاهد لي ، وفلانة اميرنا ، وأميرنا امرأة ، وربما قالوا : كفيلة ووصية وجريّة (١٢٩) ، ونحوها بالهاء على القياس ، وعلى شركة المذكر ، قال ابن همام السلوي :
فلو جاؤوا بيرة أو بهند
لبايعنا أميرة مؤمينا » (١٣٠)
وقال بعد ذلك :

« وحدّثني ابو زيد الانصاري انه سمع من بعض العرب :
وكيلات ، وجريّات ، وعدلات . » (١٣١)
ولم يكن ما قاله ابن الانباري مغايراً لهذا ، ولا مختلفاً معه ، وقد ورد له قوله : « وربما ادخلوا الماء ، واضافوا ، فقالوا : فلانة اميرة بني فلان ، ووكيلة بني فلان ، ووصية بني

(١٢٩) والجري : الوكيل ، الواحد والجمع والمؤنث في ذلك سواء . (السان / ج ١ / ١٤٢/١٤٢) ، ونقل عن ابي حاتم قوله : وقد يقال للأنثى : جرية بالهاء . ومن معاني الجري : الرسول والخادم .
ونقل صاحب المخصص ٣٥/١٧ ان ابا حاتم قال : وقد قالوا في المؤنث جرية ، وهو قليل .

(١٣٠) المذكر والمؤنث ١٢٢ أ .

(١٣١) نقه ١٢٢ ب .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

فلان . ١ (١٣٢) ، ثم استشهد بيت ابن همام اللولي .

ولو جمعنا ما تفرق من كلام أبي بكر بعضه الى بعض ، وقابلنا به كلام أبي حاتم ، لوجدناهما متطابقين في الدلالة كل التطابق ، وان اختلفا في العبارة بعض اختلاف ، ومن هنا لم يكن لظن ابن الانباري على أبي حاتم من موع .

٣ . قال ابن الانباري : وقال السجستاني : الرجل من كل شيء مؤنثة وقال : الرجل من الجراد مؤنثة ، وقال : وهي بمتزلة الخارقة من الجراد ولم يحك تأنيث رجل الجراد عن احد ، انما قاله بالقياس والرأي ، والتباس يوجب تذكره ، لأنه بمتزلة السرب . ٤ (١٣٣)

اما الحكاية التي يعتد بها ، وتنسب الى صاحبها ، فهي المخالفة للمألوف الشائع ، وليس ثمة خروج على العموم ، واما القياس الذي استشفه ابن الانباري ، واترض خطأه ، فليس بصواب ، فقد كان قياس أبي حاتم على ان (رجل الجراد) هي بمعنى (خارقة جراد) ، أي : (قطعة منه) ، وكل مؤنث ، فقياسه اذن ، صحيح . قال أبو حاتم : « والرجل مؤنثة وثلاث ارجل ، وليس لها جمع غير الارجل ، وكذلك رجل من جراد ومن دبا ، وخارقة من جراد ، أي : قطعة منه . ٤ (١٣٤)

أما حجة على ان معناه (السرب) ، هو مذكر ، فالقياس التذكير فذلك اقراض هو من شأن أبي بكر ، فإذا كان له ما يعضده من

(١٣٢) المذكر والمؤنث ١٤٨ .

(١٣٣) المذكر والمؤنث ٢٠٠ .

(١٣٤) المذكر والمؤنث ١٥١ ب ، ١٥٢ أ .

المسروع جاز وإلا فمقالته ليست صحيحة ، ولم يك ما أورده أبو حاتم مجانباً للصواب .

٤ . قال ابن الأنباري : « والعائق من الإنسان ، قال الجستاني : هو مذكر وانكر التأنيث ، وهذا خطأ منه ، لأن أبا العباس أخبرنا عن سلمة عن القراء أن العائق تذكر وتؤنث ، وأنشدنا سلمة عنه في التأنيث :

لا صلح بيني فاعلموه ولا بينكم ما حملت عاتقي
سيفي وما كنا بنجد وما قرقر قصر الراد بالشاهق (١٣٥)
وقد أنكر أبو حاتم ورواية التأنيث ، كما رد البيت بقوله :
« وأنشدوا فيه بيتاً ليس بثبت ولا عن ثقة » (١٣٦)

والبيتان ، في واقع الامر ، لهما واضحى النسبة ، إذ يتنازعهما هماويثاً ثانياً أكثر من شاعر ، والخلاف ثمة مذهبي ، فالكوفيون يلتصون الروايات ويقبلونها ، على حين يغالي البصريون في الاتجاه العام ، في تحري الروايات وتوثيقها .

وأما في تحقيق جنس (العائق) فهو يذكر ويؤنث عند القراء (١٣٧) ، أبي عبيد (١٣٨) وأبي البركات الأنباري (١٣٩) ، وصاحب اللسان (١٤٠) ، وقيد أبو موسى الحامض (١٤١) ، وأحمد ابن فارس (١٤٢)

(١٣٥) المذكر والمؤنث ، ٢٠٨ . (١٣٦) المذكر والمؤنث ١٤٥ .

(١٣٧) المذكر والمؤنث ٧٧ . (١٣٨) الغريب المصنف ٥٣٣ . (١٣٩) البلغة ٧١ .

(١٤٠) اللسان (عق) ٢٣٧/١٠ ، ٢٣٨ ، قال : « والعائق مذكر ، وقد أنث ، وليس بثبت » .

(١٤١) ما يؤنث ويذكر ٢٦ ، وقال في ٢٧ : « ذكر ، ورد عمر بن حيرية بأنه ذكر وأنثى ، واستشهد بالبيتين ، وبقول الشاعر :

وما المول وإن عرفت قفاه

(١٤٢) المذكر والمؤنث ٥٥ .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

التأنيث بأنه غير فصيح ، قالوا : « والعائق مذكر ، وربما أنشروه ، وليس بالفصيح » .

وهو مذكر في الاختصار (١٤٣) ، وعند اللحياني (١٤٤) .
وخالفه ابن برّي (١٤٥) ، بذهابه الى التأنيث مستشهدا باليتين
وقبلهما ثالث :

لا نسب اليوم ولا خلة^١ اتسع الفتق^٢ على الراقع^٣
وعزاها لابي عامر جدّ العباس بن مرداس ، وقال : ومن
روى البيت الاول اتسع الخرق على الراقع فهو لأئس بن العباس بن
مرداس من هنا كان ما ذهب اليه ابن الانباري ، هو ما كان عليه
الاكثرون .

هذه مواضع من مناقشات ابن الانباري لابي حاتم ، وثمة
مواضع اخرى (١٤٦) ، ليس لها شأن يوجب شرحها وتفصيل القول فيها .
ب . المخصص لابن سيدة

يقوم الجزآن السادس عشر والسابع عشر في معظم موادّهما على
ظاهرة التذكير والتأنيث بتفصيل واف ، ونقل كثير عن اللغويين ،
وإن كان وقع له شيء من الزعم او السهو (١٤٧) ، إذ لم يُشير
في طائفة كبيرة مما نقل الى مَنْ أفاد منهم ، وقد عوّل على أبي حاتم
في مسائل مهمة ، وإن كانت محدودة (١٤٨) وبقينا أن ما لم ينبه اليه أكثر .

(١٤٣) في التذكير والتأنيث ٢٧ . (١٤٤) القبان (عتق) ٢٣٨/١٠ . (١٤٥) نفسه .
(١٤٦) ينظر : المذكر والمؤنث لابن الانباري ٦١٣ وهاشيا ، ٦٢٥ وهاشيا .
(١٤٧) من ذلك ما نقله عن كتاب ابن الانباري بلا عزو ، ينظر مقدمة المذكر والمؤنث ٦٤ ، ٦٥ .
(١٤٨) ينظر : المخصص ١٠٠/١ ، ١٠١ ، ١٢١/١٧ (أكثر من مرّض) ، ٣٥/١٧ ،
٤٨/١٧ ، ١١٩/١٧ ، ١٢٦/١٧ .

ولم أجد بي حاجة الى ذكرها ، لأن ابن سيدة كان ناظرا حسب ، ويستطيع الباحث
الرجوع اليها في مقلتها .

وبعد .

فقد وضع لنا في ضوء ما تقدم :

- ١ - أن كتاب المذكر والمؤنث هو الكتاب المفرد الذي يكشف بصراحة عن شخصية أبي حاتم اللغوية والنحوية لان كتبه التي وصلت إلينا لا تحدد الا يسيرا من قسماته في الدرس اللغوي .
- ٢ - وانه كان خلاصة وافية للغات القبائل ، راقوال علماء اللغة الاوائل في ظاهرة مهمة من ظواهر اللغة ، مع تعليقات عقلية احيانا .
- ٣ - وأنه بازاء كتب التذكير والتأنيث الاولى : كتاب الفراء ، ومختصر المفضل بن سامة ، اوسعها ، واكثرها استقصاء ، واعمقها بحثا .
- ٤ - وأن منطق اللغة لا ينسجم مع منطق اللغويين وممايسهم الا لاما .
- ٥ - وأن ظاهرة التذكير والتأنيث ، وقد كتب فيها كثير من المحدثين ، ماتزال تنتظر من يدرسها بتدقيق واستقراء بعد الاحاطة بمادتها الاولى في كتبها التي برزت من ركام التاريخ ، لان الدراسات السابقة كانت قاصرة ومحدودة .

★ ★ ★

وَأَوَّالِحَالِ

الدكتور فاضل صالح السارحي

كلية الآداب - جامعة بغداد

تقع قبل قسم من الجمل الحالية واو تسمى واو الحال وجوبا او جوازا نحو (اقبل محمد اخوه معه) و (اقبل محمد واخوه معه) فما فائدة هذه الراو ؟ وهل تؤدي معنى خاصاً بها ؟ وما الفرق بين الجملتين السابقتين ونحوهما في المعنى ؟

ان الراو في العموم تفيد الاجتماع جاء في (المخصص) : « نالوا اذا لم يكن بدلا من الحرف الجار ازمته الدلالة على الاجتماع كلزوم الفاء الدلالة على الاتباع . وهي مع ذلك تجيء على ضربين :

احدهما ان تأتي دالة على الاجتماع متعربة من معنى العطف في نحو ما حكاه النحويون من قولهم : (ما فعلت واباك ؟) ...

والآخر ان تأتي عاطفة مع دلالتها على الاجتماع في نحو (مررت بزيد وعمرو) فهذا الضرب يوافق الاول في الدلالة على الجمع ويفارقه في العطف لأن الراو هناك لم تدخل الاسم الآخر في اعراب الاول كما فعلت ذلك في الباب الثاني فاذا كان كذلك علم ان المعنى الذي يخص به الراو الاجتماع ...

وقد تجيء الراو غير عاطفة على غير هذا الوجه في نحو قوله تعالى (يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) (١) فهي لغير العطف في هذا

(١) آل عمران ١٥٤

واو الحال

الموضع ايضاً وذلك ان الجملة التي بعدها غير داخلة في اعراب الاسم الذي قبلها ولا هي معطوفة على الجملة التي قبلها وانما الكلام مجزوعه في موضع نصب بوقوعه موقع الحال فهذا ما ينبثق عن استحكام الواو في الدلالة على الاجتماع اذ كان حكم الحال ان تكون مصاحبة لذي الحال (٢) .

وهذا صحيح فالواو العاطفة لمطلق الجمع وهي تفيد التشريك في الحكم نحو (حضر محمد وخالد) ، والواو التي ينتصب الاسم بعدها تفيد المعية وهو اجتماع ايضاً نحو (جئت والليل) ، والتي ينتصب بعدها الفعل المضارع تفيد المصاحبة وهو اجتماع ايضاً نحو (لا تأكل وتتكلم) ، والحالية تفيد مصاحبة ما بعدها لما قبلها نحو (جئت والشمس طالعة) اي مصاحبة طلوع الشمس ولذا عدّها بعض النحاة للمعية (٣) لانها تفيد المصاحبة واعرب الجملة بعدها منعمولاً معها .

والاستثنائية تفيد الجمع في ذكر حكيمين او اكثر نحو (لا تأكل وتشرب) بضم الباء اي انت منهي عن الاكل ، باح لك الشرب فقد جمع بين حكيمين .

وهي تفيد الجمع ضميراً نحو ذهبوا وقوموا ، وحرّفاً نحو (مدرسون وقائدون) فالواو على العموم تفيد الاجتماع .

وذكر عبدالقاهر الجرجاني ان واو الحال يؤتى بها لقصد استئناف حال اخرى تضمها الى ما قبلها . جاء في (دلائل الاعجاز) : « فاعلم ان كل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من الواو فذاك لأجل انك عمدت الى الفعل الواقع في صدرها فضمته الى الفعل الأول في اثبات واحد . وكل جملة جاءت حالاً ثم اقتضت الواو فذاك لأنها متأنف بها خبراً وغير قاصد الى ان تضمها الى الفعل الأول في الاثبات .

(٢) المخصص ٤٧/١ - ٤٨ (٣) انظر المفتي ٢/ ٤٦٥ ، الهج ١/ ٢٢٠ .

الدكتور فاضل صالح السامرائي

تفسير هذا أنك اذا قلت : (جاءني زيد يسرع) كان بمنزلة قولك (جاءني زيد مسرعاً) في أنك تثبت مجيئاً فيه اسراع وتصل احد المعنيين بالآخر وتجعل الكلام خبراً واحداً وتريد أن تقول : جاءني كذلك وجاءني بهذه الهيئة وهكذا قوله :

وقد علوت قنود الرجل يسفغني يوم قديديمة الجوزاء مسموم كأنه قال : وقد علوت قنود الرجل بارزاً للشمس ضاحياً ...

واذا قلت : (جاءني وغلّامه يسمى بين يديه) و (رأيت زيداً وسيفه على كتفه) كان المعنى على أنك بدأت فأثبت المجيء والرؤية ثم استأنفت خبراً وابتدأت اثباتاً ثانياً لسمي الغلام بين يديه ولكون السيف على كتفه . ولما كان المعنى على استئناف الاثبات احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالاولى فجاء بالواو كما جيء بها في قولك (زيد منطلق وعمره ذاهب) و (العلم حسن والجهل قبيح) وتسميتنا لما واو الحال لا يخرجها عن ان تكون مجتلبة لضم جملة الى جملة « (٤) » .

وجاء في (الطراز) ان « الواو اذا كانت محذوفة فهي في حكم التكملة والتمة لما قبلها تتزل منزلة الجزء منها ... واذا كانت الواو موجودة كانت في الاستقلال بنفسها » (٥) .

وذهب بعضهم الى انها لتأكيد الالتصاق جاء في حاشية الشمني على المغني : « وقال نجم الدين سعيد ... الواو أكدت الالتصاق باعتبار أنها في اصلها للجمع المناسب الالتصاق » (٦) .

وجاء في (كليات أبي البقاء) : « وقالوا اذا دخلت على الشرط بعد تقدم الجزاء يراد به تأكيد الوقوع بالكلام الاول وتحقيقه كقولهم (اكرم

(٥) الطراز ١١١/٢ .

(٤) دلائل الاعجاز ١٦٤ - ١٦٥

(٦) حاشية الشمني على المغني ١١١/٢ .

واو الحال

اخاك وان عاداك (أي أكرمه بكل حال . وقد تزايد الواو بعد (إلا) لتأكيد الحكم المطلوب اثباته اذا كان في محل الرد والانكار كما في قوله (ما من احد إلا وله طمع أو حسد) (٧) .

وأصل هذا القول ما قاله الزمخشري في قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا ولما كتاب معلوم — الحجر (٤)) قال : « (ولما كتاب) جملة واقعة صفة لقرية والقياس لا يتوسط (٨) الواو بينهما كما في قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا لما منثرون) (٩) وانما ترسعت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال (جاءني زيد عليه ثوب) و (جاءني وعليه ثوب) « (١٠) . وقال نحو هذا القول في قوله تعالى : (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم — الكهف ٢٢) قال : « فان قلت : فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولين ؟ قلت : هي الواو التي تدخل على الجملة الراقعة صفة للنكرة كما تدخل على الراقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك (جاءني رجل ومعه آخر) و (مررت بزيد وفي يده سيف) ومنه قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا ولما كتاب معلوم) وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها أمر ثابت مستقر . وهذه الواو هي التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجعوا بانظن كما غيرهم « (١١) .

فقد ذكر أن لما فائدتين :

(٧) كليات ابي البقاء ٣٦٧

(٨) كذا والصواب : ان لا يتوسط

(٩) الشعراء ٢٠٨

(١٠) الكشف ١٨٧/٢

(١١) الكشف ٢٥٥/٢ وانظر ٢٨٧/٢ في قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا لما منثرون) .

الدكتور فاضل صالح السامرائي

الاولى تأكيد الاتصاق ، والثانية ان اتصافه بها امر ثابت مستقر .

والجمهور ينكرون مجيء جملة الصفة بعد هذه الواو (١٢) ويعدون هذه الواو واو الحال . جاء في (المغني) : « الواو الداخلة على الجملة الموصوف بها لتأكيد لصورتها بموصوفها وافادتها ان اتصافه بها امر ثابت . وهذه الواو أثبتتها الزمخشري ومن قلده وحملوا على ذلك مواضع الواو فيها كلها واو الحال » (١٣) .

وعند سيويه هي بمعنى (اذ) اي للزمن الماضي جاء في (كتاب سيويه) : « واما قرأه عز وجل (يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) (١٤) فانما وجهه على انه يغشى طائفة منكم وطائفة في هذه الحال كأنه قال (اذ طائفة في هذه الحال) فانما جمعاه وتثنا ولم يرد أن يجعلها واو عطف انما هي واو الابتداء » (١٥) .

وقد سماها بعضهم واو الوقت جاء في (كتاب الاصول) « واذا ذكرت (ان) بعد واو الوقت كبرت لانه موضع ابتداء نحو قولك (رأيت شابا وانه يومئذ يفخر) » (١٦) .

وبعضهم ذكر واو الحال وواو الوقت على انهما راوان مختلفتان جاء في (لسان العرب) : « ومنها واوات الحال كقولك (أتيت الشمس طائفة) اي في حال طلوعها قال الله تعالى (اذ نادى وهو مكظوم) (١٧) .

ومنها واو الوقت كقولك (اعدل وانت صحيح) أي في وقت صحتك والآن وانت فارغ ، فهذه واو الوقت وهي قريبة من واو الحال » (١٨) .

(١٢) انظر حاشية يس على التصريح ٣٧٧/١ ، الصبان ١٧٥/٢ ، الاشعري ١٧٦/٢

(١٣) المغني ٣٦٤/٢ ، التصريح ٣٧٧/١

(١٤) آل عمران ١٥٤ (١٥) سيويه ٤٧/١ وانظر المختضب ١٢٥/٤ .

(١٦) الاصول لابن السراج ٣٢١/١ (١٧) القلم ٤٨ .

(١٨) لسان العرب ٣٨٠/٢٠ وانظر تاج العروس ٤٥٢ / ١٠

وهما بمعنى واحد كما هو واضح وليستا مختلفتين .

وذهب بعضهم الى صرف كلام سيويه وتأويله عن معناه جاء في (المع) : « زقدرها سيويه والاقدمون بإذ ولا يرون انها بمعنى (اذ) اذ لا يرادف الحرف الاسم بل انها وما بعدها قيد للفعل السابق كما ان (اذ) كذلك » (١٩) .

وكلام السيوطي فيه نظر إذ ظاهر من كلام سيويه انها بمعنى (اذ) قال : « كأنه قال اذ طائفة في هذه الحال فانما جعله وقتاً » وكما ذكر المبرد وابن السراج وغيرهما وسموها واو الوقت لأنها تفيد التوقيت والجملة بعدها جارية مجرى الظرف كما قال الزمخشري في (المفصل) قال : « ويجوز اخلاء هذه الجملة عن الراجع الى ذي الحال اجراء لها مجرى الظرف لانعتاد الشبه بين الحال وبينه تقول (اتيتك وزيد قائم) و (اتيتك والجيش قادم) قال : وقد اغتدي والطير في وكناتها » (٢٠) .

جاء في (المغني) : « ومما يشكل قولهم في نحو (جاء زيد والشمس طالعة) ان الجملة الاسمية حال مع انها لا تنحل الى مفرد ولا تبين هيئة فاعل ولا مفعول ولا هي حال مؤكدة . فقال ابن جني تأويلها جاء زيد طالعة الشمس عند مجيئه يعني فهي كالحال والنعت السببين كررت بالدار قائماً سكانها وبرجل قائم غلمانة . وقال ابن عمرو هي مؤولة بقولك مبكراً ونحوه . وقال صدر الأفاضل تلميذ الزمخشري انما الجملة مفعول معه واثبت مجيء المفعول معه جملة . وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى (والبحر يمدده من بعده سبعة أبحر) (٢١) في قراءة من رفع البحر هو كقوله :

(١٩) المع ٢٤٧/١

(٢٠) ابن يعيش ٦٨/٢ وانظر كليات ابي البقاء ١٤٠

(٢١) لقمان ٢٧

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل
و (جئت والجيش مصطف) ونحوهما من الاحوال التي حكمها حكم
الظرف فلذلك عريت عن ضمير ذي الحال : (٢٢) .

والتحقيق ان وار الحال تفيد الوقت كثيراً وهي بمعنى (اذ) الظرفية
غالباً وايضاح ذلك انك تقول : (ما بالك تركض) و (ما بالك راكضاً ؟)
فانت تسأل عن سبب ركضه ، وتقول (ما بالك وانت تركض ؟) فانت
تسأله عن شيء حدث له وهو يركض كأنك قلت : ما بالك حين تركض ؟
وتقول : (ما بالك تسكت ؟) و (ما لك ساكناً ؟) فهذان سؤالان عن
سبب سكوته وتقول : (ما بالك وانت ساكت ؟) فهذا سؤال عن شيء حدث
له وهو ساكت كأنه قال : ما حصل لك حين كنت ساكناً ؟

وتقول : (لماذا جئنا هارباً) و (لماذا جئنا وانت هارب) فالاولى سؤال
عن سبب مجيئه هارباً اي سؤال عن سبب الحرب ، والثانية سؤال عن سبب
المجيء علماً بانك هارب اي لماذا جئت وهذه حالك ؟

وتقول : (كيف وصلت ليس لك مال ؟) و (كيف وصلت وليس
لك مال) فالاولى سؤال عن سبب فقدان المال ، والثانية سؤال له انه كيف
وصل وهذه حاله أي كيف وصل علماً بانه ليس له مال ، كما تقول : لماذا
جئنا وانت مريض ؟ أي وهذه حالك .

جاء في (كتاب سيويه) : « وبعض العرب يقول : (كلمته فوره الى في)
كأنه يقول (كلمته وفوره الى في) اي كلمته وهذه حاله . فالرفع على قوله :
كلمته وهذه حاله ، والنصب على قوله : كلمته في هذه الحال فانتصب لأنه
حال وقع فيه الفعل . وأما (يداً بيد) فليس فيه الا النصب لأنه لا يحسن ان

تقول (بايعته ويدٌ بيد) ولم يرد أن يخبر أنه بايعه ويده في يده ولكنه اراد أن يقول : بايعته بالتعجيل ولا يبالي أقرىبا كان أم بعيدا .

واذا قال : كلسته فوه الى في فائما يريد ان يخبر عن قربه وانه شافه لم يكن بينهما أحد » (٢٣) .

وجاء في (الكشاف) في قوله تعالى (اتمدونني بمال فما آتاني الله خيرا مما آتاكم - النمل ٣٦) : « فان قلت : ما الفرق بين قولك : (اتمدني بمال وانا اغنى منك ؟) وبين ان تقرله بالفاء ؟ قلت : اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال . واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فأنا اخبره الساعة بما لا احتاج الى امداده كأنني اقول له : انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه » (٢٤) .

فجعل الواو للحال المعلومة .

قال تعالى : (فما لكم في المنافقين فئتين - النساء ٨٨) واو قال (فما لكم في المنافقين وانتم فئتان) لتغير المعنى ، فالاولى سؤال عن سبب انقسامهم فئتين والثانية سؤال عما حصل لهم في امر المنافقين عندما كانوا فئتين .

وتقول (بعثه قائداً عليهم) اي جعله قائداً عليهم كما قال تعالى (ان الله قد بعث اكرم طالوت ملكا - البقرة ٢٤٧) ولو قال (بعثه وهو ملك) لكان المعنى انه بعثه عند ما كان ملكا اي كان ملكا قبل ان يبعث عليهم . ونحوه اذا قلت (بعثه وهو قائد) فمعناه انه ارسله حين كان قائداً فالقيادة حاله المستقرة ولو قال : (بعثه قائداً) لكان المعنى انه جعله قائداً عليهم ولم تكن تلك حاله المستقرة قبل بعثه .

(٢٣) الكتاب ١٩٥/١ وانظر المنتخب ٢٣٦/٣ .

(٢٤) الكشاف ٤٥٢/٢ .

الدكتور فاضل صالح السامرائي

جاء في (الاصول) ان الرجل : « اذا قال : بعثك هذا الطعام مكيلاً » ، وهذا الثوب مقصوراً فعليه ان يسلّمه اليه مكيلاً ومقصوراً . واذا قال (بعثك وهو مكيل) فانما باعه شيئا موصوفاً بالكيل ولم يتضمنه البيع « (٢٥) فجعل الكيل قبل البيع .

قال تعالى : (فقعوا له ساجدين - ص ٧٢) ولو قال فقعوا له وانتم ساجدون (لاحتل ان يكون امراً بوقوعهم حين يكونون ساجدين فالسجود حالهم المستقرة قبل الوقوع وهذا غير جائز .

ومثله قوله تعالى (يخرون للاذقان سجّداً - الاسراء ١٠٧) واو قال (وهم سجد) لاحتل المعنى انهم يخرون للاذقان حين يكونون سجداً أي وهذه حالهم ، وهذا غير مراد اذ كيف يخرون للاذقان حين يكونون ساجدين؟! وقال تعالى : (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا - الفرقان ٧٣) ولم يقل (لم يخروا عليها وهم صم وعميان) لأن المعنى يكون عند ذاك ان حالهم المستقرة الصم والعمى .

وقال تعالى على لسان سليمان (ح) : (ارجع اليهم فلنا تبهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون - النمل ٣٧) وقال : (واقم نصركم الله بيدروا انتم اذلة - آل عمران ١٢٣) فالاولى (اذلة) بدون واو لأن الذل سيكون مقارناً للخروج ولم يكونوا قبل ذلك اذلة ، اما الثانية فمعناها انه نصرهم وهذه حالهم المستقرة اي كانوا اذلة قبل النصر اي نصركم اذا كنتم اذلة ، أي حين كنتم اذلة .

فالواو تكون لما قد استقر ولذا لا تكون الجملة المسبوبة بالواو مقدرة اي مستقبلية قال تعالى (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها - التوبة ٥٨) ف (خالدين) حال مستقبلية فالخلود يكون بعد الوعد

لا مشارئاً له ولو قال (وعدهم وهم خالدون) لكان المعنى ان الوعد حصل حين خاودهم .

وقال : (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين - الصافات ١١٢)
ف (نبياً) حال مقدرة لانها بعد البشرى واو قال (وهو نبي) لكان المعنى انه بشره بإسحاق حين كان إسحاق نبيا وهو مستحيل .

فالمسبوقة بالواو لا تكون مقدرة .

ثم ان واو الحال ليست بمعنى (اذ) دوماً بل هو الغالب كما ذكرنا فقد تكون الجملة قبلها مستقبلة فتمتنع ان تكون بمعنى (اذ) لان (اذ) للمضي وذلك نحر (سأجيئك والليل ساج) اي وقت الليل ساج فهي بمعنى (وقت) وهذا الوقت قد يكون ماضياً وقد يكون غيره بحسب الجملة .

واما قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم - الحجر ٤) فليست فيه الجملة بعد الواو صفة بل الواو واو الحال بخلاف (لما منذرون) في قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا لما منذرون - الشعراء ٢٠٨) فانها تحتل الوصفية والحالية ، فقد يؤتى بالواو للفصل بين الحال والنتيجة ولكل قصد . فانت تقول (ما مررت برجل الا له مال) و (ما مررت برجل الا وله مال) فمعنى الاولى انك مررت برجل ذي مال أي غني وانك لم تمر الا برجل غني . اما الثانية فمعناها انك لم تمر برجل الا حين يكون له مال أي لم تمر به في وقت لم يكن له مال . فالاولى نعت وهي وصف عام اما الثانية في حال منتقاة وهو نظير قوانا (ما جاءني طالب مقصر) و (ما جاءني طالب مقصراً) فان معنى قوانا (ما جاءني طالب مقصر) انه لم يأت طالب متصف بالتقصير . واما قوانا (ما جاءني طالب مقصراً) فمعناه نفي التقصير عنه في مجيئه هذا ، وقد يكون قبل هذا المجيء مقصراً .

الدكتور فاضل صالح السامرائي

ونحو ان تقول (مررت برجل اخوه منطلق) و (مررت برجل واخوه منطلق) فمعنى الاولى انك مررت برجل منطلق الأخ وانطلاقه قد يكون قبل المرور واما الثانية فمعناها انك مررت به في هذا الوقت . وتقول (مررت برجل فرسه سابق) و (مررت برجل وفرسه سابق) فالاولى قد يكون فيها سبق قبل المرور والثانية مررت في هذا الوقت . وتقول (ما مررت برجل الا فرسه سابق) و (ما مررت برجل الا وفرسه سابق) اي الا في هذا الوقت .

وتقول : (مررت برجل اخوه مقرئ) و (مررت برجل واخوه مقرئ) فان معنى الاولى انك وصفت الرجل بان اخاه مقرئ ولا يشترط انك مررت به في وقت الاقراء فقد يكون الأخ غير مقرئ في وقت المرور واما الثانية فانها تفيد انك مررت به في حين ان اخاه يقوم بالاقراء فعلاً في اثناء مرورك . فالاولى وصف عام والثانية حال .

وتقول (ما مررت برجل الا اخوه مقرئ) اي ما مررت برجل الا موصوف بان اخاه مقرئ وتقول (ما مررت برجل الا واخوه مقرئ) اي ما مررت به الا في حال الاقراء .

فمعنى قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون) اننا لم نهلك الا قرية منذرة ولم يأت بالواو لأن المعنى عند ذاك يكون انه لم يهلك قرية الا وهذه حالها أي لم يهلك قرية الا وقت انذارهم ، في حين انه عند الإهلاك يخرج الرسل والمؤمنون بهم من القرى ويتركونها فلا يكونون فيها عند اهلاكها كما في قوم لوط وغيرهم ، فلو قال (ولها منذرون) لكان المعنى انهم فيها وقت الإهلاك كما اوضحنا - بخلاف آية الحجر فان الاجل حال وقت الإهلاك حاق عليهم مصاحب لهلاكهم .

يتبين من هذا ان واو الحال تدخل لاغراض منها :

١ - انها تكرن بمعنى (اذ) اي للوقت الماضي كقوله تعالى (اذ نادى وهو مكثوم - القلم ٤٨) ونحو (ما بالك وانت راكض ؟) اي حين كنت راكضاً .

٢ - انها تكرن للوقت غير الماضي ايضاً نحو (سأزورك والقمر طالع) .

٣ - قد يؤتى بها للدلالة على ان الحال بعدها أمر ظاهر ومعلوم نحو (كيف تعطيني وانا اغنى منك) قال تعالى (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم - البقرة ٢١٤) أي أحسبتم ان تدخلوا الجنة ولم تكن هذه حائكم الظاهرة ؟

٤ - قد يؤتى بها للدلالة على ان ما بعدها مستقر قبل الحدث المصاحب لما نحو (بعثه وهو ملك) ومنه قوله تعالى (وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا - البقرة ٢٤٦) فالإخراج استقر وحدث قبل القتال .

٥ - قد يؤتى بها للاهتمام نحو (عبر النهر ولم يحرك يده) و (قفز خمسة امتار وعلى ظهره حمل ويده ثقل) و (دخل على الامير ويده سيفه) .

٦ - قد يؤتى بها للفصل بين الحال والنتج نحو (رأيت رجلاً عنده مال) و (رأيت رجلاً وعنده مال) و (رأيت رجلاً فرسه سابق) و (رأيت رجلاً وفرسه سابق) .

٧ - قد يؤتى بها لازالة التنصيص على الاستثناف كقوله (اقبل اخوك هو فرح) و (اقبل اخوك وهو فرح) فالاولى استثناف اخبار جديد نصا والثانية ازالته فيها الراو التنصيص على الاستثناف فكان ما بعدها يحتمل الحاية وهو الظاهر ويحتمل الاستثناف ايضاً .

قال تعالى (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون - الانفال ٥) ولو حذف الراو لكان استثنافا نصا ، فذكر الراو

الدكتور فاضل صالح السامرائي

ازال التنصيص على الاستئناف واصبحت الجملة تحتل الحالية وهو الظاهر
وتحتل الاستئناف ايضا .

تقول (هو يحرف القول وانه يعلم بذلك) فالواو تحتل الحالية
والاستئنافية وحذفها ينص على الاستئناف . وتقول (لم يدخلها وهو يطمع)
و (لم يأتي وهو طامع) فهذه تحتل الحال اي لم يدخلها طامعا وانما
دخلها غير طامع ، وتحتل الاستئناف فيكون المعنى انه لم يدخلها واكن
يطمع في الدخول . وحذفها ينص على الاستئناف .

٨ - قد يؤتى بها للتنصيص على ارادة الحال لا التعليل وذلك كقراك
(جئت انه امير) و (جئت وانه امير) فالاولى تعليل للمجيء والثانية معناها
جئت وهذه حاله اي وقت هو امير . قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم - الانفال ٣٣) ولو قال (ما كان الله ليعذبهم انك فيهم) اكان المقصود
به التعليل اي بيان السبب . الى غير ذلك من الاغراض .



مفهوم البلاغة

لغة واصطلاحاً

الدكتور محمد عابد خياط

كلية الآداب - جامعة بغداد

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قد يبدو الموضوع معاد مكروراً ، لانه الآن حتى عانت ، وملئت به الاسماع حتى مجته ، وهو كذلك حقاً وصدقاً ، فقد تناولوه اللغويون الأوائل منذ شرعوا في جمع مواد اللغة ومفرداتها ، وبذلوا ما بذلوه في إيضاح دلالاتها ، وأربى اللاحق منهم على ما ذكره السابق ، حتى لم تعد هناك زيادة لمستريد . وعني البلقاء بها عناية اللغويين وأكثر ، فلم يكفوا بإيضاح دلالة البلاغة في العربية ، وإنما ذكروا ما عرفوه عنها في غيرها من اللغات . وما نقله الجاحظ من سؤا لهم الفارسي ، واليوناني ، والرومي والهندي عما تعنيه البلاغة عندهم خير ما يمثل هذه العناية .

كيف لا يعنى البلقاء والبلاغيون بها مثل هذه العناية ، وهي بذرة البحث البلاغي ، والاساس الذي يتد اليه ، فلا غرابة ان قلت فيها اقوال وأقوال على تعاقب الازمان والاجيال ، حتى استوت علوم البلاغة ، واستقرت مصطلحاتها عند متأخري البلاغيين ، الذين ورثوا التراث البلاغي ، وخلفوه لنا بعد أن أشبعوه بحثاً وتدقيقاً ، وانتهروا به الى ما انتهوا من كثرة موضوعاته وتنوعها ، والتنان بتفريع فروعها ، وشغف بحدودها وتعريفاتها ، وأشارت الى اصولها اللغوية ،

وتنافس في اختصار مرادها ، وشرحها ، والتعليق عليها ، وتدوين الحراشي على تلك الشروح والتعليقات وبذل ما بذل من جهد ووقت في ذلك كله .

وجاء العصر الحديث ، فاكتفى اكثر المحدثين والمعاصرين من المعنيين بالبلاغة والتأليف المدرسي فيها ، بأخذ هذا الذي انتهى اليه اولئك المتأخرون لغة واصطلاحاً ، ومنهم من عرج على لسان العرب لابن منظور ، ليأخذ منه ما يوثق به الدلالة اللغوية التي ذكرها لهذا المصطلح او ذاك ، لكونه موسوعة ضمت خمسة من المعاجم اللغوية الكبيرة التي سبقت . ونهاى لهم أنهم بهذا قد احاطوا علماً بدلالاتي المصطلح : اللغوية والاصطلاحية ، ماداموا قد وقفوا على آخر ما انتهت اليه اللغة والبلاغة في دلالاته . وفاتهم أن أولئك البلاغيين كانوا قد نبهونا الى أن البلاغة لم تنضج ، ولم تحترق ، خلافاً لاكثر فروع العربية ، التي تتم على ايديهم نضجها واحتراقها ، فكأنهم بهذا قد حملونا أمانة النظر فيما قالوه فيها ، وانضاجه بالبحث والدواسة ، وتلافى ما ينقصها مما لم يهتموا اليه ، أو يقرلوا فيه .

كما فاتهم أن في غير اللسان من المعاجم ما ليس فيه ، وان العربية لغة اشتقاقية ، تتألف من أسر او مراد لغوية ، ومعرفة اللفظ المفرد فيها لا تزيد على معرفة فرد من الافراد في اسرة من الاسر ، لاتعد شيئاً اذا ما قيت بمعرفة ، ومعرفة الاسرة كلها بجميع افرادها . ومن المعاصرين من ساير المصطلح ، ووقف على دلالاته ، وما قيل فيها ، وجمع النصوص الشعرية والنثرية التي ورد فيها ، مبتدئاً باقدمها الى آخر ما انتهى اليه أمره ، عندما استقرت لهذه المصطلحات دلالاتها الاصطلاحية . غير ان العزل على المعاجم اللغوية ظل مقتصراً على اللسان او كاد ، في عدد غير قليل من الرسائل الجامعية التي لم تتناول مصطلح البلاغة .

ولأريد بهذا كله ، أن أقلل من أهمية جهود الآخرين ، فالوقوف على ما انتهى اليه اولئك العلماء الاعلام ، من البلاغيين المتأخرين ، ضرورة لاغنى لنا عنها ، بعد الذي أشرنا اليه من جهودهم فيها ، تلك الجهود التي نتمنى لو

الدكتور محمد جابر فياض

أنا جدنا على البلاغة ومصطلحاتها بما يقرب منها ، غير أن هذا لا يعني أخذ كل ما قالوه من غير مافحص ولاتدقيق ، وكأنه بديهية من البديهيات ، أو مسلمة من المسلمات بعد الذي رأيناه من قولهم أن البلاغة لم تنضج ولم تحترق .

ومسايرة المصطلح ، والوقوف على دلالة في السياق الذي ورد فيه ، وترتيب النصوص التي تضمنته ، بحسب تسلسلها الزمني قبل أن يتخذ مصطلحا محدد الدلالة ، تأتي الضوء على تطوره الدلالي في مراحل مختلفة ، فيما تبرزه وتبرز وجهة النظر الأدبية أو الفنية فيه . والبلاغة فن القول ، وصياغة الكلام ، أن تكون شيئا آخر . ولكن هذه المسايرة تفقد غير قليل من أهميتها ، إذا ما اقتصر البحث على مجرد الجمع والترتيب ، من غير ما مفاضلة ، أو ترجيح ، أو أمساك بخيط التطور الدلالي ، الذي يربط بين دلالات المصطلح المختلفة باختلاف العصور .

فالوقوف على الدالتين اللغوية والاصطلاحية ، أمر على غاية من الأهمية ، ولا يقل الوقوف على ما بينهما ، أكون المصطلحات البلاغية - كما يبدو لي - لم ترتجل ارتجالا ، منقطع الصلة عن معانيها اللغوية ، وإنما اختيرت اختيارا ، وانتقيت انتقاء . ولاختيارها وانتقائها مبررات مقنعة ، تحسب لبلاغتنا العربية ، لأعليها . فإن لم نكشف اللثام عن هذه الصلة ، ظلت الحيرة في الأذهان ، أن لم تجر على اللسان . ولقد خفيت هذه الصلة على كثير من المعنيين بالبلاغة ، أو بدت غير واضحة ، أو مقنعة لهم ، لدرجة صارت معها موضوع أخذ ورد في بعض المجامع اللغوية . فلقد تساءل استاذي الدكتور عبد الرزاق محيي الدين عضو المجمع العراقي ورئيسه السابق - في بحث له نوقش في المجمع - عن مفهومي البلاغة والنصاحة فقال : في مقدمة مايلور في نفي مراجعته ، هذان المصطلحان : كلمتا (النصاحة) و (البلاغة) ، ماذا تعنيان ؟ وبأي شروط يتحقق مفهومها ؟ وما واقع الصلة - في حدود شروطه - بالآثار الأدبية قديماً

مفهوم البلاغة

وحديثاً؟ وهل هناك احساس بالصلة بينهما، وبين الاثر الادبي عند الحكم عليه (١)؟
وقام الزميل الدكتور أحمد مطلوب بدراسة المصطلحات البلاغية الاربعة الرئيسة:
البلاغة والفصاحة والبيان والبديع في كتاب خاص بها (٢). ولو اتضحت هذه
المصطلحات وضوحاً كافياً لغة واصطلاحاً، وبانت الصلات بين معانيها اللغوية
والاصطلاحية لما كان من تساؤل المجمعين، وتأليف المؤلفين، بعد الذي قيل
فيها قديماً وحديثاً.

ولست ازعم أن محاولتي المتواضعة هذه، يمكن أن ترصد الباب بوجه
أقوال أخرى يمكن أن تقال في البلاغة، كما لا أزعّم أنها يمكن أن تستحدث
لها دلالة لغوية أو اصطلاحية جديدة، ولكنها محاولة تنتهج منهجاً أثرته على
غيره، قوامه التحقق من مادة اللفظ اللغوية كلها في المعاجم المختلفة، لتبين صلة
اللفظ بمادته، ودلالته اللغوية، بالدلالة الاصطلاحية.

فاهمية هذا الموضوع - عندي - لا تنحصر في ايضاح ما بدا مشوباً بشيء من
الغموض في دلالاته، ولا في ابراز الصلة بين دلالاته، وإنما تتجاوزهما الى ابراز
المنهج الذي أثرته وأثره، ولا اتردد في الدعوة اليه، في دراسة المصطلحات
البلاغية كلها.

ولم تتناول المحاولة هذا المصطلح لأهميته فحسب، وإنما لأن ما قيل فيه
أكثر بكثير مما قيل في غيره، وإذا اتسع مجال القول فيه، فهو في غيره أوسع.
فهنيئاً بهذا تكون قد جاءت بالمنهج مقروناً باختباره بأصعب ما يمكن أن يواجهه
في واقع التطبيق، فإذا ما ثبت فضله على ما سواه، أخذنا به، والاعدائنا عنه -
غير آسفين - الى غيره، فلا خير في منهج مفترض، لا يأخذ طريقه الى التطبيق،
أو طبق فلم نلمس له على غيره فضلاً.

(١) مفاهيم بلاغية.

(٢) مصطلحات بلاغية.

الدكتور محمد جابر نياض

ولا اراني مغالياً اذا ما قلت ان اخذي به أثبت لي - في الاقل - فضاه
وجدوا . فنحن الى هذا اليوم نردد ما لقناه من أن البلاغة لغة من الوصول
والانتهاء من بلغت المكان ، أو الزمان ، أو المقام بارغاً : اذا وصلت اليه ..
وظلت الكتب البلاغية القديمة منها والحديثة ، لا ترى للبلاغة أصلاً لغريباً ،
غير دلالة البارغ على الوصول والانتهاء ، وكأن البلاغة مجرد اتصال المعنى الى
ذهن السامع أو القارئ . واشترطت الفصاحة في الانفاظ الموصلة للمعنى في عملية
ترقيع لما في هذا المفهوم من قصور عن الوفاء بدلالة البلاغة والافالوغ بمعنى
الوصول والانتهاء لا يلزم بذاته بهذا الذي اشترط ، ومع هذا فقد ظل هذا المفهوم
- بعد اشتراط الفصاحة - قاصراً عن ان يبلغ شأو المفهوم الاصطلاحي :
« مطابقة فصيح الكلام لما يقضيه الحال » ففي المصطلح تميز الكلام لانتميه في المفهوم
اللفوي ، وبدأت الصلة بين الدلائل واهية ضعيفة ، لاننا لانعت الكلام بالبلغة
لمجرد ظهور معناه ووصواه الى ذهن السامع أو القارئ وانما نعت بها الكلام
المتميز ، الذي يبلغ من نفوسنا ما لا يبلغه الكلام العادي .

ولو اننا فحصنا المادة اللغوية فحصاً دقيقاً ، ومحصناها تمحيصاً متأنياً ،
لأنهينا الى ان البلاغة - لغة - من البارغ ، بمعنى النضج والاكتمال ، وليست
من مجرد الوصول أو الانتهاء ، فان كلام البليغ : هو الكلام المكتمل البانغ ،
كالبانغ من كل شئ . وبهذا ننتهي الى المطابقة التامة بين الدلائل اللغوية
والاصطلاحية ، وما ألفه الناس في حياتهم من اطلاق البليغ على الكلام المتميز
بنضجه واكتماله .

البلاغة لغة

ذهب ابن فارس - ٣٩٥ هـ - محققاً - إلى القول بأن « الباء واللام والغين أصل واحد صحيح ، وهو الوصول إلى الشيء » . تقول : بلغت المكان ، إذا وصلت إليه ، وقد تسمى المشاركة بلوغاً بحق المقاربة . قال الله تعالى : (فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف [٢ الطلاق ٦٥] . ومن هذا الباب قولهم : هو أحق بلغ : أي أنه مع حماقته يبلغ ما يريد . والبلغة : ما تبلغ به من عيش ، كأنه يراد أنه بلغ رتبة المكث ، إذا رضى وقنع ، وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان ، لأنه يبلغ بها ما يريد » (١) .

وهكذا نص صراحة على أن المادة اللغوية كلها ترجع إلى الوصول لا البلاغة وحدها .

والى مثل هذا ذهب الراغب الاصفهاني - ٥٠٢ هـ ، فقال :

البلوغ والبلاغ : الانتهاء إلى أقصى المقصد والنتهى ، مكاناً أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدرة . وربما يعبر به عن المشاركة عليه ، أن لم يتنه إليه . فمن الانتهاء : بلغ أشده ، وبلغ أربعين ، وقوله عز وجل : «فاذا بلغن أجلهن فلا تعضلوهن» [٢٣٢ البقرة ٢] ، و « ما هم ببالغيه » [٥٦ غافر ٤٠] ، « فلما بلغ معه السعي » [١٠٢ الصافات ٣٧] ، « لعلني أبلغ الأسباب » [٣٦ غافر ٤٠] ، « أيمان علينا بالغة » [٣٩ القلم ٦٨] : أي منتهية في التوكيد .

وأما قوله عز وجل : « فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف » [٢ الطلاق ٦٥] فللمشاركة ، فإنها إذا انتهت إلى أقصى الاجل ، لا يصح للزوج مراجعتها

(١) المقاييس - مادة (بلغ) .

وامساكها (٢) .

والى مثل هذا ركن «مجمع اللغة العربية في القاهرة حيث جاء في معجمه :
بلغ الشيءُ يبلغُ بـلـوْغًا — من باب قعد — وصل اليه ، زمانا كان هذا الشيءُ
أو مكانا ، أو غيرهما ، حيا أو معنويا فهو بالغ ، وهي بالغة ، وهم بالغون .
وقد جاء في لفظ بالغ في القرآن كلمتان ، يراد بهما شارف وقارب الوصول
وستذكران في موضعهما . وما عدا ذلك معناه وصول اليه . (٣)

والمعاجم اللغوية مجمعة على ربط معظم مفردات المادة بالوصول أو الانتهاء
وما يتصل بهما من اقدم هذه المعاجم الى احداثها — على تفاوت بينها — وام تنفرد
المعاجم الثلاثة التي ذكرتها بهذا الربط الذي اشرت اليه . ففي العين :
أبلغته ابلاغًا ، وبأخته تبليغا ، في الرسالة ونحوها . . . والمبالغة أن تبلغ من
العمل جهدا . . . (٤)

وفي الجوهرة : «وبلغت الرسالة تبليغا . . . ومن أمثالهم : أحقق بلغ :
أي أحقق يبلغ ما يريد . والبلغة : القوت ، يتبلغ به الانسان » . (٥)
وفي التهذيب : . . . ويقال بلغت القوم الحديث بلاغا : اسم يقوم مقام
التبليغ . . . ويقال : بلغ فلان ، اذا جهد . . . (٦)
وفي الصحاح : « . . . بلغت المكان بلوغا : وصلت اليه ، وكذلك اذا شارفت
عليه . . . والابلاغ : الايصال ، وكذلك التبليغ . والاسم منه البلاغ . . . (٧)
وفي الاساس : «أبلغه سلامي ، وبلغه . . . ووصل رشاءه بتبليغة : وهو جبل

(٢) المفردات — المادة ذاتها .

(٣) معجم الفاظ القرآن — مادة بلغ .

(٤) المادة ذاتها .

(٥) المادة ذاتها .

(٦) المادة ذاتها .

(٧) المادة ذاتها .

يرصل به حتى يبلغ الماء ، وهو الدرك . ولا بد لأرشيتم من تبالغ . . . (٨) .
وفي اللسان : « . . . بلغ الشيء يبلغ بارغا ، وبلاغاً : وصل وانتهى ، والمغ
هو ابلاغاً ، وبلغه تبليغا . والبلاغ : ما يتبلغ به ، ويتوصل الى الشيء المطلوب
وبلغ الغلام : احتلم ، كأنه بلغ وقت الكتاب عليه والتكليف . . . وبلغ البنت
انتهى » (٩) .

وفي القاموس : « . . . بلغ المكان بارغا : وصل اليه ، أو شارف عليه . . .
وأمر الله بالغ : نافذ ، يبلغ اين يريد . وجيش بلغ كذلك ، والاسم منه الابلاغ
والتبليغ ، وهما الايصال . . . وتبلغ بكذا ، والمترل : تكلف اليه البارغ حتى
بلغ . . . » (١٠) .

وفي المصباح : « وبلغ الكتاب بلاغا وبلوغا : وصل . . . وقولهم : لزم ذلك
بالغا ما بلغ ، منصوب على الحال : أي مترقيا الى أعلى نهاياته ، من قولهم :
بلغت المترل : اذا وصلت اليه . . . » (١١) .

فلاشك في أن الوصول أصل أصل بارز في البلوغ ، غير انه ينبغي الا يحجب
الانظار عما يحمله في طياته من بذور التفوق والتفضيل في كل ما ورد في المعاجم
ذاتها من مفردات المادة اللغوية ، فالوصول يتطلب هذا التفوق ويقتضيه ،
سواء كان البارغ بلوغ ، كان أوزمان ، أو أي أمر من الامور ، فالواصل
أقدر من المنقطع قبل الوصول ، وأمكن منه .

ولقد فطن اللغويون الاقدمون الى هذا ، وأبرزوا دلالة المادة اللغوية عليه ،
ونصوا على الجودة بالذات في مفردات المادة . وقد طالعنا الجودة في أول معجم
عربي وظلت تتردد فيما ألف بعده . حيث ابتداء الخليل - ١٧٠ هـ - المادة

(٨) المادة ذاتها .

(٩) مادة بلغ .

(١٠) المادة ذاتها .

(١١) المادة ذاتها .

الدكتور محمد جابر فياض

اللغوية بقوله : « رجل بلغ : بليغ ، وقد بلغ بلاغة . . . وشيء بالغ : أى جيد . . . » (١٢)

وقال ابن دريد - ٣٢١ هـ : « وكلام بلغ وبليغ . . . وبلغ الرجل بلاغة : اذا صار بليغا . . . » (١٣)

وأخذ الازهرى - ٣٧٠ هـ عن المعنى وعزاه الى الليث قائلًا : « . . . قال الليث البالغ : البليغ من من الرجال ، وبلغ يبلغ بلوغا . . . وشيء بالغ : أى جيد . . . » (١٤)

وقول ابن فارس - ٣٩٥ هـ المقدم : « . . . وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان ، لانه يبلغ بها ما يريد . . . » (١٥) اعتراف صريح بالجودة ، فالبلاغة صفة مدح يمدح بها المتفوق بقصاحة اللسان، المتمكن - خلافا لغيره - من بلوغ ما يريد بجودة لسانه .

وقال الجوهري - ٣٩٩ هـ : « . . . شيء بالغ : أى جيد ، وقد بلغ في الجودة مبلغا . . . والبلاغة : الفصاحة . وبلغ الرجل بالضم : أى صار صار بليغا . . . » (١٦)

وقال الراغب - ٥٠٢ هـ : « . . . والبلاغة على وجهين : احدهما : أن يكون بذاته بليغا ، بأن يجمع ثلاثة أوصاف : صوابا في موضوع لغته ، وطبقا للمعنى المقصود به ، وصدقا في نفسه . وسمى احترام وصف من ذلك كان ناقصا في البلاغة .

- (١٢) المين - مادة بلغ .
(١٣) الجهرة - مادة بلغ .
(١٤) التهذيب - المادة ذاتها .
(١٥) المقاييس - المادة ذاتها .
(١٦) الصحاح - المادة ذاتها .

والثاني : أن يكون باعتبار القائل والمقول له ، وهو أن يقصد القائل أمرا ، فيورده على وجه حقيق أن يقبله (١٧) .

وفي الوجهين اللذين ذكرهما ، ففيهما من اكتمال الكلام وجودته وتميزه ، وتمكن قائله وقدرته .

. وقال الزمخشري - ٥٣٨ هـ : وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ ، وهذا قول بليغ . وتبالغ في كلامه : تعاطى البلاغة ، وليس من أهلها ، وما هو بليغ ولكن يتبالغ . (١٨) .

وقال ابن منظور - ٧١١ هـ : عن أبي حنيفة : وبلغت النخلة وغيرها من الشجر : حان ادراك ثمرها . وعنه أيضا : شيء بالغ : أي جيد . والبلاغة : الفصاحة . والبلغ والبلغ : البليغ من الرجال ، ورجل بليغ : وبلغ : حسن الكلام فصيح ، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه ، والجمع بلغاء . وقد بلغ - بالضم - بلاغة : أي صار بليغا . وقول بليغ : بالغ (١٩)

وقال الفيروز بادي ٧٢٩ هـ : « بلغ المكان بلوغا : وصل اليه ، أو شارف عليه ، والغلام : ادرك . وثناء أبلغ : «بالغ فيه . وشيء بالغ : جيد . وقد بلغ «بالغا . وجارية بالغ وبالغة : مدركة والبالغ : الفصيح ، يبلغ بعبارة كنه ضميره ، بلغ ككرم (٢٠) .

وقال النيبومي ٧٧٠ هـ : وبلغت الثمار : ادركت ونضجت وبلغ - بالضم - بلاغة ، فهو بليغ : اذا كان فصيحاً طلق اللسان (٢١) .

(١٧) المفردات - المادة ذاتها .

(١٨) الأساس - مادة بلغ .

(١٩) اللسان - المادة ذاتها .

(٢٠) القاموس - المادة ذاتها .

(٢١) المصباح - المادة ذاتها .

الدكتور محمد جابر فياض

وفي معجم الفاظ القرآن لمجمع اللغة العربية في القاهرة : : : . . . وقول
بليغ : أي واصل متناه من القوة ، أو هو من بلغ - ككرم - بلاغة ، فهو
بليغ بمعنى كان - أو صار - فصيحاً ، (٢٢) .

من هذا كله يمكن الانتهاء الى أن البلاغة من الفعل بلغ - ككرم -
حصراً ، وليست من الفعل بلغ - كقعد - خلافاً للبلاغ بمعنى الوصول .
فلم يرد في كل هذه المعاجم بلغ - بالفتح - بلاغة . وكونها لم تؤخذ من
الفعل بلغ - بالفتح - لا يعني أنها من غير البلوغ ، فهي منه واليه ، ولكنها
- كما أسلفت - ليست من دلالاته على مجرد الوصول ، وإنما ما يتطلبه الوصول
ويقتضيه من تميز وتفوق الواصل على المقطع فلولا هذا التميز والتفوق ،
ما كان للواصل أن يصل ، والأسباب قبل مبياتها أو نتائجها . فالبلوغ والوصول
كل منهما دليل التميز والاكتمال والتفوق ، وليس من البلوغ عنا بعيد ،
فما كان البالغ ليكلف ويكتب عليه لولا نضجه واكتماله ، ولهذا خص البالغ
بالجودة في كل هذه المعاجم . وفسر القول البليغ بالبالغ ، فبلاغة الكلام
جودته وتميزه ، وبلاغة المتكلم قدرته على الاجادة وتميزه على غيره بصنع
الكلام الجيد المتميز . ولهذا فسر البلاغة باللسن والفصاحة وطلاقة
اللسان ، والبليغ بحسن الكلام فصيح ، الذي يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في
قلبه أو ضميره ، فجاءت البلاغة نعنا حميدا خاصا بكلام دون سواه ، وأناس
دون آخرين . وطالعنا الجودة في كل ما عرفت به البلاغة من أقوال ، قبل
قبل استقرار المصطلحات البلاغية وعند استقرارها .

« تطور البلاغة من المعنى اللغوي الى المعنى الاصطلاحي »

حدث ابو حاتم ، قال : حدثني ابو عبيدة ، قال : حدثني غير واحد من هوزان ، من أولي العلم ، وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية ، قالوا : اجتمع عمرو بن الثرب العدواني وحمسة بن رافع الدوسي عند ملك من ملوك حمير ، فقال : تساءلا حتى اسمع ما تقولان . . فقال عمرو لحمسة : من أبلغ الناس ؟ قال : من جلى المعنى المزيز باللفظ الوجيز ، وطبق المفصل قبل التحزير . (٢٣)

وتطبيق المفصل واصابة المحز من الامثال العربية للحدق ، والمهارة في الكلام ، واصابة المعنى بالقول الموجز .

قال الجاحظ : ويقولون في اصابة عين المعنى بالكلام الموجز : فلان يقل المحز ، ويصيب المفصل . وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق ، فجعلوه مثلا للمصيب الموجز « (٢٤) و اضاف قائلا :

« . . . وقد فر ذلك لبيد بن ربيعة ، وبيته ، وضرب به المثل حيث قال في الحكم بين عامر بن الطفيل ، وعلقمة بن علاثة :

ياهرم بن الاكرمين منصبا انك قد أوتيت حكما معجبا

فطبق المفصل ، واغتم طيبا

يقول : احكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة بكلمة فصل ، وبأمر قاطع . فتفصل بين الحق والباطل ، كما يفصل الجزار الحاذق مفصل العظمين « (٢٥)

(٢٣) العقد ٢/٢٥٦ . والمزير : الناضل .

(٢٤) البيان والتبيين ١/١٠٧ .

(٢٥) البيان والتبيين ١/١٠٩ .

الدكتور محمد جابر فياض

والمذكور قال معاوية عمرو بن العاص : « ان أهل العراق قد قرنوا بك رجلا طويل اللسان ، قصير الرأي ، فأجد الحز ، وطبق المفصل ، وإياك ان تلقاه برأيك كله » (٢٦) .

وقال الاصمعي - ٢١٦ - د : « البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر » (٢٧) . وأول الجاحظ قول الاصمعي هذا بجواب جعفر بن يحيى لثمامة بن الأشرس حين سألته عن البيان قائلا : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك وببجلي عن مغزاك ، وتخرجه عن الشركة ، والاتستعين عليه بالفكرة . والذي لا بد له منه ، أن يكون سليما من التكاف ، بعيدا عن الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأويل . فقال الجاحظ : وهذا تأويل قول الاصمعي : البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر .

ومن هذا يتضح أن مفهوم البلاغة في العصر الجاهلي ما كان منصرفا الى مجرد الوصول والانتهاه وانصرافه الى الحذق والمهارة والاصابة والاجادة والتمكن وما إليها .

ولقد ظلت هذه المعاني بارزة فيما وصف بالبلاغة أو وصف به من أقوال . ولم يرد لفظ البلاغة في القرآن الكريم ، ولا في الحايث النبوي الشريف مع ورود غير قليل من مشتقات المادة اللغوية : الباء واللام والغين فيهما . فقد نعت القول بالبليغ في قوله تعالى : « فأعرض عنهم ، وعظهم ، وقل لهم - في أنفسهم - قولا بليغا » [النساء ٤] .

ولم يذكر الطبري ما قاله المفسرون الاوائل فيه (٢٨) غير أن الزمخشري

(٢٦) نفه ٢٧٥/١ .

(٢٧) نفه ١٠٦/١ .

(٢٨) تنيره : ٥/٩٩ .

مفهوم البلاغة

قال : أي قل لهم قولاً بايغاً في أنفسهم ، وثرأ في قلوبهم ، يغمرون به اغتماء ، ويستشعرون منه الخوف استشعاراً (٢٩) .

فالقول البايغ : هو القول المتميز بنضجه واكتماله ونفاذه ، المؤثر في ساعه وقارته . وقد وقفنا في التحقيق اللغوي على ما ذهب إليه الراغب الاصفهاني قبله في القول البايغ (٣٠) . ولا يخرج عن هذا المعنى لفظ البليغ الورد في قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله يبغض الرجل البليغ الذي يتخلل بلسانه تخلل البقرة بلسانها (٣١) فالبغض لمخيلة البايغ وزهوه وتبهه واي اسائه ، وليس لبلاشته ذاتها . وقال علي بن أبي طالب - ٤٠ هـ رضي الله عنه :

« البلاغة ايضاح الملابسات ، وكشف عوار الجبهالات ، بأسهل ما يكون من العبارات » (٣٢) .

ونقل الجاحظ أن معاوية بن أبي سفيان ٦٠ هـ - رضي الله عنه كان قد سأل صحار بن عياش العبدي - ٤٠ هـ - قائلاً : ما هذه البلاغة التي فيكم ؟ قال : شيء تجيش به صدورنا ، فتتذنه على ألسنتنا . قال معاوية : ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال : الايجاز . قال له : وما الايجاز ؟ قال : أن تجيب فلا تبطل . قال معاوية : أو كذلك تقول يا صحار ؟ قال : أقلني يا أمير يا أمير المؤمنين ، الا تبطل ولا تخطى (٣٣) .

(٢٩) الكشاف : ٣٧١/١ .

(٣٠) انظر في هذا البحث : ص : ٢٦٢ .

(٣١) الامثال لأبي أحمد المكري كما في الكثر ٣٢١/٣ ، سنن أبي داود ٥٩٧/٢ سنن الترمذي ١٤١/٥ ، مستد احمد ١٦٥/٢ ، ١٨٧ ، الترغيب ٣١٦/٥ ، الشكاة ٥٧٤/٢ ، الفائق ٢٣٤/٣ ، النهاية ٧٣/٢ ، مجمع الزوائد ١١٦/٨ ٢٦١/١٠ . وقد روي في قسم منها " يلب بلسانه كما تلب البقرة بلسانها " وفي قسم منها " البقرة ، مكان البقرة .

(٣٢) المناعتين : ٥١ - ٥٢ .

(٣٣) البيان والتبيين : ٩٦/١ .

الدكتور محمد جابر فياض

فالبلاغة — عندهم — ليست الإيجاز الذي نعهد من التعبير عن المعنى بأقل ما يمكن من الالفاظ فحسب ، وإنما هي — فضلا عنه — من الإصابة ، واحكام القول مع حضور البديهة ، ألا تراه قال : ألا تبطن ، ولا تخطي ؟ وهذه الامور كلها داليل الحذق والمهارة ، والتمكن من الإصابة واحكام القول . ومثل قول صحار ، أو قريب منه في قصر البلاغة على الإيجاز ، قول عمرو بن العاص — ٤٣ هـ حين سأه معاوية قائلا : من أبلغ الناس ؟ قال : من اقتصر على الإيجاز وتنكب الفضول (٣٤) .

وقال الحسن بن علي — ٥٥٠ هـ : « البلاغة تقرب بعيد الحكمة بأسهل العبارة » (٣٥) ومثله قول محمد بن الحنفية — ٨١ هـ : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه بأسهل العبارة (٣٦) .

وقال عبد الله بن عتبة — ٩٨ هـ : « البلاغة دثر المأخذ ، وقرع الخجة وقليل من كثير (٣٧) » .

وقال عمر بن عبد العزيز — ١٠١ هـ : « البليغ من اذا وجد كثيراً ملأه ، واذا وجد قليلاً كناه » (٣٨) . فعبر بهذا عن الحذق والتمكن .

ونقل ابرهلال العسكري قول محمد بن علي رضي الله عنهما : « البلاغة تفسير عسير الحكمة بأقرب الالفاظ » (٣٩) ونقل عنه — أيضاً — قوله : « البلاغة قول منقذ في لطف ، ونسره قائلاً : فالمفقه : المفهم ، واللاطيف من الكلام ماتعطف به القلوب النافرة ، ويؤنس القلوب المستوحشة ، وتلين به العريكة الآية

(٣٤) مجالس ثعلب : ١٨٧/١ .

(٣٥) الصنائع : ٥٢ .

(٣٦) نفسه : ١٢ .

(٣٧) نفسه : ١٦ ، الرسالة العذراء : ٤٦ .

(٣٨) الرسالة ، الموضع نفسه ١ .

(٣٩) الصنائع : ٥٢ . وأظنه أراد محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب — ٨١١ هـ .

مفهوم البلاغة

المتعمية وتبلغ به الحاجة . وتقام به الحجة ، ، فتخلص نفسك من العيب ، وتلزم صاحبك الذنب من غير أن تهيجه وتقلقه ، وتستدعي غضبه ، وتستثير حفيظته ، (٤٠) .

وقيل للامام ابراهيم بن محمد - ١٣٢ هـ : « ما البلاغة ؟ » قال : الجزالة والاطالة » (٤١) . وعقب ابن رشيق القبرواني على هذا بقوله : « وهذا مذهب جماعة من الناس جلة ، وبه كان ابن العميد يقول في منشوره » (٤٢) .

وروي عنه الجاحظ قوله : « يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق ، من سوء فهم السامع » (٤٣) . وعقب الجاحظ على هذا بقوله : « اما أنا فاستحسن هذا القول جداً » (٤٤) .

وقال عبد الحميد الكاتب - ١٣٢ هـ وقد سئل عن البلاغة : « هي ما رضىته الخاصة ، وفهمته العامة » (٤٥) . وقال : « لو كان الوحي يتزل على أحد بعد الانبياء فعلى بلغاء الكتاب » (٤٦) . وقال « خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ، ومعناه بكراً » (٤٧) . وقال : « البلاغة تقرير المعنى في الافهام ، من اقرب وجوه الكلام » (٤٨) .

وقال خالد بن صفوان - ١٣٥ هـ : « ليس البلاغة بخفة اللسان ، ولا

- (٤٠) نفسه : ٥١ .
(٤١) العمدة : ٢٤٥/١ .
(٤٢) الموضع نفسه .
(٤٣) البيان والتبيين : ٨٧/١ .
(٤٤) الموضع نفسه .
(٤٥) الاعجاز والايجاز : ١١١ .
(٤٦) الموضع نفسه .
(٤٧) الموضع نفسه .
(٤٨) زهر الآداب : ١٢٧/١ .

الدكتور محمد جابر فياض

بكثرة الهذيان ، واكثرها اصابة المعنى ، والقرع بالحجة ، (٤٩) . وقال ايضا :
« لا تكون بليغا حتى تكلم أمثك السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المهمة بما
تتكلم به في نادي قومك . وانما اللسان عضو ، اذا مرته مرن ، واذا تركته
كان كاليد تخشنها بالممارسة والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما اشبهه ،
والرجل اذا تعردت المشي مشت (٥٠) وقال كذلك : « أبلغ الكلام ما لا يحتاج
الى كلام ، وأحسنه ما لم يكن بالبدوي المغرب ولا القروي المخدج ، الذي
صحت مبانيه ، وحسنت معانيه ، ودار على ألسن القائلين ، وخف على آذان
السامعين ، ويزداد حسنا على مر السنين ، بتجلية الرواة ، وتنقية السراة .

والكتاب المستحق اسم الكتابة ، والبليغ المحكّم له بالبلاغة ، من اذا
حاول صنعة كتاب ، سالت على قلمه عيون الكلام من يتابعها ، وظهرت
من معادنها ، وبدرت من مواطنها ، عن غير استكراه ، ولا اغصاب (٥١)
وقال بشر بن خاله : « البلاغة التقريب من المعنى البعيد ، والتباعد عن خيس
الكلام ، والدلالة بالقليل على الكثير » (٥٢) .

وقل لابن المقفع - ١٤٢ هـ : « ما البلاغة ؟ قال : قلة الحصر ، والجرأة على
البشر . قيل له : فما العي ؟ قال : الاطراق من غير فكرة ، والشحن من غير
علة » (٥٣) .

ونقل الجاحظ عن اسحاق بن حسان بن قوهي قوله : « لم يفسر البلاغة
تفسير ابن المقفع احد قط . سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان

(٤٩) الرسالة المنراء : ٤٦ ، وفي المتن : ٢٦١/٢ " قيل لخالد بن صفوان ما البلاغة ؟ قال :
اصابة المعنى والتعمد للحجة » .

(٥٠) المتن : ٢٦٩/٢ - ٢٧٠ .

(٥١) الرسالة المنراء : ٣٥ ٣٦ .

(٥٢) نفسه : ٤٦ .

(٥٣) المتن : ١٨٩/٤ - ١٩٠ .

مفهوم البلاغة

ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جواباً ،
ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سجماً وخطباً .
ومنها ما يكون رسائل . فعادة ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها والإشارة ،
والإيجاز هو البلاغة . فأما الخطب بين السامعين ، وفي إصلاح ذات البين ،
فالأكثار في غير خطب ، والاطالة في غير أمال .

ولیکن صدر كلامك دليلاً على حاجتك ، كما ان خير أبيات الشعر البيت
الذي اذا سمعت صدره ، عرفت قافيته .

كأنه يقول : فرق بين صدر خطبة النكاح ، وبين صدر خطبة العيد ،
وخطبة الصلح ، وخطبة التراهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل
على عجزه — فانه لاخير في كلام لايدل على معنك ، ويشير الى مغزائك ،
والى العمود الذي قصدت ، والعرض الذي نرعت .

قال : فتبيل له : فان ملّ السامع الاطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقوف ؟
قال : اذا أعطيت كل مقام حقه ، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام
وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد
والعدو ، فانه لايرضيهما شيء* ، وأما الجاهل فليست منه وليس منك ،
ورضا الناس شيء لاينال هـ (٥٤) .

فابن المقفع يرى البلاغة الاجادة المتمثلة بمراعاة ما يقتضيه الحال ويتطلبه ،
في السكرت والاستماع ، والابتداء والجواب ، والإيجاز والاطالة ، وغير
ذلك مما ذكره . وقد نص صراحة على إعطاء كل مقام حقه ومراعاة ما يجب
من سياسة ذلك المقام ، فالبلاغيون المتأخرون لم يأتوا بأكثر من صياغة هذا
الذي ذكره أو اشار اليه في بلاغة الكلام خاصة .

(٥٤) البيان والنبين : ١١٥/١ - ١١٦ .

الدكتور محمد جابر فياض

ومثل هذا أو قريب منه ما ذهب اليه عمرو بن عبيد - ١٤٤ هـ - وإن نزع فيه منزعا آخر - حين سأله حفص بن سالم قائلا : ما البلاغة ؟ ؟ فقال : « ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما ابصر لك مواقع رشذك ، وعواقب غيك . قال : ليس هذا أريد . قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع ، لم يحسن القول .

قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « انا معشر الانبياء بكاء ، أي قليلو الكلام . ومنه قيل : رجل بكى . وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله .

قال : ليس هذا أريد . قال : كانوا يخافون من فتنة القول ، ومن سقطات الكلام ، ما لا يخافون من فتنة السكوت ، ومن سقطات الصمت . قال : ليس هذا أريد . فقال له : فكأنك انما تريد تخير اللفظ ، في حسن الافهام ؟ قال : نعم .

قال : انك أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين ، وتخفيف المؤونة على المستمعين ، وتزوين تلك المعاني في قلوب المريدين ، بالالفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذنان ، رغبة في سرعة استجابتهم ، وثقي الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب « (٥٥) فبلاغة القول عنده تخير اللفظ في حسن الافهام ، وفي ايضاحه لهذا القول من الفاظ الحسن والتريين ما فيه .

وقال المنصور - ١٥٨ هـ : « البلاغة والغنى اذا اجتمعا لا يرى أبطراه » (٥٦) .

(٥٥) البيان والتبيين : ١ / ١١٤ .

(٥٦) الصنائع : ١٦ .

وقال الخليل - ١٧٠ هـ : « البلاغة كلمة تكشف عن البغية » (٥٧) . وقال
ايضا : « البلاغة ما قرب طرفاه ، وبعد منتهاه » (٥٨) . وقال : « كل ما أدى
الى قضاء الحاجة فهو بلاغة » ، فان استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا ،
ولتلك الحال ونقا ، وآخر كلامك لأوله مشابها ، ومورده لمصدره موازنا ،
فافعل . واحرص أن تكون لكلامك متبهما وأن ظرف ، وانظمتك مستريا
وان لطف ، بمرواة آلتك لك ، وتصرف ارادتك معك ، فافعل » (٥٩) .
وقوله هذا خير تلخيص لما كان ذكره ابن المقفع ، ان كان الخليل وقف عليه .
وقال المفضل الضبي - ١٧٨ هـ : « قلت لاعرابي منا : ما البلاغة ؟ قال
لي : الايجاز في غير عجز ، والاطتاب في غير خطل » .

قال ابن الاعرابي : فقلت للمفضل : ما الايجاز عندك ؟ قال : حذف
الغضول وتقريب البعيد » (٦٠) . وهذا الذي ذهب اليه المفضل شبيه بالذي
ذهب اليه الخليل في قوله الاولين . وأشبه بهما منه قول خلف الأحمر - ١٨٠ هـ
تقريبا : « البلاغة لمحة دالة » (٦١) .

وكتب جعفر بن يحيى بن خالد - ١٨٦ هـ الى عمرو بن معدة : « اذا
كان الاكثار أبلغ ، كان الايجاز تقصيرا ، واذا كان الايجاز كافيا كان
الاكثار عيا » (٦٢) وقيل له : « ما البلاغة ؟ قال : التقريب من المعنى البعيد ،
والدلالة بالتقليل على الكثير » . (٦٣) .

(٥٧) العمدة : ٢٤٢/١ .

(٥٨) نفسه : ٢٤٥/١ .

(٥٩) الرسالة الغراء : ٤٨ .

(٦٠) البيان والتبيين : ٩٧/١ .

(٦١) العمدة : ٢٤٢/١ .

(٦٢) الموضع ذاته .

(٦٣) العقد : ١٩٨ / ٤ .

الدكتور محمد جابر فياض

وسئل كاثوم بن عمرو العتابي - ٢٠٨ هـ : ما البلاغة ؟ ؟ فقال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ، ولا حجة ، ولا استعانة فهو بليغ . فإن اردت اللسان الذي يروق الالسة ، ويفوق كل خطيب فإظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق » (٦٤) .

وقال الجاحظ : « والعتابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ . لم يعن أن كل من أفهمنا - معاشر الموالدين والبلديين - قصده ومعناه بالكلام الملحون ، المعدول عن جهته ، المصروف عن حقه ، محكوم له بالبلاغة (٦٥) . الملحون ، المعدول عن جهته ، المصروف عن حقه ، أنه محكوم له بالبلاغة . وإنما عني العتابي أفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء (٦٥) » .

وضرب عددا من الأمثلة التي لم يفهم منها العرب الفصحاء ما أريد بها لما فيها من اللحن وأكرنها معدولة عن جهتها ، مصروفة عن قصدها ، منها قوله : « وقد روى أصحابنا أن رجلا من البلديين قال لأعرابي : كيف أدلك ؟ - قالها بكسر اللام - قال الأعرابي : صلبا ، لأنه أجابه على فهمه ، ولم يعلم أنه أراد المائة عن أهله وعياله » (٦٦) . وأضاف قائلا :

« فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة والاكثة ، والخطأ والصواب ، والاغلاق والابانة ، والملحون والمغرب ، كله سواء ، وكله بيانا ، وكيف يكون ذلك كله بيانا ، ولولا طول مخاطبة السامع للعجم ، وسماعه للفساد من الكلام لما عرفه . ونحن لم نفهم عنه الا لا تنص الذي فينا . وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء

(٦٤) البيان والتبيين : ١/١١٣ .

(٦٥) البيان والتبيين : ١/١٦١ - ١٦٢ .

(٦٦) نفسه : ١/١٦٣ .

بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الرومي والصقلي ، وإن كان هذا الاسم إنما يستحقونه بأننا نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم فنحن قد نفهم بحممة الفرس كثيرا من حاجاته ، ونفهم بضياء السور كثيرا من ارادته . وكذلك الكلب والحمار والصبي الرضيع . (٦٧) .

وأخذ أبو هلال العسكري كل هذا الذي ذهب إليه الجاحظ في ايضاح قول العتابي بايجاز من غير ما اشارة اليه (٦٨) .

وعقب الجاحظ على قول الشاعر :

ألارب خصم ذي فنون علوته وإن كان ألوى يشبه الحق باطله

بقوله : فهذا هو معنى قول العتابي : « البلاغة اظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق » (٦٩) . وروي ان العتابي قال : « البلاغة مد الكلام بمعانيه اذا قصر ، وحن التألف اذا طال » (٧٠) .

وجاء بصحيفة بشر بن المعتز — ٢١٠ هـ المشهورة ، ومنها قوله :

« . . . أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معنالك ظاهرا مكشوفًا ، وقريبا معروفا ، اما عند الخاصة ، ان كنت للخاصة قصدت ، واما عند العامة ، ان كنت للعامة ، أردت .

والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة . وانما مدار الشرف على الصواب ، وانحرار المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال .

(٦٧) نفسه : ١٦٢/١ .

(٦٨) الصناعتين : ١٠ - ١١ .

(٦٩) البيان والتبيين : ٢٢٠/١ .

(٧٠) زهر الاداب ١٢٧/١ .

الدكتور محمد جابر فياض

فإن امكانك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك على تفلسك ، الى أن تفهم العامة معاني الخاصة ، وتكسرهما الانفاظ الواسطة ، التي لاتلطف عن الدماء ، ولا تجفو عن الاكفاء ثأنت البليغ التام ، (٧١) .

ونقل عن سهل بن هارون - ٢١٥ هـ قوله :

«السان البالغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان في واحد ، واعر من ذلك نأ تجتمع بلاغة الشعر وبلاغة القلم ، (٧٢) .

كما نقل عنه قوله : « بلاغة اللسان رفق ، والعي خرق ، (٧٣) .

وقال ابن الاعرابي - ٢٣١ هـ : « البلاغة التقرب من البغية ، ودلالة قليل على كثير ، (٧٤) .

ولم يكتف الجاحظ - في مفهوم البلاغة بما نقله عن العرب مع كثرة ما نقله عنهم ، فجاء بأقوال غيرهم من الامم والاقوام ، فقال :

« . . قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والفرارة يوم الاطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الاشارة .

وقال بعض اهل الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة .

(٧١) البيان والتبيين : - ١٢٦/١ .

(٧٢) نفسه : - ٢٤٣/١ .

(٧٣) نفسه : - ٤٢/٢ .

(٧٤) المسد : ٢٤٦/١ .

مفهوم البلاغة

ثم قال : ومن البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الانصاح الى الكناية ، اذا كان الانصاح أوعر طريقة . وربما كان الاضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك ، وأحق بالظفر .

وقال مرة : جماع البلاغة التماس حسن الموضع ، والمعرفة بساعات القول ، وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غمض ، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر .

ثم قال : وزين ذلك كله ، وبهاؤه ، وحلاوته وسناؤه ، أن تكون الشائل موزونة ، والالفاظ معدلة ، واللهجة نقية ، فان جامع ذلك السن والسمت ، والجمال وطول الصمت ، فقد تم كل التمام ، وكمل كل الكمال ، (٧٥) .

ونقل عن معمر - أبي الاشعث - أنه قال لبهلة الهندي : ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ، لكن لا أحسن ترجمتها لك ، لم أعالج هذه الصناعة ، فأثق في تفني بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها .

قال أبو الاشعث : فلقيت بتلك الصحيفة الترجمة ، فاذا فيها : أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيب رابط الجاش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ، ولا الملوك بكلام السوق . ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة . ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا ينتقح الالفاظ كل التنقيح ، ولا يصنفها كل التصنيف ، ولا يهذبها غاية التهذيب . ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما ، أو فيلسوفا عليما ، ومن قد تعرد حذف فضول الكلام ، واستقاط مشتركات

الدكتور محمد جابر نياض

الالفاظ ، وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ، لا على جهة الاعتراض والتصحيح ، وعلى وجه الاستطراف والتخالف .

قال : ومن علم حق المعنى ، أن يكون الاسم له طبقا ، وتلك الحال له وفقا ، ويكون الاسم لا قاضلا ولا مفضولا ، ولا مقصرا ولا مشتركا ولا مضمنا ويكون - مع ذلك - ذاكرة لما عقد عليه أول كلامه ، ويكون تصفحه لمصادره في وزن تصفحه لمصادره ، ويكون لفظه موقفا ، ولحول تلك المقامات معاردا . ومدار الامر على الافهام كل قوم بمقدار طاقتهم ، والحمل عليهم على اقدار منازلهم . وأن تواتيه الآتية ، وتتصرف معه أدواته .

ويكون في التهمة لنفسه معتدلا ، وفي حسن الظن بها مقتصدا ، فانه ان تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها ، فأودعها ذلة المظلومين ، وان تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها آمنها ، فأودعها تهاون الآمنين . واكل ذلك مقدار من الشغل ، واكل شغل مقدار من الوهن ، واكل وهن مقدار من الجهل (٧٦) .

ونقل ايضا أنه قيل لرجل من الحكماء : ما جماع البلاغة ؟ قال : معرفة السليم من المعتل ، وفصل ما بين المضمن والمطلق ، وفرق بين المشترك والمفرد وما يتحمل التأويل من المنصوص المقيد (٧٧) .

غير أن الجاحظ الذي وقف على هذه الاقوال الكثيرة التي نقلها كان قد اعرب عن اشارة لقول لم يسم قائله ، فقال :

(٧٦) البيان والتبيين : - ١/٩٢ - ٩٣ .

(٧٧) البيان والتبيين : - ٢/١٠٤ .

وقال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتبيناه ودونناه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة ، حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمعك ، اسبق من معناه الى قلبك (٧٨) .

والجاحظ صيرفي الكلام ناقد ، لم يكن ليختار هذا القول ويؤثره - وان لم يوقف الحسن عليه وحده - لولا ما رآه فيه من تجسيد لميزات الكلام البالغ . فاختصاص القلب فيه مقصود ، غير عفوي ، أريد به إبراز حلاوة الكلام راستباق اللفظ والمعنى ووصولهما سوياً - مع حرص كل منهما على الوصول قبل الآخر - إساءة ذكية للموازنة الدقيقة بينهما في الجودة والنفاذ والسرعة فالإسماع ، والافتدة لا تستقبل بسرعة إلا ما جاد وراق وحسن ، وهل البلاغة غير هذه الجودة والحسن ، والحدق في اختيار الكلام وصياغته ؟؟ أوليس الجاحظ هو التماثل في الشعر والموازنة بين اللفظ والمعنى :

« والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي ، والبلوي ، والترووي والملائي وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخبر اللفظ ، وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير ، وفي رواية (صياغة) مكان (صناعة) وهي أدل على الحدق والمهارة من الصناعة وأولى بالسياق الذي وردت فيه . (٧٩) . والجاحظ هو الذي وصف بلاغة ثمامة بن أشرس التي اعجبته أيما اعجاب بقول ثمامة نفسه في جعفر بن يحيى . فقال :

(٧٨) نفسه : - ١١٥/١ .

(٧٩) الميراث : - ١٢١/٢ - ١٢٢ .

الدكتور محمد جابر فياض

وقال ثمامة بن أشرس : كان جعفر بن يحيى أنطق الناس ، وقد جمع الهدوء والتمهل ، والجزالة والحلاوة . وافهما يغنيه عن الاعادة . ولو كان في الارض ، ناطق يستغنى بمنطقه عن الاشارة ، لاستغنى جعفر عن الاشارة ، كما استغنى عن الاعادة .

وقال مرة : « رأيت احدا كان لا يتحبس ، ولا يتوقف ، ولا يتلجلج ، ولا يتحنن ولا يرتقب افظا قد استدعاه من بعد ، ولا ياتمس التخلص الى معنى قد تعصى عليه طلبه ، اشد اقتدارا ، ولا أقل تكلفة من جعفر بن يحيى » (٨٠) .
فكتب الجاحظ قائلا : وهذه الصفات التي ذكرها ثمامة بن أشرس فوصف بها جعفر بن يحيى ، كان ثمامة بن أشرس قد انتظمها لنفسه ، واستولى عليها دون جميع أهل عصره . انه ما كان في زمانه قروي ، ولا بلدي كان بلغ من حسن الافهام ، مع قلة عدد الحروف ، ولا من سهولة المخرج ، مع السلامة من التكلف ، ما كان بلغه .

وكان لفظه في وزن معناه ، ومعناه طبق لفظه ، ولم يكن لفظه الى سمعك بأسرع من معناه الى قلبك » (٨١) فاختم تعقيبه بما كان آثره .

وهو القائل : « أما أنا فلم أرقط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فانهم ، قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوقيا » . . (٨٢) .

وفي فصل من صدر رسالته في (البلاغة والايجاز) جاء ما نصه :
« والبلاغة اصابة المعنى ، والقصد الى الحجة مع الايجاز ومعرفة الوصل من الوصل » (٨٣) .

(٨٠) البيان والتبيين : ١٠٥/١ - ١٠٦ .

(٨١) نفسه : ١١١/١ .

(٨٢) البيان والتبيين : ١٣٧/١ .

(٨٣) البلاغة والايجاز - في مجلة البلاغ - ٢٣ .

وأضاف فيها أن حسن البيان محمرد ، وحسن الصمت حكم ، وربما كان الإيجاز محمردا والاكثار مذموما . وربما رأيت الاكثار احمد من الإيجاز . واكل مذهب ووجه عند العاقل ، واكل مكان مقال ، واكل كلام جواب . مع أن الإيجاز أسهل مراما ، وأيسر مطلبا من الاطناب . ومن قدر على الكثير ، كان على القليل أقدر ، والتقليل للتخفيف ، والتطويل للتعريف ، والتكرار للتوكيد والاكثار للتشديد . . .

وأما المذموم من المقال فما دعا الى الملال ، وجاوز المقدار ، واشتمل على الاكثار وخرج عن مجرى العادة .

وكل شيء أفرط في طبعه ، وتجاوز مقدار وسعه ، عاد الى ضد طباعه فيتحول البارد حارا ، ويصير النافع ضارا ، كالصندل البارد ان أفرط في حكه عاد حارا ، وذييا ، كالثلج يطئن في قليله الحرارة ، وكثيره يحركها . وكذلك القرد لما أفرط قبحه ، وتناهت سماجته استلج واستظرف . والى هذا ذهب من عد الاكثار عيا والإيجاز بلاغة . (٨٤) .

ومهما يكن من شيء أن أقول الذي آثره ابن المدبر والجرجاني بعد ذلك كما سنقف عليه عندهما (٨٥) .

ولقد سئل الكندي - ٢٥٨ هـ عن البلاغة فقال : ركنها اللفظ وهو على ثلاثة أنواع : فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به ، ونوع تعرفه وتتكلم به ، ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو احدها (٨٦) .

وعقب ابن قتيبة - ٢٧٦ هـ على ما نقله من قول ابرويز الكاتبه : « واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول » بقوله : « يريد الإيجاز . وهذا ليس

(٨٤) نفسه - ٢٤ .

(٨٥) انظره في هذا البحث : ص ٢٧ ، ٤٢ .

(٨٦) المدة : - ٢٤٧/١ .

الدكتور محمد جابر فياض

بمحمود في كل موضع ، ولا بمختار في كل كتاب . بل اكل مقام ، قال .
ولو كان الايجاز محمود في كل الاحوال لجرده الله تعالى في القرآن . ولم
يفعل الله ذلك ولكنه أطال تارة للتوكيد ، وحذف تارة للايجاز ، وكرر تارة
للافهام . . . (٨٧) .

ونقل ابن المديبر - ٢٧٩ هـ قول « أنوشروان لبزر جمهر : متى يكون
الصبي بليغا ؟ قال : اذا وصف بليغا » (٨٨) .

وكتب رسالة في صفة الكتابة تشبه الى حد ما صحيفة بشر بن المعتمر
أودعها كثيرا مما وقف عليه من أقوال في الفصاحة والبلاغة ، وصنعة الكتابة
ومتطاباتها ، قال في مقدمتها : « سأنتي أن أقف بك على وزن عذوبة اللفظ
وحلاوته ، وحدود فخامة المعنى وجزالته ، ورشاقة نظم الكتاب ومشكلة
سرده ، وحن افتتاحه وختمه ، وانتهاء فصوله ، واعتدال وصوره ، من
الزال وبعدها عن الخطل ، ومتى يكون الكاتب مستحقا اسم الكتابة ، والبلغ
مسلما له معاني البلاغة في اشارته واستعارته . . . » (٨٩) .

وانتهى في البلاغة الى ما اختاره الجاحظ وآثره فيها من اقوال . فقال :
« . . . ولكن سياسته « الكلام » - صعبة ، وتأليفه شديد الاعلى جهابذته
وفرسانه وامراء الكلام ، يصرفونه كيف شاؤوا . ولا يستحق اسم البلاغة
حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، لا يكون اللفظ اسبق الى الاسماع
من معناه الى القلوب » (٩٠) .

وقال أبو العيناء - ٢٨٢ هـ في البليغ : « من اجتراً بالتقليل عن الكثير
وقرب البعيد اذا شاء ، وبعد القريب ، واخفى الظاهر ، واظهر الخفي » (٩١) .

(٨٧) أدب الكاتب : - ١٥ - ١٦ .

(٨٨ - ٨٩) الرسالة العدد ٤٦ .

(٩٠) ٢٩ .

(٩١) العدد : - ٢٤٦/١ .

وقال المبرد - ٢٨٦ هـ : « أن من حق البلاغة احاطة القول بالمعنى واختيار الكلام ، وحسن النظم ، حتى تكون الكلمة مقاربة اختها ، ومعاضة شكايها ، وأن تقرب البعيد ، وتحذف منها الفضول . . . »

فإن استوى هذا في الكلام المنشور ، والكلام المرصوف المسمى شعرا فلم يفضل أحد التسمين صاحبه ، فصاحب الكلام المرصوف أحمد ، لأنه أتى بمثل ما أتى به صاحبه ، وزاد وزنا وقافية ، والوزن يحمل على الضرورة ، والقافية تضطر إلى الحيلة .

وبقيت بينهما واحدة ، ليست مما توجد بعد استماع الكلام منهما ، ولكن يرجع إليهما عند قولهما ، فينظر أيهما أشد على الكلام اقتدارا وأكثر تسمحا ، وأقل معاناة ، وأبطأ معاصرة ، فيعلم أنه المقدم » (٩٢) .

ووازن بين قوله صلى الله عليه وسلم : « وكفى بالسلامة داء » ومثله من أقوال شعرية ونثرية وقال : « فانظر إلى هذا الكلام الذي لا زيادة فيه ولا نقصان ، لا يطول المعنى ولا يقصر عنه ، وانظر إلى فخامته وجزالته يقول : كفى بالسلامة داء . فأي كلام أوعظ ، أو زجر في القلب أوقر ؟ إن هذا الكلام لبجل عن أن يبلغه وصف ، أو يحيط بكنهه قول » (٩٣) وقال ابن المعتز - ٢٩٦ هـ : « البلاغة بلوغ المعنى ، ولما يطل سفر الكلام » (٩٤) .

وغير خاف أن هذه الأقوال وغيرها كانت قد أوضحت مفهوم البلاغة إيضاحا تاما وإن لم تكن بصياغة حد جامع مانع لها .

(٩٢) البلاغة : ٥٩ - ٦٠ .

(٩٣) نفسه : ٦٦ .

(٩٤) العمدة : ٢٤٦/١ ، التثيل والمحاضرة - ١٥٨ وفيه : أن تبلغ المعنى ولم يطل سفر الكلام .

الدكتور محمد جابر فياض

والغريب أن يضيف اسحاق بن وهب - ٣٣٧ هـ الى قول المبرد (فصاحة
اللسان) ايجعل منه حدا للبلاغة ، وكأن كل من سبقه لم يفتن اليه فيقول
: وقد ذكر الناس البلاغة ، ووصفوها بأوصاف لم تشتمل على حدها ،
وذكر الجاحظ كثيرا مما وصفت به ، وكل وصف منها يفصر عن الاحاطة
بحدها . وحدها عندنا : القول المحيط بالمعنى المقصود ، مع اختيار الكلام ،
وحسن النظام ، وفصاحة اللسان .

وانما اضيف الى الاحاطة بالمعنى اختيار الكلام ، لان العاصي قد يحيط
قواه بمعناه الذي يريد ، الا أنه بكلام مردول من كلام امثاله ، فلا يكون
موصوفا بالبلاغة .

وزدنا فصاحة اللسان لان الاعجمي والامحان قد يبلغا مرادهما بقولهما
فلا يكونان موصوفين بالبلاغة .

وزدنا حسن النظام لانه قد يتكلم النصيح بالكلام الحسن ، الآتي على
المعنى ولا يحسن ترتيب النماظه ، وتصير كل واحدة مع ما يشاكلها ، فلا
يقع ذلك مرقعه (٩٥) .

مع أن المبرد قبله بنصف قرن او يزيد كان قد قال : ان من حق البلاغة
احاطة القول بالمعنى ، واختيار الكلام ، وحسن النظم . فليس له فيه غير
فصاحة اللسان ، التي هي من قبيل تحصيل الحاصل ، فما ذهب أي من
المتحدثين عن البلاغة الى أن غير النصيح يمكن ان يكون بليغا ، وقد نبه الى
هذا الجاحظ في ايضاحه لما عناه المتأبى بقراءه : كل من أفهمك حاجته فهو
بليغ (٩٦) .

(٩٥) البرهان - ١٦٣ .

(٩٦) انظر في هذا البحث - ١٩ - ٢٠ .

مفهوم البلاغة

ومهما يكن من شيء^{٩٧} فإن قراءه هذا إنما يبرز لنا عناية قسم من البلغاء والبلاغيين بالحدود والتعريفات في وقت مبكر خلافا لما كنا نعهده .

وقال الرماني - ٣٨٦ هـ :

« . . . وليست البلاغة افهام المعنى لانه قد يفهم المعنى متكلما ان احدهما بليغ والآخر عيب ، ولا البلاغة ايضا بتحقيق اللفظ على المعنى ، لانه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ، ونافر متكلف .

رأينا البلاغة ايصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ . فأعلاها طبقة - في الحسن - بلاغة القرآن ، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كاعجاز الشعر المفحم ، فهذا معجز للمفحم خاصة ، كما ان ذلك معجز للكافة هـ (٩٧) .

وقال الخطابي - ٣٨٨ هـ :

« . . . فمنها البليغ الرصين الجزل ، ومنها التفصيح القريب السهل ، ومنها الجائر الطلاق الرسل . وهذه اقسام الكلام المحمدي ، دون المهجين المذموم واعلم ان القرآن إنما صار معجزا لانه جاء بأفصح الالفاظ في احسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني

ثم اعلم ان عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات ، هو وضع كل نوع من الالفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الاخص الاشكل به

ولم تقتصر فيما اعتمدنا من البلاغة لاعجاز القرآن ، على مفرد الالفاظ التي منها يتركب الكلام ، دون ما يتغير منه من ودائع التي هي معانيه ، وملابسه التي هي نظوم تأليفيه . . . هـ (٩٨) .

(٩٧) النكت : - ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - ٦٩ .

(٩٨) بيان اعجاز القرآن : - ضمن الرسائل ذاتها - ٢٢ - ٢٢ .

الدكتور محمد جابر نياض

وقال أبو هلال العسكري - ٣٩٥ هـ : البلاغة من قولهم : بلغت الغاية إذا انتهيت إليها ، وبلغتها غيرى . ومبلغ الشيء : منتهاه . والمبالغة في الشيء : الانتهاء إلى غايته .

فسميت البلاغة بلاغة ، لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه . وسميت البلغة بلغة لأنك تبلغ بها ، فتنتهي بك إلى ما فوقها ، وهي البلاغ أيضا . ويقال الدنيا بلاغ : لأنها تؤدبك إلى الآخرة . والبلاغ أيضا : التبليغ ، في قول الله عز وجل : « هذا بلاغ للناس » أي تبليغ ويقال : بلغ الرجل بلاغة ، إذا صار بليغا ، كما يقال : نبل نبالة ، إذا صار نبلا . وكلام بليغ وبلغ - بالفتح - كما يقال : وجيز ووجز ، ورجل بلغ - بالكسر - يبلغ ما يريد ، وفي مثل لهم احمق بلغ . ويقال : أبلغت في الكلام إذا أتيت بالبلاغة فيه . كما تقول : أبرحت إذا أتيت بالبرحاء ، وهو الأمر الجسيم .

والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم . فلهذا لا يجوز أن يسمى الله جل وعز بأنه بليغ ، إذ لا يجوز أن يوصف بصفة كان موضوعها الكلام . وتسميتنا المتكلم بأنه بليغ توسع . وحقيقته أن كلامه بليغ ، كما تقول : فلان رجل محكم ، وتعني أن أفعاله محكمة . قال الله تعالى : « حكمة بالغة » فجعل البلاغة من صفة الحكمة ، ولم يجعلها من صفة الحكيم ، لأن كثرة الاستعمال ، جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة ، كما أنها جعلت تسمية المزايدة راوية كالحقيقة ، وكان الراوية حامل المزايدة ، وهو البعير وما يجري مجراه .

وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد ، وإن اختلف أصلهما ، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والاظهار له . . .

وقد اضطرب أبو هلال أيما اضطرب في التمييز بين البلاغة والفصاحة أو ، تمارنتهما ببعضهما فهو بعد أن أرجعهما إلى معنى واحد مع اختلاف أصليهما أشار إلى اختلافهما فقال : « فعلى هذا تكرر الفصاحة والبلاغة مختلفتين ، وذلك أن الفصاحة تمام آفة البيان ، فهي مقصورة على اللفظ ، لأن الآفة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة إنما هي انتهاء المعنى إلى القلب فكانها مقصورة على المعنى .

ومن الدليل أن الفصاحة تتضمن اللفظ ، والبلاغة تتناول المعنى ، أن البيغاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً ، إذ هو مقيم الحروف ، وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه . وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً ، إذا كان واضح المعنى ، سهل اللفظ ، جيد البك ، غير مستكره ولا فج ، ولا متكلف وخم . ولا يمنع من أحد الإسمين شيء لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف .

وشهدت قوما يذهبون إلى أن الكلام لا يسمى فصيحاً ، حتى يجمع مع هذه النعوت فخامة وشدة وجزالة

وقالوا : وإذا كان الكلام يجمع نعوت الجودة ، ولم يكن فيه فخامة وفضل جزالة سمي بليغاً ولم يسم فصيحاً (٩٩) . وهذا الذي انتهى إليه غريب واغرب من غريب بعد الذي قاله في فصاحة البيغاء ، واختصاص الفصاحة بإقامة الحروف أو حصرها بها ، وجعل الفصاحة بعد هذا أخص من البلاغة ، وأعلى منها مرتبة . وهو ما لم نقف عليه عند غيره ، ولا يعفيه أنه في هذا ناقل ، لكونه لم يسم هؤلاء الذين نقل عنهم ، ولم يعقب على قولهم بشيء ، غير ما مثل به من نصوص لاشك في فصاحتها وبلاغتها فقال : « وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر الصولي لأبراهيم بن العباس :

الدكتور محمد جابر فياض

تمر الصبا صفحا بساكنة الغضا ويصدع قلبي أن يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما هوى كل نفس حيث حل حبيبها
فاليات الاول فصيح وبلغ ، واليات الثاني بليغ وليس بفصيح . واستدلوا
على صحة هذا المذهب بقول العاص بن عدي : الشجاعة قلب ركين ،
والفصاحة لسان رزين . والاسان هاهنا : الكلام ، والرزين : الذي فيه
فخامة وجزالة . (١٠٠) مع ان البيت الثاني لا يقل فصاحة عن البيت الاول ،
ورقته لا تخرجه عن الفصاحة والا اكان كل كلام رقيق غير فصيح ، فلا
أدري كيف يأتي بمثل هذا الرأي النج ويعرضه ، ويسكت عنه ، من غير
أن يعقب عليه بشيء ، مع انه خصص الفصول الثلاثة الاولى من كتابه
للحديث عن البلاغة والفصاحة ، الاول : « في الابانة عن موضوع البلاغة
في اللغة ، وما يجري معه من تصريف لفظها ، والقول في الفصاحة وما
يتشعب منه » (١٠١) . والثاني : « في الابانة عن حد البلاغة » (١٠٢) .
والثالث « وهو القول في تفسير ما جاء عن الحكمة في حدود البلاغة » (١٠٣) .
فقال في الابانة عن حد البلاغة : « فنقول : البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب
السامع ، ، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك ، مع صورة مقبولة ومعرض
حسن .

وانما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة ، لان الكلام
اذا كانت عبارته رثة ، ومعرضه خلقا لم يسم بليغا ، وان كان مفهوم المعنى ،
مكتشف المتزى . (١٠٤) وأوضح فيه قول العتابي بمثل ما أوضحه الجاحظ
من قبل ، ان لم يكن هو اياه باكثر لفظة ومعناه (١٠٥) . واحتج للحد الذي
ذكره قائلا :

(١٠٠) [نق : ٩ .

(١٠١) ، (١٠٢) ، (١٠٣) : الصائتين : ٦ ، ١٠ ، ١٤ .

(١٠٤) نق : ١٠ . (١٠٥) نق : ١٠ - ١١ .

مفهوم البلاغة

« وما يؤيد ما قلنا من أن البلاغة إنما هي إيضاح المعنى وتحسين اللفظ قول بعض الحكماء : البلاغة تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام إلى غير ذلك مما سنذكره ونفسره في هذا الباب إن شاء الله .

وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : البلاغة قول تضطر العقول إلى فهمه بأسهل العبارة « فقله : تضطر العقول إلى فهمه عبارة عن إيضاح المعنى وقوله بأسهل العبارة تنبيه على تبهيل اللفظ وترك تنقيحه » . (١٠٦)

وأكد في الفصل الثالث ما ذكره من أحدهما في الفصل الثاني وأورد أقوالاً غير قليلة فيها وتولى شرحها والتعميل لها مع ما في طائفة منها من أطناب فجاء هذا الفصل أطول النصول الثلاثة .

واعلم من الانصاف أن تشير إلى أنه لم يقصر الفصاحة أو البلاغة على الجزالة بل صرح في هذا الفصل ، بما كنا نتظر أن يصرح به هناك أثر القول الذي ساقه . فقال هنا : « وأبلغ من هذه المترلة ، أن يكون في قوة صائغ الكلام ، أن يأتي مرة بالجزل وأخرى بالسهل ، فيلين إذا شاء ، ويشدد إذا أراد ، ومن هذا الوجه فضلوا جريراً على الفرزدق ، وأبا نواس على علي مسلم » (١٠٧)

كما أنه أورد أقوالاً لم أقف عليها عند من سبقه ، منها ما قد عزاه لقائله ، ومنها ما لم يعزه لقائل بعينه ، من هذه قوله :

« قال بعض الحكماء : البلاغة قول يسير ، يشتمل على معنى خطير . وهذا مثل قول الآخر : البلاغة حكمة تحت قول وجيز ، وقول الآخر : البلاغة علم كثير في قول يسير » . (١٠٨)

(١٠٦) نفسه : ١٢ .

(١٠٧) الصنائع : ٢٤ .

(١٠٨) نفسه : ٣٧ .

الدكتور محمد جابر نياض

« وكما قال بعضهم : البلاغة صوب ، في سرعة جواب ، والعي اكثار في اذار ، وابطاء يردفه أخطاء » (١٠٩) .

« وقال العربي : البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد من حشو الكلام ، وقرب المأخذ ، وإيجاز في صواب ، وقصد الى الحجة ، وحسن الاستعارة . »

ومثله قول الآخر : البلاغة تمريب ما بعد من الحكمة بأيسر الخطاب ... والرواية الصحيحة أن العربي قال : البلاغة التقرب من المعنى البعيد . ولكن رأيت في بعض أصولي كما ذكرته قبل فأوردته هاهنا وفسرته على ما رأيت في الاصل . » (١١٠) .

غير انه نقل عن جعفر بن يحيى في البلاغة قائلا :

« وقال جعفر بن يحيى : البلاغة أن يكون الاسم يحيط بمعناك ، ويجلي عن مفراك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بطول الفكرة ، ويكون سليما من التكلف ، بعيدا من سوء الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأميل » (١١١) . وتولى تفسيره مع ان الجاحظ كان قد نقل قوله هذا في معنى البيان ، وليس في معنى البلاغة ، فقال : « وقال ثمامة : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : » (١١٢) .

ومهما يكن من شيء ، فقد بذل الرجل جهدا فيما حاد به البلاغة ، وجاء به من حدودها الكثيرة المعزوة لاصحابها ، غير المعزوة ، تفسير غير قابل مما قيل فيها وأوضح المراد بها ، حتى ان من الباحثين المعاصرين ، من أثر أن يبدأ الحديث عن البلاغة بحديثه ، محققا في هذا أو غير محقق فيه (١١٣) .

(١٠٩) نفسه : ٤٣ .

(١١٠) نفسه : ٤٧ - ٤٨ . (١١١) الصناعتين : ٤٢ .

(١١٢) البيان والتبيين ١/١٠٦ . (١١٣) معجم البلاغة العربية ١/٩١ .

وقال عبد الكريم النهشلقي القيرواني - ٤٠٣ هـ : « وإنما سويت البلاغة بلاغة لأبلاغ المتكلم حاجته بحسن إلهام السامع » (١١٤) .
وعنون الثعالبي - ٤٢٩ هـ الفصل الرابع والخمسين من كتابه المبهم بعنوان : « في ذكر البلاغة والبلغاء » ، ووصف الكلام البارع : « (١١٥) » ، وسأقتصر أولا على إيراد النصوص ، التي ذكر فيها ذكر البلاغة والبلغاء صراحة ، في هذا الفصل وغيره من فصول هذا الكتاب ، لقوله في مقدمته : « . . . وبعد فهذا كتاب عولت فيه على خواطري لا على دقاتري ، وعلى قولي لا على منقولي ، وعلى فكري لا على ذكري . وجلوته في معرض المبتدع المخترع ، لا المبتذل المقترع . . » (١١٦) ، وألحق بها بعد ذلك ، النصوص التي وردت في كتبه الأخرى . فجاء في نصوص الفصل قوله : « أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل مجازه ، وكثر إعجازه ، وناسبت صدوره أعجازه . البليغ من إذا رمى هدف البلاغة أصاب ، وإذا استدبر سحاب الصواب صاب .

البليغ من يبلغ الأغراض البعيدة بالالفاظ القريبة .
البليغ من يتجنب الإغراب في الإعراب ، ويترك التوعير والتعير في الخطاب .

الفاظ البليغ حالية ، وألفاظ العبي خالية .
كلام البليغ معقول ، وكلام العبي مفسول .
البليغ من فوائده موارد ، وشوارده ونوادره بواذر .
البليغ من يجتبي من الالفاظ أسرارها ، ويجتني من المعاني ثمارها .

(١١٤) المتع : ٣١١ . (١١٥) المبهم : ٤٤ . (١١٦) نقه : ٢ .

كلام البليغ في حلة من الحلاوة ، وحلية من الطلاوة .
 كلام البليغ فصوص مصفوف .
 كلام البليغ فصول مديجة ، وكلام العبي فصول مشبعة .
 البليغ اذا نطق طبق المفصل ، واذا كتب نسق الدر المفصل (١١٧)
 وقال في فصل آخر منه :
 « البليغ من اذا تكلم أضحك القطر ، واذا خطب دفع الخطوب » (١١٨)
 وجاء بأقوال في حديثه عن الكتاب والبلغاء في كتابه التمثيل والمحاضرة
 تحت عنوان « من كتاب المبهج » مع أن منها ما لم يكن — كذلك — في المبهج
 واكثرها لم يرد لما ذكر في المبهج بأي شكل من الاشكال . فمما ورد على
 نحو مغاير لما في المبهج قوله : « البليغ من يحوك الكلام على حسب الاماني ،
 ويخطط الالفاظ على قلود المعاني » (١١٩) .
 مع انه في المبهج « الكاتب » بدلا من البليغ ، (١٢٠) ومثل ما في المبهج في
 النسخة « أ » من كتاب التمثيل والمحاضرة ذاته ، كما ذكر محققه الفاضل ،
 غير انه ثبت في المتن لفظ البليغ (١٢١) . ويكاد يكون كل ما جاء به من نصوص
 هذا القسم — بعد هذا النص — ليس من كتاب المبهج لعدم وجودها فيه ،
 ولأن اكثرها جاءت معزوة لغيره خلافا لما صرح به في المبهج ، ولاختلاف
 النهج الذي انتهجه هنا عما انتهجه في المبهج . فقد نسب الى أبي عبد الله
 وزير المهدي أنه قال : « البلاغة مافهته العامة ، ورضيته الخاصة » (١٢٢) ،

(١١٧) المبهج : ٤٤ .

(١١٨) نفه : ٤٧ .

(١١٩) التمثيل والمحاضرة : ١٥٧ .

(١٢٠) انظر : المبهج .

(١٢١) التمثيل والمحاضرة : ١٥٧ .

(١٢٢) نفه : ١٥٨ .

وقال : قال غيره : « ابلغ الكلام ما سبق معناه لفظه » (١٢٣) . ونسب الى ابن المعتز أنه قال : « البلاغة أن تبلغ المعنى ، ولم تغل سفر الكلام » (١٢٤) . وجاء بعبارة : « خير الكلام ما كان لفظه فحلا ، ومعناه بكرا » (١٢٥) مغفلة ، وكذلك العبارة : « البلاغة ما صعب على التعاطي ، وسهل على الفطنة » (١٢٦) .

والذي يبدو لي أن الثعالبي لم يرد بقوله « من كتاب المبهج » غير الاقوال الثلاثة الاولى التي جاءت بين قوله هذا والبيتين اللذين عزاهما الى أبي الفتح وتهيباً للمحقق الفاضل أنها جميعاً من كتاب المبهج (١٢٧) . ومهما يكن من شيء فإن مقالته أكثر مما نقله ، وإن لم يكن يرمي في الذي قاله الى وضع حد جامع مانع بقدر ما أراده من صياغة الافكار ، والمفاهيم التي وقف عليها وتمثلها من أقوال غيره ، والافتتان في صياغتها ، افتناناً يعرب عن مكانة البلاغة ونفاستها .

ولقد خصص ابن رشيح القيرواني - ٤٥٦ هـ باباً للبلاغة ، جاء فيه بكثير مما قيل فيها ، منسوباً وغير منسوب ، ومما جاء فيه قوله :
« . . . وسئل بعض البلغاء : ما البلاغة ؟ فقال : قليل يفهم ، وكثير يسأم .
وقال آخر : البلاغة اجاعة اللفظ ، واشباع المعنى .
وسئل آخر فقال : معان كثيرة ، في الفاظ قليلة .
وقيل لاحدهم : ما البلاغة ؟ فقال : اصابة المعنى وحسن الايجاز .

(١٢٣) الموضع نفسه . (١٢٤) الموضع نفسه .

(١٢٥) الموضع نفسه ، مع أن الثعالبي نفسه كان قد عزاه الى عبد الحميد الكاتب في الاعجاز والايجاز : ١١١ .

(١٢٦) الموضع نفسه . (١٢٧) : نفسه ١٥٧ .

الدكتور محمد جابر نياض

وسئل بعض الاعراب : من ابلغ الناس ؟ فقال : اسهلهم لفظا ،
 وأحسنهم بديهة » (١٢٨) .
 وقال : « وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ فقال : ابلاغ المتكلم حاجته
 بحسن افهام السامع ، ولذلك سميت بلاغة » (١٢٩) .
 وقال آخر : البلاغة أن تفهم المخاطب بقدر فهمه ، من غير تعب عليك .
 وقال آخر : البلاغة معرفة الفصل من الوصل .
 وقيل : البلاغة حسن العبارة مع صحة الدلالة .
 وقيل : البلاغة أن يكون أول كلامك يدل على آخره ، وآخره يرتبط
 بأوله .
 وقيل : البلاغة القدرة على البيان ، مع حسن النظام .

.....

وقالوا : البلاغة ضد العي ، والعي : العجز عن البيان

.....

وقيل لبعض الجلة : ما البلاغة ؟ فقال : تقصير الطويل ، وتطويل القصير .
 — يعني بذلك القدرة على الكلام » (١٣٠) .

ونقل عن عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث :
 « البلاغة الفهم والافهام ، وكشف المعاني بالكلام ، ومعرفة الاعراب ،
 والاتساع في اللفظ ، والسداد في النظم ، والمعرفة بالقصد ، والبيان في الاداء ،

(١٢٨) السدة : ٢٤٢/١ .

(١٢٩) نقه : ٢٤١/١ . وهو لمبدالكريم النهشل . انظر : المتع له - ٣١١ ، وهذا البحث :
 ص ٢٩٤ .

(١٣٠) نقه : ٢٤٥/١ .

وصواب الاشارة ، وايضاح الدلالة ، والمعرفة بالقول ، والاكتفاء بالاختصار عن الاكثار ، وامضاء العزم على حكمة الاختيار .

قال : وكل هذه الابواب محتاج بعضها الى بعض ، كحاجة بعض أعضاء البدن الى بعض ، لاغنى لفضيلة أحدهما عن الآخر . فمن أحاط بمعرفة بهذه الخصال فقد كمل كل الكمال ، ومن شذ عنه بعضها لم يعد عن النقص بما اجتمع فيه منها .

وقال : البلاغة تخير اللفظ في حسن الافهام . (١٣١) .

واختتم الباب بقوله : « وقد تكرر في هذا الباب من أقاويل العلماء ما لم يخف عني ولا اغفلته ، اكن اغتفرت ذلك لاختلاف العبارات .

ومدار هذا الباب كله على ان البلاغة : وضع الكلام موضعه من طول أو ايجاز مع حسن العبارة .

ومن جيد ما حفظته قول بعضهم : البلاغة شد الكلام معانيه وان قصر ، وحسن التأليف وان طال » (١٣٢) . هذا فضلا عن الاقوال الكثيرة التي جاء بها منسوبة الى اصحابها وأخذت اماكنها في هذا البحث بحسب وفياتهم ، ومنها ما أخذه عن الكتب التي سبقتة وعاصرتة ، ومنها ما انفرد بإيرادها مع قدمها .

ولد بلغ من كثرة ما قيل في البلاغة أن الاقول في وصفها على السنة ذوي الصناعات المختلفة فقال المصري — ٤٥٣ هـ تحت عنوان : « أوصاف بليغة في البلاغات على السنة أقوام من أهل الصناعات :

(١٣١) العبد : ٢٤٧/١ .

(١٣٢) نفسه : ٢٥٠/١ . وقد انفرد المصري بنزو القول الى الثاني . انظر : زهر الآداب

١٢٧/١ ، وهذا البحث : ص ٢٩٩ .

الدكتور محمد جابر نياض

تجمع قوم من أهل الصناعات فوصفوا بلاغاتهم من طريق صناعاتهم
وذكر ما قاله الجوهرى ، والطار ، والصائغ ، والصيرفي ، والحداد ، والتجار ،
والنجد والماتح ، والخياط ، والصباغ ، والحائك ، والبزاز ، والرائض ،
والجمال والمخت ، والخمار ، والفقاعي ، والطبيب ، والكحال . ويكفي
والوقوف على ما ذكر فيه لفظ البلاغة وما اشتق من مادتها اللغوية صراحة
كقول الخياط : البلاغة قميص . . فجريانه (هـ) البان ، وجبيه المعركة ،
وكماء الرجاسة ، ودخاريصه (هـ) الافهام ، ودروزه الحلاوة ولايس جده
اللفظ ، وروحه المعنى وقال الجمال : البليغ من أخذ بخطط كلامه ،
فأناخه في مبرك المعنى ، ثم جعل الاختصار له عقلا ، والايجاز له مجالا ،
فلم يند عن الآذان ولم يشذ عن الأذهان

وقال الخمار : أبلغ الكلام ما طبخته ، راجل العلم ، وصفاه راووق (هـ)
الفهم ، وضحته دنان الحكمة ، فتشت في المفاصل عذوبته ، وفي الافكار
رقته ، وفي العقول حدته

ثم قال : أجمعوا كلهم على أن أبلغ الكلام ما اذا أشرقت شمس ،
انكشف لبه ، واذا صدقت أنواره انضرت أحماؤه (١٣٣) .

وضمن كتابه فصلا آخر بعنوان : فقر في وصف البلاغة لغير واحد (١٣٤) .
ونسب فيه الى عبد الحميد بن يحيى قوله : البلاغة تقرير المعنى في الافهام

• جريانه : جيبه . • دخاريصه : ما يرسل به للتوسعة . • الراووق : المصفاة .

(١٣٣) زهر الآداب ١/١٢٣ - ١٢٦ .

(١٣٤) نفسه ١/١٢٦ .

من اقرب وجوه الكلام « (١٣٥) وإلى العتابي انه قال : البلاغة مدد الكلام بمعانيه اذا قصر ، وحن التأليف اذا طال « وجاء باقوال أخرى غير قليلة .

كما انه أورد فصلا بعنوان « من كلام اهل العصر في صفة البلاغة والبلغاء » (١٣٦) من غير ما عزو ، صوره بما ذهب اليه الثعالبي ، لا الرماني كما وهم المحقق الفاضل وهو قوله : « أبلغ الكلام ما حسن ايجازه ، وقل مجازه ، وكثر إعجازه ، وتناسبت صلوره وأعجازه » (١٣٧) . ومما جاء في هذا الفصل قولهم :

« ليست البلاغة أن يطال عنان القام أو سنان ، أو يسط رهان القول وميدانه بل هي أن امد المراد بالفاظ اعيان ، ومعان أفراد ، من حيث لا تزيد على الحاجة ولا اخلال يفضي الى الناقة .

البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الازهان ، ولا يسلك الا ببصائر البيان .. » (١٣٨) .

ووقف ابن سنان الخفاجي على عدد من حدود البلاغة ، ومع عدم اقتناعه بصلاحيه أي منها لان يكون حدا لها فانه لم يحاول وضع الحد الذي يرتضيه فقال :

« وقد حد الناس البلاغة بحدود اذا حققت كانت كالرسوم والعلائم ، وليست بالحدود الصحيحة ، فمن ذلك قول بعضهم : لمحة دابة . وهذا وصف من صفاتها فأما أن يكون حاصرا لها وحدا يحيط بها ، فليس ذلك بممكن ، للدخول الاشارة من غير كلام يتلفظ به تحت هذا الحد .

(١٣٥) نقه ١٢٧/١ . (١٣٦) نقه ١٢٨/١ .

(١٣٧) زهر الآداب : ١٢٨ ، وهو الثعالبي في المبهج : ٤٤ .

(١٣٨) الموضع نقه .

الدكتور محمد جابر فياض

وكذا قال آخر : البلاغة معرفة الفصل من الرصل ، لان الانسان قد يكون عارفا بالفصل والرصل ، عالما بتميز ما يختاره من تأليف غيره ، والحدود لا يحسن فيها التأول واقامة المعاذير ، وغرابة الفاظ لاتدل على المقصود ، لانها مبنية على الكشف الراضح ، وضوعة للبيان الظاهر ، والغرض بها السلامة من الغامض ، فكيف يوقع من غامض يمثله .

وكذلك قول الآخر : البلاغة ان تصيب فلا تخطئ ، وتسرع فلا تبطل ، لان هذا يصلح اكل الصنائع ، وليس بمقصود على صناعة البلاغة وحدها . ثم انما سئل عن بيان الصواب في هذه الصناعة من الخطأ ، فجعل جواب السائل نفس سؤاله وبهذا يفسد قول من ادعى أن حدها الايجاز من غير عجز ، والاطناب من غير خطل .

وقول من قال : البلاغة اختيار الكلام ، وتصحيح الاقسام ، لان هذين انما سئلا عن حد يبين الكلام المرفوض من المختار ، ومتى يقع الاطناب مرضيا محمدا فأحال على ما السؤل فيه باق ، وعدم العلم به موجود وحاصل . وفي البلاغة أقوال كثيرة غير خارجة عن هذا النحو ، (١٣٩) .

وهذا الذي ذهب اليه صحيح ، غير ان قائل هذه الاقوال بالذات ، لم يذهب أي منهم الى أن ما قاله انما هو الحد الجامع المانع للبلاغة . مع ان غير واحد ممن سبقه كان قد نص صراحة على أن ما قاله في البلاغة انما هو حدها ، الذي اراده لما وعال الناظر ، ، كاسحاق بن وهب مثلا . فأقوال هؤلاء أولى بمناقشته من الاقوال التي ناقشها . ولقد تجنب أن يتولى وضع حد لما .

أما الشيخ عبد القادر الجرجاني - ٤٧١ هـ فقد أوضح ما كان أثره الجاحظ من الاقوال في البلاغة من غير ما اشارة للجاحظ فقال :

« . . . فان قلت : فيجب — على هذا — أن يكون التعقيد والتعمية ، وتعدد ما يكسب المعنى غموضا مشرقا له ، وزائدا في فضله ، وهذا خلاف ما عليه الناس ، ألا تراهم قالوا : خير الكلام ما كان معناه الى قلبك اسبق من لفظه الى سمعك ؟ قالجواب : اني لم ارد هذا الحد الزائد من الفكر والتعب ، وانما أردت القدر الذي يحتاج اليه في نحو قوله :

« فان المسك بعض دم الغزال » .

فانما ارادوا بقولهم : « ما كان معناه الى قلبك اسبق من لفظه الى سمعك » أن يجتهد المتكلم في ترتيب اللفظ وتهذيبه ، وصيانتته من كل ما أخل بالدلالة ، وعاق دون الابانة ، ولم يريدوا أن خير الكلام ما كان غفلا ، مثل ما يتراجعه الصبيان ، ويتكلم به العامة في السوق .

وهذا ، وليس اذا كان الكلام في غاية البيان ، وعلى ابلغ ما يكون من الوضوح أغناك ذاك عن الفكرة ، اذا كان المعنى لطيفا ، فان المعاني الشريفة اللطيفة لا بد فيها من بناء ثان على أول ، وردت الى سابق ... » (١٤٠) .

وخصص فصلا للبلاغة والفصاحة ، غير انه لم يكن فيه معنيا بالانتهاء الى وضع حد لأي منهما ، وانما كان معنيا بوضع اليد على سبب المزية ، والفضل في الكلام البليغ أو النصيح ، فقال : « . . وفي تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك ، مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض ، من حيث نطقوا وتكلموا ، وأخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد ، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم .

ومن المعلوم أنه لا معنى لهذه العبارات ، وسائر ما يجري مجراها ، مما يفرد فيه اللفظ بآنعت والصفة ، وينسب فيه الفضل والمزية اليه دون المعنى ،

الدكتور محمد جابر نياض

غير وصف الكلام بحسن الدلالة ، وتبامها فيما له كانت دلالة ، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وازين ، وآتق وأعجب ، وأحق أن تستولي على هوى النفس ، وتنال الحظ الاوفر من ميل القلوب وأولى بأن تطلق لسان الحمد ، وتطيل رغم الحاسد ، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤدي المعنى من الجهة التي هي اصح لتأديته ، ويختار اللفظ الذي هو أخص به ، واكشف عنه ، وأتم له وأحرى أن يكسبه نبلا ، ويظهر فيه مزية . . . (١٤١) .

وتحدث محمد بن حيدر البغدادي - ٧١٥ هـ عن البلاغة قائلا :

« والبلاغة ليست الفاظا فقط ، ولا معاني فحسب ، بل هي الفاظ يعبر بها عن معان ، ولكن ليس كما اتفق ، ولا كيفما وقع ، لان ذلك لو جرى هذا المجرى لكان اكثر الناس بليغا . . . ولهذا السبب قال بعضهم في وصف كاتب بليغ : ان أخذ شبر اكفاه ، وان تناول طوماراً ملأه . يذهب بهذا القول الى ان البليغ يحتاج في موضع الى الاطالة والاسهاب ، كما يحتاج في آخر الى الاختصار ، والايجاز ، الا ان اكثر ما عليه الناس في البلاغة : انها الاختصار ، وتقريب المعنى بالالفاظ القصار ، حتى اذا سئل بعض الناس عن البلاغة قال : هي لمحة دالة . مذهب العرب وعاداتهم في العبارة ، فانهم يشيرون الى المعنى بأوحى اشارة ، ويستحبون ان تكون الالفاظ أقل من المعاني في المقدار والكثرة » (١٤٢) .

وحشر ابن منقذ - ٥٨٤ هـ كثيرا مما قيل في تجويد الكلام وتحسينه ، في باب التهذيب والترتيب من كتابه ، فقال : « . . . ولكن كلامك سليما من التكلف ، بريئا من التعسف ، وليحط لفظك بمعناك ، ويشتمل على مغزاك ، فان البلاغة سرعة جواب في صواب ، وأن تقول فلا تبطئ ، وتصيب فلا

(١٤١) الدلائل : ٣٥ .

(١٤٢) قانون البلاغة - ٢٣ - ٢٤ .

تخطئ ، . والعي اكثاري اعدار ، وابطاء في اخطاء . . وقدر اللفظ على قدر المعنى ، لازائداً ولا ناقصا ، كما قيل في مدح بعض الكتاب : كان الفاظه قوالب معانيه . وقيل في آخر : كان اذا أخذ شبرا كفاه ، وان أخذ طومارا ملاه . واستعمل التطويل في مكانه ، والتقصير في مكانه . . واعلم أن خير الكلام المطمع المنع ، واحسنه ما قل ودل ، وجل ولم يمل . (١٤٣) . وذهب الرازي ٦٠٦ هـ الى ان البلاغة : « بلوغ الرجل بعبارة كنه ما في قلبه ، ، مع الاحتراز عن الايجاز المخل والاطالة المملة . . » (١٤٤) .

وقال السكاكي - ٦٢٦ هـ : « البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها . ولها - أعني البلاغة - طرفان أعلى وأسفل متباينان تباينا لا يترأى له ناراها ، وبينهما مراتب تكاد تقوت الحصر متفاوتة ، فمن الاسفل تبدىء البلاغة وهو القدر الذي اذا أنقص منه شيء ، التحق ذلك الكلام بما شبهناه في صدر الكتاب من اصوات الحيوانات ، ثم تأخذ في التزايد متصاعدة الى أن تبلغ حد الاعجاز ، وهو الطرف الاعلى ، وما يقترب منه » (١٤٥) .

وقال ابن الاثير - ٦٣٧ هـ : « اما البلاغة فان أصلها - في وضع اللغة - من الوصول والانتهاء ، يقال : بلغت المكان ، اذا انتهيت اليه ، ويبلغ الشيء متناه وسمي الكلام بليغا من ذلك ، أي انه قد بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية . والبلاغة شاملة للاتفاظ والمعاني ، وهي أخص من الفصاحة ، كالانسان من الحيوان ، فكل انسان حيوان ، وليس كل حيوان انسانا . وكذلك يقال : كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل كلام فصيح بليغا .

(١٤٤) نهاية الايجاز : - ٩ .

(١٤٣) البديع - ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(١٤٥) المنهاج : - ٢٢٠ - ٢٢١ .

الدكتور محمد جابر فياض

وبفارق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص والعام ، وهو أنها لا تكون إلا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب ، فإن اللفظة لا يطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة ، إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن ، وأما البلاغة فلا يوجد فيها ، لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاماً (١٤٦) .

وقال الصفدي - ٧٦٤ هـ معقبا على هذا بقوله : (أقول : قد ادعى أن هذا الفارق الثاني غير الأول ، وهو هو بعينه ومينه . فانه أراد أولا : كل كلام فصيح يطلق عليه أنه بليغ ولا يتعكس (هـ) ومعنى هذا اذا قلنا : هـ قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل هـ .

فان هذا الكلام بليغ باعتبار ان معناه بلغ في صوغ تركيبه الى حد له توفيه بتمام المراد ، وفصيح باعتبار بيان مفرداته وحسنها وعذوبتها في السمع ، واذا فككنا هذا التركيب ، وأخذنا كل فرد من الفاظه ، كان كل فرد فصيحاً ولا يكون بليغاً لعدم التركيب في المعنى ، فكانت الفصاحة أعم من البلاغة لأنها وجدت في الافراد والتركيب ، وكانت البلاغة أخص لكونها لا تتناول إلا المركب فقط ، فحيث وجدت البلاغة مع عذوبة الالفاظ وجدت الفصاحة ولا يتعكس . فصح أن البلاغة كالانسانية في خصوصها ، والفصاحة كالحيوانية في عمومها . وهذا المعنى موجود بعينه في الفارق الثاني الذي أبداه ، فانه قال : ان البلاغة لا تكون إلا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب . . الى آخره (١٤٧) .

(١٤٦) المثل السائر : - ١١٨/١ - ١١٩ .

(هـ) خطأ الصفدي في نقل عبارة ابن الاثير هذه ، وصوابها : كل كلام بليغ فهو فصيح ، وليس كل فصيح بليغاً . وقد نقلها هو صواباً في النص ذاته .

(١٤٧) نصره السائر : - ٧٧ - ٧٨ .

مفهوم البلاغة

والحق أن الحديث عن اللفظة المفردة وما يمكن أن تنعت به غير الحديث عن جملة الكلام المركب من تلك الالفاظ ومعناه ، وإن انتهى الحديث في كليهما الى عموم الفصاحة وخصوص البلاغة .

وأما ابن أبي الأصبع - ٦٥٤ هـ فقد ذهب - في حسن البيان - الى القول : وحقيقة حسن البيان اخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة له وايصاله الى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها ، فإنه عين البلاغة . . . (١٤٨) .

وذهب الترخي - حوالي ٦٩٧ هـ في البلاغة مذهباً لا يخلو من غرابة بعد ذكره لمعناها اللغوي فقال : ومعنى البلاغة انتهاء الشيء الى غايته المطلوبة والبلاغة تتعاق بالمعنى فقط ، وهو ان يبلغ المعنى من نفس السامع مبلغه ، ومما يعين على ذلك الفصاحة في كلام العرب ، لا أن الفصاحة من أجزاء البلاغة ، فإن الاعجمي اذا كنم الاعجمي ، فبلغ منه المعنى مبلغه كان كلامه بليغاً ، ووصف بالبلاغة ، وليس من كلام العرب (١٤٩) .

فإن أراد بقوله « وليس من كلام العرب » أن الاعجمي كلام صاحبه الاعجمي بافتها الاعجمية وبلغ منه ما بلغ فقد فاته أن الحديث عن البلاغة العربية لا بلاغة اللغات الاخرى ، وأن اراد انه كلم صاحبه بكلام عربي ، مشوب بالمعجمة التي عد معها انه ليس من كلام العرب ، فالمتحدث بليغ ايضاً في نظر صاحب الاعجمي وامثاله لا غير ، فهو ليس بليغ ولا فصيح في نظر العرب فلا وجه للاحتجاج به وبكلامه على العرب والعربية وبلاغتهما ، وقد أوضح الجاحظ من قبل ما كان قد عناه العنابي بقوله : كل من أفهمك حاجته

(١٤٨) بديع القرآن : - ٢٠٤ .

(١٤٩) الاتصى القريب : - ٢٢ .

الدكتور محمد جابر فياض

فهو بليغ . بل لقد ذهب أبو النجم العجلي الى وصف الحمار بالفصاحة في آذان الاتن مع انه أعجم عند الناس فقال :

• أعجم ، في آذانها فصيحاً • (١٥٠)

فلا ادري أي وجه للاحتجاج على العرب فيما اشروطوه في فصاحة كلامهم وببلاغته بكلام الاعجمي للاعجمي ، بافتهما أو بالعربية الملتوبة الملهونة ؟
واقعد ذهب شهاب الدين محمود الحلبي - ٧٢٥ هـ الى مثل ما ذهب اليه الرازي في البلاغة فقال : « البلاغة أن يبلغ المتكلم بعبارة كنه مراده ، في ايجاز بلا اخلال ، واطالة من غير إملال » (١٥١) .

وذهب الى مثل هذا شهاب الدين التويري - ٧٣٣ هـ من غير ما إشارة ، للاطالة وما اشترط فيها ، فقال : « فأما البلاغة فهي أن يبلغ الرجل بعبارة كنه ما في نفسه . ولا يسمى البليغ بليغاً الا اذا جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل ، وهو المسمى ايجازاً . . . » (١٥٢) .

وأورد كثيراً مما قيل في البلاغة ، وأخطأ في نسبة غير قليل مما أورده منها منسوباً (١٥٣) .

ومع ان القزويني - ٧٣٩ هـ ملخص لمفتاح العلوم للسكاكي فقد ذهب الى غير ما انتهى اليه السكاكي حيث قال : « والبلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته وهو مختلف ، فان مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام كل من التشكير والاطلاق والتقديم والذكر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ومقام الايجاز يباين مقام خلافه ، وكذا خطاب الذكي

(١٥٠) السان : - مادة / نصح .

(١٥١) حسن التوسل : - ١٠٣ .

(١٥٢) نهاية الارب : - ٤/٧ .

(١٥٣) نفسه : - ٦/٧ - ٩ .

مفهوم البلاغة

مع الفبي . واكل كلمة مع صاحبها مقام . وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب ، وانحطاطه بعدمها ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب . فالبلاغة راجعة الى اللفظ باعتبار افادته المعنى بالتركيب وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة أيضا . ولها طرفان : أعلى وهو حد الإعجاز وما يقرب منه وأسفل وهو ما اذا غير الكلام عنه الى ما دونه ، التحق - عند البلغاء بأصوات الحيوانات وبينهما مراتب كثيرة ، وتتبعها وجوه آخر تورث الكلام . وفي المتكلم : ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ : نعلم أن كل بليغ فصيح ، ولا عكس ، وأن البلاغة مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، والى تمييز الفصيح من غيره . والثاني منه ما يبين في علم متن اللغة أو التصريف أو النحو ، وأن يدرك بالحس ، وهو ما عدا التعقيد المعنوي .

وما يحترز به عن الاول علم المعاني ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان وما يعرف به وجوه التحسين علم البيان ، والثلاثة علم البديع : (١٥٤) .

وقد أخذ أكثر الذين جاؤوا بعده بهذا الذي انتهى اليه النزويني في حد البلاغة واقسامها ، وبخاصة أولئك الذين اتخذوا من تلخيصه أو ايضاحه قطب الرحى لمؤلفاتهم البلاغية . كبهاء الدين السبكي - ٧٧٣ هـ (١٥٥) وسعد الدين التفتازاني - ٧٩١ هـ (١٥٦) ، وأبي يعقوب المغربي - ١١١٠ هـ (١٥٧) ، ومحمد بن عرفة النسوتي - ١١٣٠ هـ (١٥٨) وغيرهم من أصحاب الشروح

(١٥٤ - ١٥٨) انظر ايضاح النزويني ، وعروس الانوار ، ومختصر السعد ، ومواهب الفتح وحاشية الدسوقي : - كلها ضمن شروح التلخيص - ١٢٢/١ - ١٢٧ ، وتلخيص النزويني : ٢٢ - ٢٧ .

الدكتور محمد جابر فياض

لتلخيصه أو ايضاحه والمختصرات والحواشي والتعليقات التي دارت في
فلكهما .

غير ان العلوي - ٧٤٩ هـ جاء بشيء مما ذهب اليه ابن الاثير وما ذهب
اليه الرازي ، وما ذهب اليه غيرهما ، فقال : « اعلم ان البلاغة في وضع
اللغة هي الوصول الى الشيء والانتهاء اليه ، فيقال : بلغت البلد ابلغه بلوغا
والاسم منه البلاغة . وسمي الكلام بليغا ، لانه قد بلغ به جميع المحاسن كلها
في الفاظه ومعانيه . وهو في مصطلح النظار من علماء البيان ، عبارة عن الوصل
الى المعاني البديعة بالالفاظ الحسنة . وان شئت قلت : هي عبارة عن حسن
السبك مع جودة المعاني .

والمقصود من البلاغة هو وصول الانسان بعبارة كنه ما في قلبه ، مع
الاحتراز عن الايجاز المخل بالمعاني ، وعن الاطالة المملة للخواطر . . . واعلم
ان البلاغة مختصة بوقوعها في الكلم المركبة دون المفردة فلا يوصف الكلام
بكرنه بليغا ، الا اذا جمع الامرين جمعا من حسن اللفظ ، وجودة المعنى
فمتى كان ذلكا ، وصف بالبلاغة ، فان كان المعنى جزلا ، واللفظ غير
فصيح ، أو كان اللفظ فصيحاً وكان معناه ركيكا ، فانه لا يوصف بالبلاغة
أصلا . . . واعلم انه لا خلاف بين أهل التحقيق من علماء البيان ،
أن الكلام لا يوصف بكرنه بليغا ، الا اذا حاز مع جزالة المعنى فصاحة الالفاظ
ولا يكون بليغا الا بمجموع الامرين كليهما . فقد صارت البلاغة وصفا
عارضاً للانفاظ والمعاني كما ترى : (١٥٩) .

واقصر ابن قيم الجوزية - ٧٥١ هـ على طائفة من النقول في البلاغة
واشتقاقها فقال : « قال علماء هذا الشأن : ان حد البلاغة : بلوغ الرجل
بعبارة كنه ما في نفسه ، مع الاحتراز من الايجاز المخل والتطويل الممل .

مفهوم البلاغة

وقال قوم : البلاغة ايصال المعنى الى القلب في احسن صورة من اللفظ .
وقال خالد بن صفوان : أبلغ الكلام ما قامت ألفاظه ، وكثرت معانيه
وخير الكلام ما شوق أوله الى سماع آخره .

وقال غيره : انما يستحق الكلام اسم البلاغة ، اذا سبق لفظه معناه
الى قلبك . . . وقال علماء هذا الشأن : ان اشتقاق البلاغة من البلوغ الى
الشيء وهو الوصول .

ويجوز - عندي - أن يكون الكلام البليغ : الذي بلغ من جودة الالفاظ ،
وعذوبة المعاني الى غاية لا يبلغ الى مثلها الا مثله . هـ (١٦٠) .

وهذا الذي انتهى اليه خير - فيما أرى - من كثير مما نقله ، ولكن
أكثر البلاغيين الذين جاؤوا بعد القزويني ، كانوا قد اتخذوا من قوله في
البلاغة مصطلحاً ، ودخل في كتب التعريفات والمصطلحات ، فقال الشريف
الجرجاني - ٨١٦ هـ : « البلاغة في الكلام : مطابقته لمقتضى الحال - المراد
بالحال الامر الداعي الى التكلم على وجه مخصوص - مع فصاحته ، أى :
فصاحة الكلام . هـ (١٦١) »

ودخل المصطلح - بهذه الدلالة كذلك - في كتب البلاغة العربية المحدثه
والمعاصرة . غير ان عدداً قليلاً من البلاغيين المحدثين آثر الاستعاضة عن لفظ
البلاغة بغيره ، لعل من أبرزهم الاستاذ امين الخولي الذي آثر عليه فن
القول (١٦٢) .

كما ان هؤلاء من اشار الى ابتهاج لفظ البلاغة وقصور مفهومه ، فقال استاذي
الدكتور عبدالرزاق محيي الدين رحمه الله .

(١٦٠) الفرائد : ٩ .

(١٦١) التعريفات : ٤٠ .

(١٦٢) انظر : فن القول .

الدكتور محمد جابر نياض

« . . ثم اعطف - بعد ذلك - على مصطلح البلاغة . وقد اخذت من بلوغ الشيء ، والانتهاء اليه ، فالكلام البليغ : ما بلغ الغاية في أداء المعنى والكاتب البليغ ، والشاعر البليغ : من بلغ القصد من عبارته .

وقد ظلت هذه الكلمة غير وافية بالمعنى الذي أريد لها أن تباعه ، واستعملت ردفاً للفصاحة والبراعة والبيان والبديع . كما ظلت مرددة بين أن تكون صفة للفظ ، أو صفة للمعنى ، أو صفة للأسلوب الذي يجمع بينهما ، إلى أن استقر بها ، وبرقيقتها الفصاحة الأمر ، فكان اللفظ من حصة الفصاحة ، وكان الأسلوب - اللفظ المركب مؤدي به معنى ، مع شرط الفصاحة - وكان أن حددت بـ - مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته - . . . والتعريف - على دقته وشموله - يتصف بالغموض والابهام على الصورة التي يعرفها السادة الزملاء . وفي مفتاح العلوم وتلخيصه وشروحه محارلات مبهمة لتوضيحه ومع هذه الصورة من الغموض . وظل التعريف كما هو في الكتب المحدثه . » (١٦٣)

وغير خاف أن البحث في البلاغة ، وليس في فن القول ولا غيره مما اقترح أن يكون بديلاً عنها ، ولا في المقارنة والموازنة بينها وبين تلك البدائل المقترحة ، كما أن البحث ومعني بدلالة البلاغة على النحو الذي فهمت به عند المعنيين بها . وليس معني بعمر وغموض ما حدث به أو سهواته ووضوحه .

وامتأذي رحم الله لم يتردد في نعت أحدها بالدقة والشمول ، ولم يعدل عنه إلى غيره مع ما قاله فيه .

ومهما يكن من شيء ، فقد وقفنا على جل ما وصل إلينا مما قيل في البلاغة أن لم أقل كله منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا ، ورأينا أن كل هذه الأقوال

— بما فيها قول العتابي — انما تنصرف الى الحذق والمهارة ، والاصابة والاجادة والاحكام والتمكن ، وغير ذلك مما يمكن أن يوصف به حذق القول وصاغة الكلام لا الى مجرد ابلاغ السامع ما يريد القائل كيفما اتفق فهي تجلية المعنى العزيز باللفظ الوجيه وتطبيق المفصل قبل التحزيز ، وألا تبطل ، والاقتصار على الایجاز وتنكب الفضول ، وتقريب بعيد الحكمة بأسهل عبارة ، ودنو المأخذ ، وقرع الحجة ، والقول المفقه في لطف ، وما رضىته الخاصة وفهمته العامة ، وتخیر اللفظ في حسن افهام ، واستباق اللفظ والمعنى ، فلا يكون اللفظ الى السمع اسرع من المعنى الى القلب ، ومطابقة فصيح الكلام لمقتضى الحال ، وغير هذه الاقوال التي لاتقتضي الا الى تعزيز ما انتهوا اليه في تحقيقها لغة من أنها الافتنان في اختيار عناصر الكلام والمهارة في الصياغة أو النظم وتخليص الكلام من كل ما يمكن أن ينقض منه ، فهي نضج الكلام واكتماله .



عَرْضُ الْكُتُبِ

ملاحظات على كتاب

سَانِحَاتُ دُمَى الْقَصْرِ فِي مَطَارِحَاتِ بَنِي الْعَصْرِ

لِلخَطَّاطِ قُلَيْبِ بْنِ الْأَعْيَنِيِّ

صدر في بيروت سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م الطبعة الاولى من كتاب
(سانحات دُمَى الْقَصْرِ فِي مَطَارِحَاتِ بَنِي الْعَصْرِ) تأليف درويش بن محمد
الطالوي الأرتقي الدمشقي ، المتوفى سنة ١٠١٤ هـ . بتحقيق الدكتور محمد
مرسي الخولي ، الموظف في معهد المخطوطات بالقاهرة .

وقد تضمن الجزء الاول ٣٢٤ صفحة ، والجزء الثاني ٣١٧ صفحة .
وكتب المحقق مقدمة ضافية وافية ، بلغت ٧٨ صفحة تناول فيها بحثاً
جيداً عن المطارحات الادبية ، والذين كتبوا فيها ، مع ترجمة واسعة للمؤلف ،
ثم تكلم عن منهجه وعمله في التحقيق .

كما تولى المحقق التعريف بالاعلام في الهامش ، مع شرح بعض المفردات
والمواضع ، وتخريج الآيات القرآنية الكريمة ، والاشارة الى الايات المضممة
وتخريجها ، مع الاشارة الى ماورد في النسخ الاخرى المخطوطة من اختلاف .
والكتاب يوضح لنا اسلوب القرن العاشر الهجري وأدبه ، وفيه فوائد عن
الصلات الادبية والعلاقات بين رجاله .

ويكاد الكتاب ينحصر في علاقات مؤلفه باصحابه ، فهو الى المذكرات
الشخصية أقرب منه الى عنوانه ، لأنه لم يتناول مطارحات بني العصر بصورة واسعة
وشاملة ، وانما اقتصر على اصحاب المؤلف وشيوخه ، وبعض الولاة والقضاة .

وقد وجدت في الكتاب اوهاماً كثيرة ، واغلاطاً مشيرة ، فضلاً عن اغلاط الطباعة ، وبخاصة ما يتعلق بالتشكيل ، فقد زحفت الحركات عن مواضعها ، فعاد التشكيل إشكالا ، والتصحيح إعلالاً . وها أنا أدون ملاحظاتي حسب تسلسل صفحات الكتاب :

١ / ٤٨ س ٩ :

(... كما نراه يمدح سنان باشا بن جمال ، احد ولاية دهشق) .

ذكره (جمال) بالغين المهمة ، وذكره في ٢ / ٢٣٤ و ٢٣٧ (جفال) بالفاء ، والصواب : (جفاله) بالغين المعجمة . وكان والياً في بغداد سنة ٩٩٥ هـ لمدة سنة واحدة ، ثم وليها سنة ٩٩٩ هـ ، وعمر فيها خاناً كبيراً يعرف باسم (خان جفاله) والعوام يسمونه (خان جفان) يلقبون اللام نوناً ، وهو مشهور باسم (جفاله زاده سنان باشا) واسمه الحقيقي (يوسف) ، وتولى عدة إريالات وتوفي سنة ١٠١٤ هـ .

(انظر تاريخ العراق بين احتلالين ٤ - ١١٨ و ١٢٧ وكلشن خلفا ص ٢١٠)

١ / ٧٥ س ٩ :

(وتقع هذه النسخة في سبعة وعشرين ومائتي ورقة ...)

والصواب : في سبع وعشرين ...

١ / ٨٣ س ١٠ :

(... ونبرّ طباعه الغير مستقيمة ..)

والصواب : ... غير المستقيمة ..)

١ / ٩٣ س ٢ :

(أندى يداً منك أولى منك عارقةً أهضى شباة أدنى منك إحسانا)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : أمضى شباة وأدنى منك إحسانا .

١ / ٩٣ س ١٢ :

(والأب لما أنأت الايام من دنف لازلت ترفع للمعروف بتيانا)
وصوابه : وارأب ...

١ / ٩٧ س ١٣ :

(...) والعين سكرى بالدموع المُسَلِّ (

الصواب : والعين شكري ... بالشين المعجمة ، اي ممتلئة من الدمع ،
جاء في لسان العرب : (وضرة شكري ، اذا كانت مملأة من اللبن ، وقد
شكَّرتْ شكراً) . انظر : مادة (ش ك ر) .

١ / ١٠٢ س ١٢ :

(اقلامه السمر في بيض الطروس اذا مشت أرتاك فعال البيض السمر)
عجز البيت معلول صوابه : (.... فعال البيض والسمر) .

١ / ١٠٥ س ٤ :

(يا بن له همة ما نال غايتها بدر السماء ولا السيارة الزهر)
الصواب : ... ولا سيارة الزهر . بالاضافة ؛ لأن القعيدة مكسورة
القافية .

١ - ١٠٦ س ١٣ :

(فأعرضت لياض لاح قائلة يا بعده متبذاً عنا ومطرحة)
ان عجز البيت مختل الوزن .

١ / ١٠٩ س ٣ :

(فكئل ذي لن أعيا بمنطقه حتى يُظنَّ به قبل ما فصحا)
عجز البيت معلول وصوابه : حتى يُظنَّ به من قبل ما نصحا .

١ / ١٠٩ س ١٧ :

(واعذر اخا فكرة بالترك مقفلة لولا امتداحك باب النظم ما فتحا)
الصواب : ... بالترك .. بفتح التاء لا ضمها .

١ / ١١٠ من ٨ :

(ولا أغبت ربه ديمة مجلوبة المرزم ذات انصباب*)
قال المحقق في الهامش : (المرزم : الريح ، او ريح الشمال الباردة ،
ومجلوبة اي تحدث جلبة من شدتها) .
قلت : الصواب ، مجلوبة ، بالحاء المهملة ، والريح تحلب الحباب
وتعصره .

١ / ١١١ من ١٦ :

(مقلوبه يا صاح ما يُتَمَنَّى به من الأعداء وقَّيت المصاب*)
عجز البيت معلول ، وصوابه : به من الأعداء وقَّيت المصاب* . بحذف
همزة الاعداء ، وعدم تشديد القاف .

١ / ١١١ من ١٨ :

(حكى سجايك واقعا لها ومن سجايا المرء ما يُسْتَطَاب*)
ان صدر البيت معلول ، وصوابه : حكى سجايك وأنعالها .

١ / ١١٢ من ٧ :

(... فأجاب بما يحرر الالباب من الجواب ، بل يفعل فعل البابي
المعتق ، والعاني المروق ..) وكتب المحقق في الهامش : العاني : الاسير المقيّد .
قلت : صحيح إن العاني تعني الأسير . لما يعاني من الأسر والقيّد ، ولكن
المؤلف هنا يقصد بالعاني : الشراب المنسرب الى مدينة عانة ، وقد اكثر من
ذكره الشعراء .

وأين هذا من ذاك ؟ فتأمل .

١ / ١١٢ من ١٣ :

(ونادمتني - صاح - بأفأظها فرحت مسكران بغير الشراب*)

وليد الأعظمي

وصدر البيت معلول . وامل صوابه : ونادمتني صاح الفاظها . بغير
حرف الباء .

١١٥/١ س ٨ :

(ويا ظبي ما هذا النشار الى متى أما آن تعطو الظباء الكوانس)
ان عجز البيت معلول وصوابه : أما آن أن تعطو الظباء الكوانس .

١١٧/١ س ٩ :

(كته يد الأنواء وشياً كأنما حبه بأنواع التصاوير فارس)
إن عجز البيت تضمنين ، ولم يشر إليه المحقق ، وهو لأبي نواس وتماه :
تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس
والبيت في ديوانه ص ٣٧ تحقيق احمد عبدالمجيد الغزالي ، القاهرة ١٩٥٣م .

١٢٦/١ س ١١ :

(فتخيلت شرح شبابي ردَّ رَيْقَه على من كنت مشغوفاً به كلنا)
قلت : إن صدر البيت من البسيط ، وعجزه من الهزج . وصواب البيت :
فتخيلت شرح شبابي ردَّ رَيْقَه علكي من كنت مشغوفاً به كلنا

١٣٤/١ س ١٤ :

(... عهد الشباب مضى كطيف مقام)

الصواب : ... كطيف مقام .

١٣٧/١ س ١ :

(... علي افندي الشهير بأم ولد زاده ...)

الصواب : ... الشهير بابن أم ولد زاده ...)

١٣٩/١ س ١٠ :

(مـدى الأيام ما حنّ اشتياقاً غريب الى الوطن الرخـي)
عجز البيت معلول وامل صوابه : غريب حمى الى الوطن الرخي .

١ / ١٤٣ س ٨ :

(الشهم درويش الفراء طلعت من فاق فضلاً على السماك رقي)
عجز البيت معلول ولعل صوابه : من فاق فضلاً به أعلى السماك رقي .

١ / ١٤٣ س ١٤ :

(سرى لكم سلامي الجهم أعطره ما حنّ ناء مشوق قلبه للتما)
صدر البيت معلول ، وصوابه : سرى إليكم ...

١ / ١٤٧ س ١٤ :

(أما ومبسمه الزاهي لمتق يزري مفلجه بالدر منتظما)

(لاحت عن حبه الأشهى الى كبدي من الزلال وقد كادت تذوب ظما)
قلت : الصواب : ومبسمه (بكسر الميم) لأنها مجرورة بواو القسم .
والزاهي (بمتق) بالباء لا باللام .

١ / ١٥١ س ١٥ :

(وقامة كفضيب في كتيب نقا اذا انتت لعقل الصب تغثال)
ان عجز البيت معلول ، وصوابه : اذا انتت فلعل الصب تغثال .

١ / ١٥٣ س ٢ :

(وطر بجناح العزم نحو مطارهم

ولياك بالسفح من ريرب عين)
وعجز البيت معلول ، ولعل صوابه : ولياك عند السفح من ريرب عين .

١ / ١٥٤ س ٢ :

(من أصفر فاقع أو أبيض يقق أو أحمر قان أو أخضر نصير)
ان عجز البيت معلول ، وصوابه : أو أحمر قان أو من أخضر نصير .

١٥٨/١ س ١٥ :

(صَبَّتْ فِي عَظْفِهَا الصَّبَا مَاءَ حَسَنٍ
وَكَسَاهَا رِيْطَ الْجَمَالِ بَدِيعَةً)
ان صدر البيت معلول ، وصوابه : صَبَّتْ فِي عَظْفِهَا الصَّبَا مَاءَ حَسَنٍ .

١٥٩/١ س ٧ :

(أَطِيفُ سَرَى وَهْنًا مَتِيْمًا . اَمِ الرُّوْضُ بِكَتَاهِ الْحَيَا مَتِيْمًا)
ان صدر البيت معلول ، ولعل صوابه : أَطِيفُ سَرَى وَهْنًا إِلَى مَتِيْمًا .

١٦١/١ س ٦ :

(وَيَذْكُرُهُ الْقَمْرِي بِالْأَيْكَ سَاحِقًا
زَمَانُ الصَّبَا مِنْ شَرْخِهِ الْمُتَضَمِّمِ)
الصواب : وَيَذْكُرُهُ الْقَمْرِي بِالْأَيْكَ سَاجِعًا ، لَا سَاحِقًا ، وَالْقَمْرِي يَسْجَعُ
وَلَا يَسْحَقُ .

ولعل الناسخ قد صحف الكلمة عند النسخ ، ولم يتنبه اليها المحقق .
او تكون من غلط الطباعة .

١٦٦/١ س ٥ :

(أَفْدِيهِ بِالْخَالِ وَبِالْخَالِ وَالْ
خَالِ وَالْخَالِ مَعًا وَالْأَبِ)
ان عجز البيت معلول ، وصوابه : خَالِ وَبِالْخَالِ مَعًا وَالْأَبِ .

١٦٧/١ س ١ :

(ظَلَالُهَا تَحْكِي ظِلَالُ النِّشَا)
صوابه : صَلَالُهَا تَحْكِي صَلَالُ النِّشَا ، وَالصَّلَالُ جَمْعُ صَلٍّ ، وَالْكَلَامُ
عَلَى الْحَيَاتِ وَالْأَفَاعِي ، لَا عَلَى الظَّلَالِ وَالْأَفْيَاءِ .

١ / ١٦٩ من ٤ :

(فوحي كوثر مائه من وال في

جنات عدن مثله فلقد لغا)

صوابه : فوحي كوثر مائه من قال في .

١ / ١٧١ من ١١ :

(رجال الموم هنا تُطرحُ - و صدر الكتب هنا يُشرحُ)

عجز البيت معلول ، و صوابه : و صدر الكتاب هنا يشرح .

١ / ١٧٣ من ٨ :

(فقبض الله مولانا الرزير له

فاختط رحمة للناس واحتسبا)

عجز البيت معلول . ولعل صوابه : ناخطة رحمة للناس واحتسبا

١ / ١٧٦ من ١٦ :

(فأبقرط و جالينوس لو ابصرا ابزنها اذ مليا)

(لأقاما عندهما سوقهما بعلاج نفعه قد رجيا)

صدر البيت الثاني معلول ، و صوابه : لأقاما عندهما سوقهما .

١ / ١٧٧ من ٢ :

(فاهذا جعلوا تاريخه

خير حمام لطي بنيا)

صوابه : خير حمام لطي بنيا . لأن القصيدة في تاريخ بناء حمام

الوزير مصطفى باشا في دمشق ، وقد انشأه سنة ٩٩٥ هـ كما ذكر ذلك في اول

وليد الاعظمي

القصيدة (مقدماتها) ، ولكن مجموع عبارة التاريخ يساوي ١٠٠٣ د على حساب الجمل ، وكان ينبغي ان يجمع حساب التاريخ ، ويشير الى هذا الاختلاف ، ما دام قد فعل في غيره من التواريخ في الكتاب .

١ / ١٧٨ س ٦ :

(بسبي بجمرة خده بيض الدمى

وياض معصمه وروث ساقه)

قلت : بجمرة خده . عبارة لطيفة ، ولكن بجمرة خده ، بالحاء المهملة اولي لأنها تناسب الالوان الاحمر والايض ..

١ / ١٧٨ س ١٠ :

(قسماً بصبح جبه لو زارني

جنح الدجى وسعى الى مشتاقه)

(لفرشت خدتي في الطريق مقبلاً

نعم الجفون مواطن استطراقه)

قلت صواب عجز البيت الثاني : بشم الجفون مواطن استطراقه . وقد

صحفت كلمة (بشم) الى نعم . و (مواطن) الى مواطن والتعبيل بالفم .

١ / ١٨٤ س ١٠ :

(لازلت في درجات العلم مرتباً

ويهدي بك الله من للقرب يقترب)

صوابه : مرتباً ، بالياء المشناة لا بالباء الموحدة ، وعجز البيت معلول

بالواو الزائدة في أوله ، وصوابه : يهدي بك الله

١/ ١٨٥ س ٥ :

(يا من يجرّ على المجرّة
ذيل همتّه العليّة)
البيت مدرّج ، وصوابه :

يا من يجرّ على المجرّة
ذيل همتّه العليّة

١/ ١٨٧ س ٩ :

(لا زلت يا اتقى القضا
ة على الولاة لك المزيّة)
(ما تحرك الفلك المحي
ط بهمة نفس قويّة)
البيت الثاني معلول ، ومعناه غير واضح .

١/ ١٩٥ س ١٦ :

(أقمت بالرحمن لا بالفجر
ولا بآناء ليلٍ عثري)
(ولا بشفعٍ مردفٍ بوتر
ولا بجنح اليل حين يري)
(ولا برادات الضحى والعصر
وما حوى الجمار يوم النحر)

قال المحقق في الهامش : (وهذان الوقتان يسميان الأبردان . لما فيهما من
طيب الجو وبرودته ، وأمل هذا هو ما يعنيه الشاعر برادات الضحى والعصر) .
قلت : الرادات : جمع رادة ، وهي المرأة التي تكثر الاختلاف الى بيوت

وليد الأعظمي

جاراتها ، قال الأصمعي : الرادة من النساء - غير مهموز - التي ترود وتطوف . انظر لسان العرب مادة (رود) .

ويبدو أن المحقق اعتبر الباء في (برادات) أصلية في الكلمة من البرودة . ولم يفتن إلى أنها باء القسم كما وردت في البيتين الأول والثاني ، فأين هذا من ذلك ؟

١ / ١٩٧ ص ٨ :

(... حثاً على طلب علم الحديث ...)

الصواب : ... حثاً على ...

١ / ١٩٧ ص ١٣ :

(فهر الرميعة المعلى في حانه

ومسأله وهو الغمام الصيب)

صدر البيت معلول ، وصوابه : فهر الرميعة للمعل في حانه .

١ / ٢٠٤ ص ١٠ :

(حتى تبسّم ثغر الصبح عن نفس

وكأنه باللقا والوصل موعود)

عجز البيت معلول ، والواو في أوله زائدة ، وصوابه : كأنه باللقا

والوصل موعود .

١ / ٢٠٨ ص ٩ :

(هبّوا فقد هبّ نسيم الصبى

وطائر الاصباح قد أطربا)

(واضطجبهوا خندريسا أبى

كل ليب غيرها مشربا)

الصواب : واصطبحوها ، والاصطباح الشرب عند الصباح ، والاغتباق عند المساء .

٢١٨/١ س ١

(ولما أبى البدر إلا الخو ف ومدّ على الأفق أحلاكه) .
جعل المحقق (الماء) في القافية ساكنة في آيات القصيدة كافة ، وصوابها (بالضم) .

٢٢٣/١ س ٥ :

(بغيتنا شرب مدامة مزّة

لا صيد كركي ولا إوزة)

صدر البيت معلول ، وصوابه : بغيتنا شرب مدام مزّة .

٢٢٤/١ س ٦ :

(والنهر خطّ لها موازي يذكّرني منازل المنازي)
(حيث الحصى ظنّ لآليء عقد)

الشرط الثالث معلول ، وصوابه : حيث الحصى ظنّ لآليء عقد .

٢٣٨/١ س ٩ :

(وثلاثه مع رابع اذا ما قرنته بثانيه يبدو وجه حبي المحجب)
صدر البيت معلول ، وفيه زيادة .

٢٣٨/١ س ١١ :

(تراني وقد أبصرته متهللاً اغالب فيه الشوق والشوق أغلب)

إن عجز البيت تضمين من شعر المتنبي في مدح كافر ، وتدأمة :

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

وهو في ديوانه ٢٠١/١ تحقيق وشرح عبدالرحمن البرقوقي ، القاهرة

١٩٣٨ م ، ولم يشر اليه المحقق ، ولم يعلق عليه .

١ / ٢٣٨ س ١٥ :

(وخذها كروض جاده سبل الحيا وأضحت اغصانها الورق تخطب)
ان عجز البيت معاول ، وصوابه : وأضحت على أغصانها الورق تخطب .

١ / ٢٤٠ س ١٢ :

(فان تهبَّ بما لا تشتهي فلنمد
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن)
ان عجز البيت تضمنين من شعر المتنبي ، وتماه :
ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
وهو في ديوانه ٤ / ٤٦٤ تحقيق وشرح عبدالرحمن البرقوقي القاهرة
١٩٣٨ م .

١ / ٢٤١ س ١٣ :

(ولا غرو ان طُلْتُ المجرَّ قائدا
بملك رقي الطالوي أطاول)
ان عجز البيت معاول ، وصوابه : بملك رقي الطالوي أطاول .

١ / ٢٤٦ س ١٥ :

(لا نلت في رفعة وفي دعة
وحفظ عيش يطيب مروده)
الصواب : وخفض عيش ... جاء في لسان العرب : يقال عيش خافض ،
والخفض والخفضة : لين العيش وسعته .. وعيش خفض ومخفض وخفيض :
خصيب في دعة وخصب ولين ، والخفض : العيش الطيب ، انظر مادة
(خ ف ض) .

١ / ٢٤٩ س ٦ :

(وبك الكرامة والكرا

ثم والعزائم والساحه)

(عهدي بهمتك العلية إن

تأبى جامع راضت جماعه)

اليت الثاني معلول ، وفيه تفعيلة زائدة .

١ / ٢٥٥ س ٦ :

(وقال بشراك روض الفضل قلت له

روض ابن بستان ومولانا فقال بلى)

ان عجز اليت معلول ، فيه واو زائدة ، وصوابه ... ابن بستان مولانا ...

١ / ٢٥٦ س ٧ :

(غرية في بلاد الروم ليس لها

كفوا سواك فأنشد مهرها عجلا)

صوابه : فأنشد ... جاء في لسان العرب : النقد خلاف النسيئة . وفي حديث

جابر وجهله ، قال : فنقدني ثمنه ، اي أعطاني ثمنه نقداً معجلاً . انظر مادة :

(ن ق د) .

١ / ٢٥٩ س ٤ :

(إلا بقايا مهجبة

هي ملك مولى ذو كرم)

صوابه : ... ذي كرم .

١ / ٢٦٨ س ٩ :

(فمئذ زمزم في ذاك المقام صفا الـ

راووق وزالت وقد لبّيت اكدارُ)

ان عجز البيت معلول ، فيه واو زائدة ، وصوابه : ... زالت ...

١ / ٢٦٩ س ٢ :

(قدم معاناً معين الدين ذا لمن

عذب المقال لا خائتك افكار)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : عذب المقال ولا خائتك افكار .

١ / ٢٧١ س ١٤ :

(ومن باب ماوى العفاة وركنه

لدى حادثات الدهر ركن مدافع)

ان صدر البيت معلول وصوابه : ومن بابه ماوى العفاة وركنه .

١ / ٢٨٢ س ٩ :

(لولاه لم أرض الروم منزلة

عن الشام سقاها غيث منجم)

صدر البيت معلول ، وصوابه : لولاه لم أرض أرض الروم منزلة .

١ / ٣٠٠ س ١٣ :

(وانسي لتعروني لذاكراك هزة

كما اهتز من جنّ النشاط مروح)

ان صدر البيت تضمن من شعر مجنون ليلي ، تمامه :

وانني لتعروني لذاكراك هزة

كما انتفض العصفور بلباسه القطر .

وهو في ديوانه ص ١٣٠ ، تحقيق عبدالستار احمد فراج ، القاهرة ،

وينسب البيت الى ابي صخر الحنظلي ايضاً .

١ / ٣٠٢ س ٦ :

(وما عرفوا أن القريض الذي النهي

ضروب فمنها ناقص رجيع)

عجز البيت معلول ، وصوابه : ... ناقص ورجيع .

١ / ٣١٢ س ٢ :

(فلي بين هاتيك المعاهد جؤذر

جمي القلب يرعى لا الكتيب ولا السقطا)

عجز البيت معلول ، فيه واو زائدة ، وصوابه : ... لا الكتيب ولا السقطا.

٢ / ٢٠ س ١٠ :

قوله تعالى (وهو الذي انزل السكينة ...)

الواو في أوله زائدة والصواب : هو الذي انزل السكينة .

٢ / ٣٩ س ١٠ :

(قصيدة الحكيم الفاضل والفيلسوف الكامل ابو علي الحسين بن شبل) .

الصواب : ... ابي علي الحسين بن شبل .

٢ / ٩٢ س ١٥ :

(يغتدي البارح المفيد لديها

لاحقاً بالمقصر والمستفيد)

ان عجز البيت معلول ، والواو فيه زائدة ، وصوابه : لاحقاً بالمقصر

المستفيد .

٢ / ٩٦ س ١٢ :

(وهب الله للمعاني اناس

بذلوا عزمهم وجالوا وصالوا)

صواب صدر البيت : وهب الله للمعالي أناساً .

٢/ ١٠٤ س ١١ :

(أم عقد در بالهاء منضد

أبصرته وذاك عندي اكبر)

ان صدر البيت من الكامل : وعجزه من الرجز ، والقصيدة كلها من الرجز ، لذلك ينبغي حذف همزة البهاء ، ليعود من الرجز : ام عقد در بالهاء منضد .

ثم يقول بعد أبيات :

(محمد درويش من فضله

لا يبلغ الحد ولا يحصر)

وهذا البيت من السريع ، فتأمل .

٢/ ١١١ س ٤ :

(ابن الكرام السابقين لرتبة

شما يقصر دونها التناول)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : ... المتناول .

٢/ ١١١ س ٨ :

(فلا بدع ان يتبع الفرع أصله ، ويجمع الله بالكمالات شمله :)

(درويش منه طنت حصاة فخره

وامتأ الكون بطيب نشره)

قلت : هي ارجوزة في مدح آل طالو ، ولكن المحقق خدعته السجعة في السطر الاول وهو مقدمة للقصيدة ، فشطره وجعله دكذا :

فلا بدع ان يتبع الفرع أصله

ويجمع الله بالكمالات شمله

ولم يميز النثر من النظم ، فتأمل !
وصدر البيت من الرجز معلول ، وصوابه : درويش مذ طنت حصاة
فخره والبيت التالي :

فرع كماه بالمرام (طالو)
والعلو والسمو طالوا

وصواب صدر البيت : فرع نماه بالمرام طالو .
وعجز البيت معلول وصوابه : وبالعلو والسمو طالوا .

١٢١/٢ س ٤ :

وظنّ فيه غير ظنّ مرجم
على أنّ ظنّ الألمعي يقين
إن صدر البيت معلول : وصوابه : وظنّي فيه غير ظنّ مرجم .

١٢٤/٢ س ١٣ :

(فكم عمّ منه فيض جود لما
وخصّ لعمرى أهلها بالتدى الغمر)
إن صدر البيت معلول ، ولعل صوابه : فكم عمّ منه فيض جود لأهلها .

١٢٤/٢ س ١٤ :

(مرقاه على الفردوس باب جنانها
وناح لغير الحزن من دوحها القري)

صدر البيت معلول .

١٢٥/٢ س ١٩ :

(ولا سيما القدي استاذنا الذي
له رتبة في العلم فرق النعائم)
(كذا شيخنا شيخ الطريقة والحقي
مة منصور على كل ظالم)

ان البيت الثاني معلول .

١٢٦/٢ س ١ :

(وسرى الى المقياس والنيل طافح

تصافحه كف الرياح النواسم)

ان صدر البيت معلول ، ولعل صوابه : ويسري الى المقياس والنيل طافح .

١٣٠/٢ س ٢١ :

(وحكمة ثم كلاماً به

فقت اهل الاعصر الماضية)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : قد فقت اهل الأعصر الماضية .

١٣١/٢ س ١٢ :

(وسرت مع الركبان في مشرق

ومغرب اكرم بهاسارية)

ان صدر البيت معلول ، والواو في أوله زائدة ، وصوابه : سرت مع

الركبان ...

١٣١/٢ س ١٥ :

(وشيئف الأذان بالفاظه

إن كنت ممن أذنه واعية)

ان صدر البيت معلول ، وصوابه : وشيئف الأذن ... بالمفرد لا بالجمع .

١٣٧/٢ س ١٤ :

(رويتا حديث الماء فيه ممللاً

عن معين صحّ من طرق أخرى)

ان عجز البيت معلول ، ولعل صوابه : كذا عن معين ... او كما عن

معين ..

٢/ ١٣٧ س ١٨ :

(وثقت وأرسيت فلك مطالبي
ببه انها قد اشحت نيرا)
ان صدر البيت وعجزه معلولان .

١/ ١٤٠ س ١٥ :

(بين سقط اللوى ومعطف بائة
وأثيلات ملقى كتابه)
كذا ، وصواب البيت :

بين سقط اللوى ومعطف بائه
وأثيلات ملقى كتابه
بكسر النون وسكون الحاء في القافية ، والقصيدة كلها كذلك .

٢/ ١٤٢ س ١٩ :

(قرّبه الله ملكه بك سعداً
فلكاً دائراً بعد قرائه)
ان صدر البيت معلول . ولعل صوابه : قرن الله ملكه بك سعداً .

٢/ ١٤٨ س ١ :

(آمن دعوتك والمسموم
جيوشها قلبي تطارد)
(فامزج بحولك كربتي
يا من له حسن العرائد)

البيت الاول صواب اوله : يا من دعوتك ..
والبيت الثاني صوابه : فمزح بحولك كربتي . والكربة تزاح وليس تمزج .

١٤٨/٢ ص ٦ :

(يتر لنا فرجاً مُتر)

يأ يا الهي لا تباعد)

وصوابه : .. فرجاً قريباً . وكنت ظنته من غلط الطباعة لولا ضبطه
(مُترياً) بضم الميم .

١٥٧/٢ ص ٨ :

(عام احدى وألف ..) وصوابه : عام واحد وألف ..

١٥٨/٢ ص ١ :

(ومعاجد كان الشبا)

ب وشرخه فيها مسير)

كتبها المحقق (سمير) بكسر الراء ، وصوابها : (سميري) بالياء .

١٧٤/٢ ص ١٢ :

(دار متى اضحككت أبكت)

غداً تبأ لها من دار)

البيت معلول ، وصوابه :

دار متى ما اضحككت في يومها

أبكت غداً تبأ لها من دار

والبيت للحريري في مقاماته ص ٢٢٤ طبع دار التراث ، بيروت ١٩٦٨ م .
ولم يضبطه المحقق ولم يشر اليه .

١٧٧/٢ ص ١٢ :

(تبأ له من خادع مخاذق)

اصفر ذي وجهين كالمنافق)

البيت للحريري في مقاماته ص ٢٩ طبع دار التراث بيروت ١٩٦٨ ،

ولم يشر اليه المحقق ، ولا علق عليه ، وصوابه (مماذق) وليس (مخاذق) .

١٨٥ / ٢ من ١٢ :

(ثم جاء الانام نحوي سعيًا
يأثوا الصبّ عن نذاك العظيم)
وكلمة (يألوا) صوابها (يألون) وبها يختل الوزن ، والشاعر حذف
التون للضرورة ، وهي ضرورة قبيحة ، وكان ينبغي للمحقق ان يشير الى ذلك
ويعلق عليه .

١٨٨ / ٢ من ٤ :

(صدر مصر اليها وبدر سماها
مستفيد للعداة مردي الخصوم)
ان عجز البيت معلول ، وصوابه : مستفيد العداة ...

١٨٨ / ٢ من ٨ :

(محرز البق من بني الصديق وفضلاً
وقد استجمعوا مكارم خيم)
ان صدر البيت معلول ، وفيه واو زائدة ، وصوابه : محرز البق من بني
الصدق فضلاً .

١٩٤ / ٢ من ١٠ :

(ملاً الخاقين صيت علاه
وسرى ذكرها مع التركان)
صواب عجز البيت : وسرى ذكره مع الركبان .

١٩٤ / ٢ من ١٥ :

(شيخ ماله مثال تراه
وهيولى في صورة الانسان)
صواب صدر البيت : شيخ ماله مثال تراه .

١٩٦٦ / ٢ : ٥ :

(العالم النطس الأغزرّ الالمر

ي اللوذعي الأيـ

البيت معلول ، وهو ناقص تنعياة واحدة .

١٩٧٧ / ٢ : ٩ :

(وأشمّ ترب الآل ممتن حلّ في

ارجاء يثرب او حواه الفرقد)

وصوابه : ... حواه الفرقد ، وهو بقيق الفرقد ، مقبرة اهل المدينة .

١٩٨٨ / ٢ : ٩ :

(فالله يهدي من أضل سبيله

منه بعدما ظهر الطريق الأقوم)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : من بعدما ظهر الطريق الأقوم .

١٩٨٨ / ٢ : ١٨ :

(هذي عقود السحر أم تفشائه

وررد وادي الشحر ام تفحاته)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : وورود وادي الشحر ام تفحاته .

٢٠٠٦ / ٢ : ٥ :

(واقتك وافدة القرافي فوقها

أوقار مدحك وهو ملك دار)

صوابه : ... ميلك داري . نسبة الى دارين . وهو مشهور .

٢٠٠٧ / ٢ : ٢ :

(عام خمس بعد الألف ..) صوابه : عام خمسة بعد الألف .

٢٠٨ / ٢ س ١ :

(في أن يُسِرَّ أمره العالي إلى

قاضي الحاكم في قضاء المحل)

وصواب صدر البيت : في أن يسِرَّ امره العالي إلى .

٢٠٨ / ٢ س ٧ :

(بمحمد هادي الانام وآله الـ عشر الكرام رَمَنَ لديهم قدولي)

وصوابه : ... وآله الغرَّ الكرام .

٢١٤ / ٢ س ١٢ :

(فهي السوانح لا سوا

نح رامة يالفن ريمه)

(من كلّ وسنى ، قلدها

بان على نقوى صريمه)

وصواب البيت الثاني :

من كل وسنى ، قلدها

بان على نقوى صريمه

والغريب ان المحقق يشرح كلمة (نقوى صريمة) فيقول : والنقوى -

كذا - : الكتيب من الرمل ، والصريمة : القطعة المنغزة من معظم الرمل .

قلت ان كلمة (نَقَوِيْ) هي مثني (نقا) مجرورة بعلی . ومضافة الى

الصريمة ، فأين هذا من ذاك ، ومن اين وقع له هذا المعنى ؟

٢١٦ / ٢ س ١٩ :

(تلك الأبيادي لا التي

حدثن في العصر القديمة)

(سبقت إليّ وجنّنا

منها سوابقها الجسيمة)

وصواب صدر البيت الثاني : سبقت إليّ وجدا .

٢ / ٢٢٠ س ٥ :

(عدله مثل خلقة حسن

لا يجابه فيه من ماشى)

وصواب عجزه : لا يجاريه فيا من ماشى .

٢ / ٢٢٥ هامش ٣ :

قوله تعالى (وقال الذي عنده علم من الكتاب أما آتيك به ...)

وصواب الآية ... أنا آتيك به ...

٢ / ٢٢١ س ١٢ :

(أثار في خده من نظري

دقّ الا عن دقيق النظر)

(كهلال الشك في أفق بدا

طالما في شفق من خضر)

صواب صدر البيت الاول : أثار في خده من نظري ، والقافية في البيتين

مكسورة ، فلماذا جعلها المحقق ساكنة ؟

٢ / ٢٢١ س ١٨ :

(جراحة اللحظ في الخدود وحكى

بياضها فوق حمرة الخد)

ان صدر البيت معلول ، وفيه واو زائدة ، وصوابه : ... في الخدود حكي .

٢ / ٢٢٣ س ٣ :

(أسكنها فردوس جنّته

أنهارها من تحتها جاريه)

صدر البيت معلول ، وصوابه : اسكنها فردوس جناته .

٢ / ٢٢٣ من ١٠ :

(عام ست بعد الألف) وصوابه : عام ستة بعد الألف .

٢ / ٢٢٣ من ٩ :

(حمى الشام جاد الغيث ما حَلَّ تَرْبِهَا

معان الحمى فيها مغاني أحبتي)

وصواب صدر البيت : حمى الشام جاد الغيث ما حَلَّ تَرْبِهَا ، والغيث

يجود الماحل من الارض ، و (ماحل) في البيت مضافة الى (تربها) ،

والكن المحقق لم يتبين له ذلك . واعتبر كلمة (ماحل) كلمتين (ما) و (حَلَّ) ،

ولذلك نصب (تربها) لأنها منعمول به عنده .

٢ / ٢٢٨ من ٢ :

(عام خمس بعد الألف) صوابه : عام خمسة بعد الألف .

٢ / ٢٢٨ من ١٢ :

(مهفهفك تشنى قلت مقتضب

من قضب نعمان او من كتب يرين)

صواب صدر البيت : مهفهف إن تشنى قلت مقتضب .

٢ / ٢٢٩ من ١٤ :

(وثنى الحزار بصوته غرداً

عذبات بانتهاء على الرند)

جاء هذا البيت في قصيدة تجاوزت خمسين بيتاً قافيتها رائية مكسورة ،

كالبدر ، الزهر ، ويأتي هذا البيت على قافية الدال (الرند) في وسط

القصيدة ، ولم يتنبه المحقق الى ذلك ، وأغرب منه ان المحقق يشرح لنا في

الحامش كلمة (الرند) ، ولم يشر الى القافية المتغيرة ولم يعلق عليها .

٢ / ٢٣١ س ١ :

(لازل يحيى الفضل مقبلاً

شرح الشباب مدى العمر)

وعجز البيت معلول ولعل صوابه : شرح الشباب به مدى العمر .

٢ / ٢٤٥ س ٥ : قول المتنبي :

(وقد يتقارب الوصفان جداً

وصرفاهما متباعداً)

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : وموصوفاهما متباعداً .

٢ / ٢٤٨ س ٨ :

(واذا تراهم اعجبتك جـومهم

واذا يقولوا فالحديث تغمغم)

صوابه : (واذا يقولون ...) وبها يختل الوزن . فاضطر الشاعر الى حذف

النون ، وهي ضرورة ثقيلة ، وكان ينبغي للمحقق ان يشير الى ذلك ويعلق عليه .

٢ / ٢٤٨ س ١١ :

(لكن لي بالظن الجميل بلطف من

هو لم يزل حالي الضعيفة يعلم)

صدر البيت معلول ، وصوابه : اكن لي الظن الجميل بلطف من .

٢ / ٢٤٩ س ١ :

(لا يخشى في الله لومة لائم

أبدأ ولو كثرت عليه اللوم)

صدر البيت معلول ، وصوابه : لا يخشي في الله لومة لائم .

٢ / ٢٤٩ ص ٤ :

(نصبت سرادق عدل فيها يدُ

لجراح ظلم القوم فيها مرهم)

صدر البيت معلول وصوابه : نصبت سرادق عدله فيها يدُ .

٢ / ٢٤٩ ص ٥ :

(وسرت سير الشمس سيرة عدله

فيها ونور الحق لا يتكتم)

صدر البيت معلول ، وصوابه : وسرت سير الشمس سيرة عدله .

٢ / ٢٤٩ ص ٦ :

(أضحي غوث الأنام وغيثهم

في أزمة فيها الغني المقدم)

صدر البيت معلول ، وصوابه : أضحي بها غوث الأنام وغيثهم . وقافية

البيت الثاني صوابها : (المُعَدَم) ، لا المقدم ، أي أن تلك الازمة يتساوى

فيها الغني والمعدم ، أو يكرن الغني معدماً .

٢ / ٢٥٠ ص ٢٠ :

(خوف يوم تُلقَى به كل نفس

حاضراً ما جتته من سيئات)

ان صدر البيت معلول ، وصوابه : خوف يوم تُلقَى به كل نفس .

٢ / ٢٥٣ ص ١٦ :

(دمت جمّ العطاء ضافي ظلّ

صافي العيش في هنا وانتعاش)

صدر البيت معلول ، وصوابه : دمت جمّ العطاء ضافي ظلّ .

٢ / ٢٥٣ : ١٨

(ويحيي بيتك الحرام ملتب)

وغشى نار جودك الغمر غاشي)

صدر البيت معلول ، وصوابه : ويجي بيتك الحرام ملتب .

٢ / ٢٥٨ : ٩

(عام تسع وألف ..) ، صوابه : عام تسعة وألف .

٢ / ٢٦١ : ١٦

(وبقيتما في ظل عي

— وارف النعمى سني)

صوابه : وبقيتما في ظل عيش ...

٢ / ٢٦٦ : ١٤

(عام تسع بعد الألف) صوابه : عام تسعة بعد الألف .

٢ / ٢٦٧ : ٢

(اذا شام برق الشام هاجت لوعة

ومن دونها طامي الفوارب كالشهب)

صدر البيت معلول : وصوابه : اذا شام برق الشام هاجته لوعة .

٢ / ٢٦٧ : ٦

(وخص بها دار الأمير وما حوت

معالمها من ذي لمي خصير عذب)

كتب المحقق في الهامش (١) : اللمى : الشجر تكاثف ظله .

قلت : اللمى ، سمرة الشفتين والثلاث ، جاء في لسان العرب : (ورجل

الى وامرأة لمياء ، وشفة لمياء ، وقيل : اللمياء من الشفاه ، اللطيفة القليلة

(اللحم) وجاء فيه : وشجرة لمياء الظل ، سوداء كثيرة الورق ، انظر مادة (ل م أ) ، واين هذا التفسير من قصد الشاعر ؟ .

٢ / ٢٦٨ من ٣ :

(عام تسع بعد الألف) صوابه : عام تسعة بعد الألف .

٢ / ٢٧٢ من ١٠ :

(محمد الاسم مولى قد تخيره

من دوحه بعد باريء النسم)

ان عجز البيت معلول :

٢ / ٢٧٧ من ١٥ :

(في عام عشر بعد الألف من صفري

رأيت بالروم مرأى راق للنظر)

صدر البيت معلول ، صوابه : في عام عشرة بعد الألف من حشر

٢ / ٢٧٨ من ٩ :

(لم لا ومنشئه رب الفضل من خضعت

له بلاغة اهل البدو والحضر)

صدر البيت معلول ، وصوابه : ... وشبه ... بتخفيف الهمزة :

٢ / ٢٧٩ من ١٧ :

(لو شام برق ثناياها الشريف سلا

عن ظبية البان عن ظبية الخمر)

عجز البيت معلول ، وصوابه : عن ظبية البان او عن ظبية الخمر .

٢ / ٢٨٠ من ٧ :

بحمد الله قد زال المقام

وجاءت صحة فيها دوام

القصيدة في (٢٦) بيتاً جعلها المحقق ساكنة القافية ، وصوابها مضمومة .
٢ / ٢٨٥ س ٥ :

(دعوتُ تضرعاً ومعى الأنامُ
وأمنتُ الملائكة الكرامُ)

القصيدة في (٢٥) بيتاً جعلها المحقق ساكنة القافية ، وهي مضمومة .
٢ / ٢٩٠ س ٦ :

(تبقى على صفحات الدهر خالدة
كالانجم عقداً ليس ينقسم)
عجز البيت معلول ، وصوابه : كالانجم الزهر عقداً ليس ينقسم .
٢ / ٣٠٥ س ١٢ :

(طرس به هرز النجوم كأنه
صبح وهنّ بقايا حندس)
عجز البيت معلول ، وصوابه : صبح وهنّ به بقايا حندس .
٢ / ٣١٠ س ٣ :

(واكنما الاعمار تجري لغاية
ومعرفة الغايات بعد المذاهب)

(وإني لأهوى أن اكون مع الصبا
رسولاً الى البيضاء لتقضى المآرب)
وردت قافية البيت الثاني مضمومة ، وصوابها بالكسر ، لأن القصيدة
مكسورة القافية ولعل الصواب : رسولاً الى البيضاء لتقضى مآربي .

★ ★ ★

هذه الملاحظات تخص اوزان الشعر ، وما يتعلق به من تضمين ،
وتصحيف ، وتحريف ، والاغلاط في التعبير ، وحساب التاريخ .

اما الاغلاط الطباعية فهذا جدول يتضمنها حسب تسلسل صفحات الكتاب :

الجزء والصفحة	الخطأ	الصواب
١ / ٣١ من ١٢	يفني	يفتي
١ / ٩٨ من ٥	الطول	الطول
١ / ١٠٢ من ٣	الورر	الدرر
١ / ١٠٢ من ٩	الاضاع	الاضاح
١ / ١١٠ من ٨	المزوم	المرزم
١ / ١١٣ من ٧	أقلانه	أقلامه
١ / ١١٤ من ٧	أولا	أولا
١ / ١١٥ من ١١	انبعت	اينعت
١ / ١١٧ من ٧	كله	كله
١ / ١١٧ من ٧	كلت	كلت
١ / ١١٨ من ٢	كالليالي	كالآلي
١ / ١١٨ من ٤	أبتك	أبتك
١ / ١٢٠ من ٦	ظناة	طنانة
١ / ١٢٠ من ١٨	غطاء	عطاء
١ / ١٢٠ من ١٩	سوايداء	سويداء
١ / ١٢٣ من ١٥	صوراما	صوارما
١ / ١٢٦ من ١١	سرت	سرت
١ / ١٢٧ من ٣	ذلك	ذاك
١ / ١٣٢ من ٥	رهانة	رهانه
١ / ١٣٢ من ٩	فمجة	فمجه
١ / ١٣٢ من ١٨	القرىض	القرىض
١ / ١٣٣ من ٥	الهدى	الهوى

شفاف	شفاف	١ / ١٤٢ س ١
كفرار	لغرار	١ / ١٤٨ س ١٧
يولي	يوتي	١ / ١٥٨ س ١٦
مضرما	يضرما	١ / ١٦٠ س ١٢
ناحت	ناحب	١ / ١٦١ س ١
ذي	ذمر	١ / ١٦١ س ٢
ردا	رداء	١ / ١٦٢ س ٢
واعلم	والعم	١ / ١٦٤ س ١٤
ملعب	يلعب	١ / ١٦٥ س ١٢
متردا	مغردا	١ / ١٨٤ س ٦
وأصبح	وأضبح	١ / ٢٠٥ س ٩
ومبيض	ومبيض	١ / ٢٠٥ س ١١
أناساً	أناس	١ / ٢١١ س ١٨
بالقيد	بالقد	١ / ٢٢٦ س ٢
معنى	معنى	١ / ٢٢٨ س ١١
النقاد	النقاد	١ / ٢٣١ س ٦
صب	صبت	١ / ٢٣٢ س ١١
الكميت	السكيت	١ / ٢٣٤ س ٦
(١، ٢، ٣، ٤)	(١٢، ١٣، ١٤، ١٥)	١ / ٢٣٤ الهامش
ضرام	مغرام	١ / ٢٣٥ س ٤
رعش	رعشن	١ / ٢٤٣ س ١٠
وأرواح	وأرواح	١ / ٢٦١ س ٢١
دوحه	دوحه	١ / ٢٦٦ س ١٧
ثقافات	ثقافة	١ / ٢٧٧ س ٩

ساع	صاع	١ / ٢٨٢ س ٥
تسيم	نسيم	١ / ٣٠٠ س ٦
منتحصد	متصحده	١ / ٣٠٥ س ٦
صاحيه	حاجيه	٢ / ١٠ س ١٢
الصدارة	العدارة	٢ / ٢٢ س ١٤
جيرة	جيزة	٢ / ٨٩ س ٤
كل	كل	٢ / ٩٠ س ١
فيهما	فيها	٢ / ١١٤ س ١٣
لقطيه	لقطية	٢ / ١١٧ س ١
صفر	صفر	٢ / ١٢٠ س ١٤
عدل	عدد	٢ / ١٢٤ س ١١
صليل	ضليل	٢ / ١٢٥ س ١
شفة	سفة	٢ / ١٤٣ س ٨
وغنى	وغن	٢ / ١٤٥ س ١٣
سنة اثنتين	سنة اثنين	٢ / ١٤٦ س ٣
الصبا	الصنا	٢ / ١٨٦ س ١٦
سقط	قسط	٢ / ١٨٧ س ٢
من	منه	٢ / ١٩١ س ٨
رفعة	رقعة	٢ / ١٩٦ س ١٣
النقا	الفقا	٢ / ١٩٩ س ٥
عزمه	عزمة	٢ / ٢٠٣ س ١
خزوى	خزوى	٢ / ٢١١ س ١
ساجية	حاجية	٢ / ٢١١ س ٤

اثنت	اثنت	٢ / ٢١٢ س ٤
المجتبي	المجتبين	٢ / ٢١٣ س ١٥
(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤)	(٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥)	٢ / ٢٢٠ ارقام المتن
سما	سما	٢ / ٢٢٥ س ١
ابن بجدتها	ابن نجلتها	٢ / ٢٢٥ س ٣
يفشي	يفش	٢ / ٢٣٠ س ١٤
قتلافي	قتلافي	٢ / ٢٥١ س ٢٠
بسر	بسم	٢ / ٢٥٥ س ٤
براوية	بروايه	٢ / ٢٥٨ س ١٠
الرماح	الرمال	٢ / ٢٦٦ س ٧
إليها	البها	٢ / ٢٧٠ س ١٩
ذاوياً	داوياً	٢ / ٢٧١ س ٨
الخلق	لخلق	٢ / ٢٧٣ س ١٥
صححتها	صممتها	٢ / ٢٧٤ س ١٤
شبح	شيخ	٢ / ٢٧٤ س ٢١
الهدى	الموى	٢ / ٢٧٥ س ٨
العبد	العبد	٢ / ٢٨٤ س ١١
عصر	عصير	٢ / ٢٩٦ س ١٣
جامم	حامم	٢ / ٣٠٤ س ١١
اللاهب	للاهب	٢ / ٣٠٨ س ١٠
الخطي	لخطي	٢ / ٣٠٨ س ١٥
وصية	وصيته	٢ / ٣٠٩ س ٧
حواش	حواش	٢ / ٣١٥ س ٧

وبعد :

فان هذه الملاحظات الكثيرة ، لا تقلل من شأن الكتاب وقيمه الادبية والتاريخية ، وهي تزيد في حسنه ، وتجعله اقرب الى الصواب ، وقد علمت ان المحقق الفاضل ، قد أفنى الى رحمة الله ، فعسى ان يفيد منها من يتولى امر الكتاب في طبعاته المقبلة .

وليد الاعظمي

الاعظمية في ذي الحجة ١٤٠٣ هـ

★ ★ ★

أنباء وآراء

الحاج عبدالكريم جرمانوس (١٨٨٤-١٩٨٤) في ذمة الله

ان سنة ١٩٨٤ هي سنة مزدحمة وحافلة بالاحداث بالنسبة للاستشراق المجري . ففي الربيع كانت هناك احتفالات على نطاق واسع في المجر وفي عدة بلاد اخرى ابتداءً من الهند الى بريطانيا ، وذلك بمناسبة مرور مائتي عام على مولد ممثل الابحاث الشرقية المجرية البارز ومؤسس الدراسات التبتية ، شاندور كوروشي تشوما .

اما في هذا الخريف فاننا نحتفل بالذكرى المئوية الاولى لميلاد مستشرق مجري جليل آخر هو جولاً جرمانوس الذي كان معروفاً ومشهوراً في العالم العربي والاسلامي باسم : الحاج عبدالكريم جرمانوس .

ان الحاج عبدالكريم جرمانوس الذي عاش حياة زاهرة وطويلة ومات منذ اقل من خمس سنوات وهو في اتم نشاطه وحيويته الفكرية ، له افضال لا مثيل لها في دراسة العالم العربي والاسلامي والشرق بصفة عامة وايضا في التعريف بهما في المجر وفي اوربا عامة .

ونتيجة لميوله الذاتية لدراسة اللغات ، فانه وصل الى درجة اجاد معها الى جانب اللغات الاوربية الرئيسة ، اللغات العربية والتركية والفارسية والتاتارية اجادتها كاملة ايضاً ، ونتيجة لرحلاته الراسعة - حيث قضى سنوات طويلة في زيارته لمصر والهند ، كما زار مكة المكرمة مرتين كحاج ، وسافر كذلك الى سورية والعراق والمغرب وتركيا ... الخ - قد حصل معلومات عميقة في الدين الاسلامي وفي الشريعة الاسلامية ، وصار على دراية شاملة للادب العربي وتاريخ الحضارة العربية والاسلامية .

قام الحاج عبدالكريم جرمانيوس بنشر كنوزه الواسعة عن طريق كتبه ومقالاته ومحاضراته العديدة . وقد قوبل في المجر وفي اوربا عموما بالاهتمام بكل ما قد كتب او حاضر عنه . وهكذا نجح كتابه الموسوعي النقدي الضخم الذي خصصه للشعر العربي عبر ١٤٠٠ سنة ، وكتابيه الآخر الخاص بتاريخ الادب العربي والذي طبع اكثر من مرة ، ثم كتبه الشيقة والمثيرة عن رحلاته مثل : الله اكبر ، وفي ضوء الحلال الخافت ، ونحو اضواء الشرق ، نجاحا متقطع النظير لدى القراء بوجه عام والمثقفين بوجه خاص . اما الكتاب الذي ألفه مع زوجته الاولى حول الهند بعنوان « نيران البنغال » ، والذي صدر في عشر طبعات بمئات الآلاف من النسخ ، فانه يعطي صورة واضحة على اهميته من ناحية المادة ومن ناحية المؤلف ايضا . كما أنه قد تمت ترجمة الكثير من اعماله الى لغات اجنبية مختلفة .

وهنا تجب الإشارة الى انه بالإضافة الى نشاطه الخاص بجعل الشرق محبوا ومعروفا فقد كان الحاج عبدالكريم جرمانيوس يتحق عالما واستاذا وناقدا ادبيا جادا وذلك يظهر من خلال دراساته المتخصصة عن الشاعر الكلاسيكي العربي ابن الرومي ، وعن الشعر المعاصر في جنوب شبه الجزيرة العربية . ثم تحليله الدقيق لافكار الفيلسوف الهندي الكبير المهاتما غاندي ، الى جانب اعمال اخرى مازالت تعتبر ذات قيمة ادبية وعلمية عالية .

كان الحاج جرمانيوس بالإضافة الى كل هذا النشاط في التأليف يدرس خلال عشرات من السنين في جامعة بودابست كاستاذ للادب العربي والحضارة الاسلامية ، واغلب الخبراء المجرين في الشؤون العربية والدراسات الشرقية يعتبرون انفسهم تلامذة له .

وبمناسبة الذكرى المئوية الاولى لولادته سوف تعد احتفالات شاملة بهذا العالم الكبير ليس في المجر فقط بل كذلك في عديد من الدول العربية والاسلامية . اما في بودابست ، مقط رأسه ، فيطلق اسمه على احد الميادين

العامة ، وسوف تعقد في جامعة بودابست جلسة علمية باشتراك علماء مجريين واجانب تخليداً لهذه الذكرى . كما ان معظم اعماله سيعاد اصداؤها من جديد .
اما عن الاحتفالات خارج الوطن المجري فسوف يكون متمثلاً في عروض متجولة في عواصم البلدان المختلفة تشرح حياة ذلك العالم الغنية والمثيرة وذلك في كل من عمان ، دمشق ، القاهرة ، بغداد - (ومن المعروف ان الحاج جولا جرمانوس كان عضو شرف في كل من مجمع اللغة العربية في الاردن وسورية ومصر والعراق) - كما ان المعرض المتجول سيزور الكويت ونيودلهي ولندن ايضاً .

